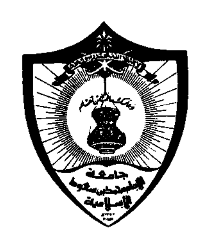


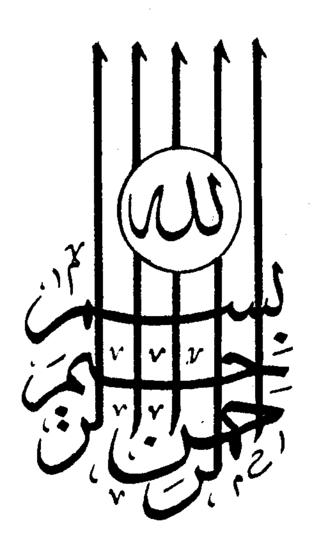
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مركز البحوث

بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

الجزء الأول

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

فهرس الجـــزء الأول

(المحتويـــات)

الصفحـة

الموضـــوع

بسم الله الرحمن الرحيم

داعيـة التوحيـد

فى

«موطـــن التوحيـــد»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

هذه بلاد مصطفاة:

فأول بيت وضع للناس ـ أى لعبادة الله وحده لا شريك له ـ كان فى مكة المكرمة: «إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين».

وفى مهد التوحيد، وموطنه العريق ـ مكة المكرمة ـ صدع المسلم الموحد الحنيف الأواب أبو الانبياء ـ ابراهيم عليه السلام ـ بكلمة التوحيد، وأُمر هو وابنه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ بأن يطهرا بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن يرفعا القواعد من البيت، وقد دعوا الله تعالى أن يجعلهما مسلمين له، ومن ذريتهما أمة مسلمة له، وأن يبعث فى العرب رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

وقد وصى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بنيه بأن يثبتوا على التوحيد وأن يستمسكوا بالاسلام أبدا: «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون».

وأعظم أدلة الاصطفاء، وأجل براهين الاجتباء أن الله تعالى اختار من العرب ـ أهل هذه البلاد ـ رسولا نبيا، واماما للموحدين، وسيدا للمتقين، اختار محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ـ من ولد إسماعيل عليه السلام.

لقد كانت مكة المكرمة منبته ومنشأه ومرباه وممشاه، وكانت المدينة المنورة مهجره ومقامه، ومثواه، وكانتا ـ مكة والمدينة ـ متنزلا لكلمات الله عليه صلى الله عليه وسلم.

فصدع امام الموحدين بالحق، وبشر وأنذر، وبلغ وجاهد، وأحيا أصول التوحيد، وجدد معالمه، ورفع لواءه، وأمات الوثنية والشرك وقضى عليهما، وطهر الجزيرة من آثارهما فى العقيدة والعبادة والتشريع والأعراف والتقاليد والعادات، فى الحياة الخاصة والعامة، وبنى أمة على التوحيد الخالص ، لا تعبد إلا الله، ولا تدعو إلا إياه، ولا تستعين إلا به ، ولا تتوكل إلا عليه.

وكان آخر كلماته ـ قبيل أن يلتحق بالرفيق الأعلى ـ : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.»

....

لقد قضى الله أن تكون هذه البلاد «مقرا» للتوحيد، وقاعدة لا نطلاقه، ومناخا لنسماته الطيبة الطاهرة الزكية اللطيفة.

وصدق الله حيث يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

فبعلمه المحيط ـ سبحانه ـ «جعل» محمدا نبيا رسولا، وبعلمه المحيط ـ جل شأنه ـ

«جعل» هذه البلاد «موطنا» للرسالة، فلفظ «حيث» يقصد به «الرسول» متلقى الرسالة ومستودعها ومبلغها، و يقصد به «المكان» أيضا باعتباره ـ أى لفظ حيث ـ ظرفا مكانيا .

ومن الأدلة الباهرة ـ فى هذا المقام ـ أن المعنيين ـ اصطفاء الإنسان، واصطفاء المكان ـ وردا على لسان إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو يدعو ربه و يرجوه.

ورد معنى اصطفاء الإنسان فى قوله تعالى: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم».

وورد معنى اصطفاء «المكان» فى قوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا..» وقوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام» وقوله تعالى: «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» .

****

ولقد قضى الله أن (تظل) هذه البلاد خالصة للتوحيد، مطهرة للركع السجود، حفيظة على أصول الإسلام.

ومن مظاهر قضائه ـ سبحانه ـ أنه كلما حاول الشرك، أو حاولت الوثنية أن ترفع صوتها، أو تنشر آثارها وموبقاتها، قيض الله عبدا من عباده الموحدين، وسخره ليدمدم على الوثنية، و يكبت سدنتها، و يلغى قبابها ومباخرها وسائر مظاهرها.

ومن هـؤلاء الأئمة الموحدين الداعين الى عقيدة التوحيد، الناصرين لمنهج أهل السنة والجماعة: الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وطيب ثراه، وأكرم نزله، وأعلى درجاته فى الجنة.

لقد ظهر الشيخ الإمام فى حقبه يمكن أن نسميها «حقبة انتشار البدع والجهالة»، كان كثير من الناس ـ فى تلك الحقبة ـ يفسدون عقائدهم و يلوثونها بما يبطل نياتهم وأعمالهم ، كانوا يتوسلون بغير ما شرع الله، و يستعينون بغير الله، و يدعون غير الله.

وكانوا يحكمون بغير ما أنزل الله.
وكانوا قد اتخذوا أضرحة وقبابا وقبورا مجصصة يؤمونها.

وكانت البدع والخرافات والأوهام، كالتطير والتنجيم والسحر قد انتشرت انتشارا ألغى وظيفة العقل والتفكير.

وكان الجهل طاما بسبب قلة العلم، وندرة العلماء، وبسبب أن كثيرا من العلماء الموجودين يومئذ قد التاث علمهم بحيث لا يزيد العامة إلا خبالا.

هنالك جرد الشيخ الإمام نفسه لله، وحمل لواء الدعوة، وتوكل على الله وصدع بالحق.

وكانت قضيته الكبرى هى: «التوحيد»، وهذا من توفيق الله له إذ يسره لكى يبدأ بما بدأ به الأنبياء والمرسلون.

وللاخلاص والصدق ثمارهما اليانعة فى هذه الحياة الدنيا، فقد أرى الله تعالى عبده محمد بن عبدالوهاب شيئا من ثمار غرسه، ونتائج عمله فى هذه الحياة «وما عند الله خير وأبقى».

وهذا من عاجل بشرى المؤمن.

نعم، واجه الشيخ مشقة وعنتا وصدودا بادئ ذى بدء، بيد أن الثبات على الحق، واليقين بأن الله سينصر دعوته، أذهبا المشقة والعنت والصدود.

وفى خلال سنوات تغير الحال، واستجاب الناس، وانتصرت دعوة التوحيد، ولا يذكر انتصار دعوة التوحيد إلا مقترنا ـ تاريخيا وموضوعيا ـ بذكر اماميها معا: الإمام محمد ابن سعود، والإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله. فبتوفيق الله تفاهم الرجلان العظيمان وتعاهدا على نصرة الإسلام ـ عقيدة وشريعة.

فقد علم الرجلان أن «الدين» هو الأساس الوحيد لقيام الملك وصلاحه واستقامته واستمراره، كما علما أن الدعوة ـ بلا سلطة أو دولة ـ تفقد امكانات الدعم والرعاية والحراسة.

وهذا منهج علمى وعملى صحيح، فإن الانفصال المروع بين الدعوة والسلطان جر المسلمين إلى ضعفين:

ضعف مكانة الدعوة على المستويين : الداخلى والخارجى.

وضعف الدولة من حيث تناقص الولاء ، واضطراب الأساس، ورفع البركة.

ان الحكم الإسلامى ظهير للدعوة ، وفى كنفه تظهر وتتمكن، وفى ذلك يقول الشيخ الإمام: «ان هذا الذى انكروه على وأبغضونى وعادونى لأجله إذا سألوا عنه كل عالم فى الشام واليمن أو غيرهما يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره فى «بلدى» لأجل أن الدولة لا ترضى «بذلك»، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم فى بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه».

****

وهناك أمر جد مهم، ينبغى الانتباه إليه ونحن نتحدث عن الإمام محمد بن عبدالوهاب ، هذا الأمر هو: «المنهج».

فللشيخ الإمام «منهج» ينبغى أن نتعرف على «خصائصه» ذلك أن هذه الخصائص كانت سببا ـ بعد توفيق الله ـ فى نجاح الإمام .

وإذ نبرز هذه الخصائص، ندعو العلماء وطلاب العلم إلى مزيد من البحث والدراسة، حتى يمكن استخراج المنهج المتكامل الذى استخدمه الشيخ وجدد أمر الدين فى ضوئه، وباستخراج هذا المنهج وتحريره يظفر طلاب العلم بأهم ما يحتاجون إليه وهو: «المنهج الصحيح».

ومن خصائص منهج الامام :

١ ـ المحاجة بـ «الدليل» والوقوف عنده.

٢ ـ الاعتماد على «منهج» أهل السنة والجماعة فى فهم الدليل نصا أو فى تكوينه استنباطا.

٣ - النفاذ إلى الموضوع دون لجاج، أو تطويل، أو لف ودوران أو اعتساف.
٤ - وضوح الرؤية ، واستبانة الطريق.
٥ - معرفة «الواقع» معرفة صحيحة.

****

وتوكيدا على منهج الشيخ الإمام ، وتجديدا لصياغة انتاجه العلمى، وتوسيعا لنطاق التعريف به، نظمت جامعة الإمام محمد بن سعود ندوة علمية موسعة، شارك فيها صفوة من علماء الإسلام ومفكريه ومثقفيه.

وكان من أهداف تنظيم هذه الندوة :

أولا : التقصى العلمى لكل ما كتبه الامام.
ثانيا : تحرير انتاجه على يد مجموعة من العلماء الموثوقين.
ثالثا : تصنيف هذا الانتاج وطبعه وتوزيعه .

وقد تم ذلك كله ولله الحمد والمنة.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حين بذلت هذا الجهد العلمى ، وأدت هذا العمل الفكرى،إنما انبعثت إلى ذلك بحافز أدائها لأهم وظائفها وهى: خدمة علوم العقيدة والشريعة. وطردا لأداء أهم وظائف الجامعة، انتخب «مركز البحوث» طائفة من البحوث التى قدمت فى تلك الندوة، وجمعها فى هذا الكتاب الذى نقدمه لطلاب العلم والدعاة بخاصة ، وللمسلمين بعامة ، بل لكل من يرغب فى التعرف على الحق، ويتحرى الخير.

وهذا الكتاب ثمرة طيبة من ثمار «مركز البحوث» الذى نأمل أن تكثر ثمراته، وأن يزدهر نشاطه العلمى والفكرى، وأن يطرد عطاؤه فى شتى المجالات التى تقع فى دائرة تخصصه واهتمامه.

ولئن تضمنت البحوث المنتخبة تقديرا لأصحابها ، فإن الجامعة لتذكر - بالتقدير والاعزاز - كل الذين أسهموا بإنتاجهم وجهودهم فى تلك الندوة.

لقد مضى القول بأن علوم العقيدة والشريعة لا تنتعش، ولا تقوى، ولا تتمكن ـ كما ينبغي أن تتمكن ـ إلا فى «حكم إسلامى» يحمى جناب التوحيد، ويطبق الشريعة، ويرعى الدعوة والدعاة. ولقد رأينا ذلك واضحا فى عهد الامامين: محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله.

ورأينا ذلك ـ حديثا ـ فى عهد الملك عبدالعزيز، حينما شجع العلماء على قيامهم بواجبهم فى نشر العلم والدعوة، ومن أبرز العلماء فى عهده سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله،الذى تولى تأسيس الكليات والمعاهد العلمية والاشراف عليها، وقد كانت نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولقد عرف ذلك بنو الملك عبدالعزيز وخلفاؤه،فلزموه من خلال حراستهم لعقيدة التوحيد، وتطبيقهم للحدود، ورعايتهم العظيمة لعلوم العقيدة والشريعة ، وخدمتهم الصادقة للدعوة.

وعلى سبيل المثال، فإن الامكانات التى تتحرك بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ ـ مالا، وحرية فى العمل والنشاط ، وتنظيما للندوات العلمية، وتشجيعا وتأييدا ـ إنما هى جزء من الامكانات التى تسخرها المملكة فى خدمة الإسلام والمسلمين.

من هنا، وتطبيقا لمبادئ الإسلام وأخلاقه فى الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم نقول: إن هذه المملكة هى القدوة فى الترابط الوثيق بين الدعوة والدولة، وبين الإسلام والسلطان، يرعى هذا الترابط ملك يعلم ـ كما علم جده الأعلى من قبل ـ أن «الدين» هو أساس الملك الصالح المستقر، ويعلم أن من أهم مسئوليات الملك الصالح : خدمة العقيدة والشريعة والدعوة.

وانا لندعو الله تعالى أن يؤيد ـ بنصره وتوفيقه ـ امام المسلمين ، وملك هذه البلاد فهد بن عبدالعزيز وولى عهده الأمين.

والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركى

مديـر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية

تعريف بأسبوع
الشيخ محمد بن عبدالوهاب
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بأسبوع الشيخ
محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه وبعد ...

فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالدعوة لعقد لقاء لمدة أسبوع تدرس فيه دعوة الشيخ الإمام المجدد المصلح محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ واستضافت نحو مائة وخمسين عالما وباحثا وداعية من خارج المملكة وداخلها .

وكانت الجامعة خلال أربع سنوات سابقة للقاء قد بذلت جهودا مكثفة لجمع تراث الشيخ من مظانه، وتحقيقه، وفهرسته، وطبعه طباعة جيدة، وقدمت ذلك للباحثين، كى يكون مصدرا أساسيا لبحوثهم .

وقد تلقت الجامعة من العلماء بحوثهم الموثقة بالمصادر الأساسية وقامت بطباعتها .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ تقوم بهذا العمل، إنما تنطلق من السياسة الحكيمة التى تتبناها حكومة المملكة العربية السعودية بدعم كل ما من شأنه جمع كلمة المسلمين، والعودة بهم إلى كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستنفار طاقاتهم للنهوض بالأمة الإسلامية، والتأسى برجالها المصلحين فى دعوتهم وجهادهم حتى تسترد حقوقها، وتستعيد مكانتها، وتؤدى واجبها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وفى الفترة من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى يوم الخميس ١٤٠٠/٤/٢٧هـ التى توافق ١٩٨٠/٣/٨م و ١٩٨٠/٣/١٤م كان انعقاد هذا اللقاء .

الموضوعات المطروحة للبحث فى الأسبوع :

رأت الأمانة العامة للأسبوع بعد البحث والمناقشة أن أهم الموضوعات التى يجب أن تطرح لاستكتاب العلماء والباحثين فيها هى:

١ ـ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية .
٢ ـ اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة .
٣ ـ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف .
٤ ـ الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
٥ ـ تأثر الدعوات الاصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ووجهت الأمانة العامة للأسبوع خطابات دعوة للعلماء والباحثين من مختلف أقطار العالم الإسلامى، تدعوهم فيها للكتابة فى واحد من هذه الموضوعات .

وزودت الأمانة العامة للأسبوع كل باحث بمجموعة كاملة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التى قامت الجامعة بتحقيقها ونشرها بهذه المناسبة .

حفل الافتتاح

وقد تم حفل الافتتاح لهذا اللقاء العلمى الهادف الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض. وبحضور حشد كبير من المدعوين، من المسئولين وأهل العلم والدعوة، وأساتذة الجامعات وطلاب العلم بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات. وابتدأ الحفل بآيات من كتاب الله الكريم، ثم ألقى صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبدالعزيز كلمة طيبة أشاد فيها بأهمية هذا اللقاء على تراث الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وحث على الدفاع عن الإسلام، وأداء الحكام والعلماء والمفكرين لواجبهم نحو تحمل الأمانة امتدادا لتاريخ أمتنا المجيدة .

ثم تلا ذلك كلمة معالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، وزير التعليم العالى، التى نوه فيها بمكانة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأشار إلى أن التاريخ وحده هو الكفيل بتسجيل هذه المكانة له .

ثم جاءت كلمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. وألقاها نيابة عنه الشيخ عبدالعزيز الفالح، الأمين العام لهيئة كبار العلماء. وقد أشار فى كلمته إلى نعمة الإسلام الكبرى وأن مستقبل المسلمين مرهون بالتمسك بالإسلام وتطبيق شريعته فى شئون الحياة كلها .

ثم ألقى معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة رحب فيها بالحضور، وتمنى لهم أقامة سعيدة وعودة حميدة، وألمح إلى اعتزاز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعقد هذا اللقاء العلمى، وما سبقه من جهود للاعداد له، وتمنى أن يثمر هذا اللقاء أطيب الثمار، وأكد على أهمية الأثر الواضح فى تلاحم الدولة والدعوة، وما أحرزه ذلك من نجاح فى تطبيق شرع الله، وذلك فى التقاء الإمام محمد بن سعود بالإمام محمد بن عبدالوهاب، وتعاهدهما على نصرة دين الله .

ثم ألقى كلمة أعضاء الأسبوع الدكتور إسحاق أحمد فرحان، أستاذ التربية بجامعة اليرموك بالأردن، ورئيس الجامعة الأردنية السابق، أشاد فيها بفكرة عقد هذا اللقاء، وشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على أعمالها السديدة، وما قامت به من جمع تراث الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتيسير نشره، ودعا إلى توحيد كلمة المسلمين والتقائهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم توجه الجميع لافتتاح معرض الكتاب الإسلامى الذى أقيم بهذه المناسبة .

وقد تم اختيار معالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رئيسا للقاء، واختيار الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وكيل الجامعة وأمين عام الأسبوع نائبا للرئيس، واختيار الدكتور إسحاق أحمد فرحان مقررا عاما .

وتم الاتفاق كذلك على أن تناقش الموضوعات فى لجنتين :

اللجنة الأولى : وتناقش البحوث المقدمة فى الموضوعين الآتيين :

١ ـ اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة .
٢ ـ صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوة السلف .

وقد انتخب فضيلة الشيخ مناع خليل القطان رئيسا لهذه اللجنة، والدكتور سيد حجاب مقررا لها .

اللجنة الثانية : وتناقش البحوث المقدمة فى الموضوعات الآتية :

١ ـ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية .
٢ ـ الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ .
٣ ـ الدعوات الاصلاحية التى تأثرت بها .

وقد انتخب فضيلة الدكتور عبدالله العجلان رئيسا لهذه اللجنة، والدكتور محمد إبراهيم نصر مقررا لها .

الندوات والمحاضرات:

عقدت أثناء الأسبوع ندوات هى :

الندوة الأولى : وموضوعها: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية . واشترك فيها:

١ ـ الشيخ محمد بهجت الأثرى .
٢ ـ الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك .
٣ ـ الشيخ إسماعيل الأنصارى .

وقد أدار الندوة الشيخ محمد بن عبدالله العجلان، وكيل الجامعة .

الندوة الثانية: وموضوعها: اعتماد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، وصلتها بمذهب السلف .

واشترك فيها :

١ ـ د . محمد فتحى عثمان .
٢ ـ د. عبدالله عبدالماجد .

وأدار الندوة الدكتور على عبدالحليم محمود .

الندوة الثالثة: وموضوعها: الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ .

واشترك فيها :

١ ـ الشيخ عطيه محمد سالم .
٢ ـ د. محمد سلام مدكور .
٣ ـ د. وهبه الزحيلى .

وأدارها الدكتور اسحاق الفرحان .

كما ألقى الأستاذ حمد الجاسر محاضرة بعنوان : المرأة فى حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

البحوث المقدمة لاسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب

مسلسل	عنـوان البحث	اسم الباحث
١	حياة الشيخ محمدبن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ أحمدبن عبدالعزيز آل مبارك
٢	محمد بن عبدالوهاب ودعوته إلى التوحيد	د. التهامى نقرة
٣	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ محمدبن أحمد العقيلى
٤	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ عبدالحفيـظ عبد العال
٥	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ يوسف جاسم الحجى
٦	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ أحمد زبارة
٧	الامام محمد بن عبدالوهاب فى مدينة الموصل	اللواء الركن.محمود شيت خطاب
٨	المرأة فى حياة إمام الدعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب	الشيخ حمد الجاسر
٩	الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب	د. عبدالله العثيمين
١٠	حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآثاره العلمية	الشيخ إسماعيل محمد الأنصارى
١١	اعتماد دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	الشيخ محمد يوسف
١٢	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	الشيخ مناع خليل القطان
١٣	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم
١٤	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	الشيخ عبدالله بن سعد الرويشد

تابع

مسلسل	عنوان البحث	اسم الباحث
١٥	اعتماد دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب على الكتاب والسنة	الشيخ سياج الدين كاكاخيل
١٦	منهج دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب التميمى النجدى والتصور السودانى لهذه الدعوة	د.عبدالله عبدالماجد
١٧	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	الشيخ الغزالى خليل عيد
١٨	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	د. عليعبدالحليم محمود
١٩	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب السلف	الشيخ أحمد عبده ناشر
٢٠	السلفية فى المجتمعات المعاصرة	د. محمد فتحى عثمان
٢١	خصائص التفكير الفقهى عندالشيخ محمدبن عبدالوهاب	د. عبدالوهاب ابراهيم أبوسليمان
٢٢	الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ المودودى رحمهما الله.	الشيخ محمد يوسف
٢٣	الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب	د.عبدالرحمن عميرة
٢٤	الشبهات التى أثيرت حول دعوة الامام محمدبن عبدالوهاب والرد عليها	الاستاذ عبدالكريم الخطيب
٢٥	الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب	الشيخ محمد نسيب الرفاعى
٢٦	دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب بين التأييد والمعارضة	أ .د. محمد محمد حسين
٢٧	الدعاية المعادية للوهابية فى شبه القارة الهندية	الشيخ محمد عبدالرحمن
٢٨	الزعامة على ألسنة اقلام النقاد	الشيخ صالح أوزجان

تابع

مسلسل	عنـــوان البحـــث	اسـم الباحث
٢٩	الوهابيون والتقويم المعاصر لهم	د.عبدالبارى عبدالباقى
٣٠	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب	أ.د. محمدسلام مدكور
٣١	أثر دعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب فى غرب أفريقيا	الاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمى
٣٢	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ	د. وهبــة الزحيلـى
٣٣	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية فى تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	الشيخ اسماعيل أحمد
٣٤	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	الاستاذ أنور الجندى
٣٥	أثـر دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب فى الفكر الاسلامى الاصلاحى بالجزائر	د. عبدالحليم عويس
٣٦	دعوة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها	الشيخ عطية محمد سالم
٣٧	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى حركة عثمان ابن فودى الاصلاحية فى غرب أفريقيا	د. مصطفى محمد مسعد
٣٨	دعوة الشيخ وأصداؤها فى فكر محمد اقبال	د.محمد السعيد جمال الدين
٣٩	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	الاستاذ نجيح أحيد عبداللــه
٤٠	تأثر الدعوات الاصلاحية فى العالم الاسلامى بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهــاب	الشيخ عبد القـدوس الانصارى

النتائج والتوصيات

من خلال مناقشة الأبحاث المقدمة، وما عرض فى اللجان والندوات من آراء وأفكار يقرر المؤتمرون النتائج والتوصيات التالية:

١ ـ أن التجربة الرائدة فى العصر الحديث، تتمثل فى التلاحم الوثيق بين الدعوة والدولة، وذلك فى مناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهذه التجربة هى الصيغة الإسلامية الأصلية لقيام الدولة فى الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة على أسس راسخة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى المسلمين كافة أن يعمقوا هذه التجربة الفذة فى تعاون العلماء والحكام على اقامة حكم الإسلام، وتطبيق شريعته، وشد أزر الدعوة الإسلامية مما يعود على الناس كافة بالنصر والتمكين فى الدنيا والفوز والسعادة فى الآخرة .

٢ ـ أن المسار الصحيح للدعوة الإسلامية إنما يكون باستنادها إلى أصول الدين الحنيف، ومصادره من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فتستمد من هذه الأصول والمصادر وسائلها وأهدافها، وتصوغ أوجه نشاطها صياغة إسلامية وفق ما جاء عن الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سار عليه سلف الأمة الصالح .

٣ ـ أن الدعوة التى قام بها الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوة إسلامية أصيلة، نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهى حلقة من حلقات الاصلاح والتجديد فى أمة الإسلام عبر القرون والأجيال مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وهى فى مجال التطبيق تلتزم باتباع النصوص الشرعية والاجتهاد فى إطارها، والاسترشاد بأقوال الأئمة السابقين .

ويرى المؤتمرون ضرورة العمل على اعداد طائفة من العلماء ذوى المواهب الخاصة، وتأهيلهم تأهيلا يمكنهم من الاجتهاد فيما يجد من قضايا ومشكلات فى ضوء الكتاب والسنة، حتى تحكم الحياة فى جميع مجالاتها بشريعة الإسلام .

٤ ـ أن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أثرا واضحا وملموسا فى الدعوات والحركات الاصلاحية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى، وبعث الثقة فى نفوس الدعاة والمصلحين بإمكان نصر الدعوة واتخاذ الإسلام منهج حياة .

ويؤكد العلماء المؤتمرون أن المعيار فى وزن الدعوات وتقويمها يرتكز على مدى التزامها بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثر السلف الصالح فى الاعتقاد والعلم والعمل والصبر ومحاربة ضروب الشرك والخرافات والبدع .

٥ ـ أن حياة أئمة الإسلام العاملين من المجددين والمصلحين، بما تميزت به سيرهم من حرص على العلم النافع والعمل به، ودعوة الناس إلى الحق كما جاء فى القرآن والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، والصبر على ما تقتضيه الدعوة من مواصلة الجهاد والثبات فى مواجهة التحدى، والثقة بعون الله والاعتزاز بدينه اتباعا لأمره وابتغاء مرضاته ـ أن حياة هؤلاء الدعاة المهتدين المجاهدين تعد النموذج الرائع لتربية الدعاة واعداد العلماء المصلحين. مما يوجب أن توجه الجامعات والمعاهد والمؤسسات والمراكز الإسلامية عنايتها إلى دراسة حياة هؤلاء العلماء المصلحين العلمية والعملية، وتحليلها للاستفادة مما تحفل به من دروس نافعة حتى تقتفى الأجيال خطاها وتتأسى الناشئة بها، وفى هذا الاستيعاب لمآثر أئمة الاسلام، وأعمالهم الجليلة وسيرهم الراشدة فى مجال التربية والتوجيه والاعداد والسلوك، تجديد دائم لدعوة الإسلام فى زمن يحتاج فيه المسلمون إلى تألقها، ودفق عطائها، واشراق ضيائها .

٦ ـ أن إيقاظ روح الجهاد الإسلامى قولا وعملا هو الطريق الصحيح للتصدى الحازم لما تواجهه أمة الإسلام من تحديات .

ويرى المجتمعون ضرورة اجتماع كلمة القادة فى الشعوب الإسلامية على الحق، وتوحيد جهودهم، واستنفار طاقات شعوبهم لبعث روح الجهاد فى سبيل الله والأخذ بأسبابه، وإعداد العدة له بما فى ذلك الاعتماد الذاتى فى توفير السلاح بإقامة المصانع الحربية اللازمة، حتى لا يظل المسلمون معتمدين فى تسليحهم على الشرق أو الغرب .

كما يرون ضرورة تقديم العون المالى والعسكرى للمجاهدين فى كل بلد مسلم يقاوم الظلم والطغيان، وبخاصة تقديم العون لتحرير فلسطين المسلمة من وطأة الاحتلال الصهيونى الغاشم الذى انتهك الحرمات الإسلامية المقدسة، وارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطينى المسلم .

ويرون أيضا أن الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا مطالبة بتأييد حركات الجهاد الإسلامى لتحرير أفغانستان المسلمة، ودعم جهاد المسلمين فى اريتريا والفلبين وغيرهما .

٧ ـ أن للمرأة المسلمة أثرها الطيب فى تاريخ الإسلام على مر العصور، كما أن لها نصيبا فى تحمل أعباء الدعوة، وهذا أمر يستحق التقدير ويستوجب أن يعنى الدعاة إلى الله بالمرأة حتى تأخذ مكانها المناسب، من حيث إعدادها إعدادا صالحا لتربية جيل مسلم صالح، وإسهامها فى مجال الدعوة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

٨ ـ أن الشبهات التى أثارها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هى من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها من كتابات الشيخ ومنهجه فى الدعوة .

ويجدر بالدعاة فى مختلف أنحاء العالم أن يسلكوا فى سبيل دعوتهم الأسلوب الحكيم الذى يدحض بقايا هذه الشبهات، ويوضح الحق الذى دعا إليه الامام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .

٩ ـ ضرورة العناية بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة، لدراسة العقيدة وإعداد

الدعاة إلى الله وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام والمعاهد والكليات القائمة .

وأن يكون بين هذه الكليات والمعاهد والأقسام فى العالم الإسلامى تنسيق وتعاون. ويوصى المؤتمرون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتقوية روابطها مع هذه الكليات والمعاهد، وتقديم الدعم العلمى والمالى لها، لتحقق أهدافها .

١٠ ـ أن نشر الدعوة الإسلامية يتطلب الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة، وإعداد فئة من رجال الاعلام المثقفين ثقافة إسلامية واسعة عن طريق إنشاء كليات ومعاهد وأقسام متخصصة فى الاعلام الإسلامى، لينقى هؤلاء الاعلام فى البلاد الإسلامية من كل ما يتعارض مع الإسلام، وليوجهوه توجيها إسلاميا تعالج من خلاله قضايا المسلمين، ويسهم فى تربية ناشئتهم وينشر الإسلام على الناس كافة .

١١ ـ ان التقاء علماء الإسلام لمدارسة أحوال المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله والعودة إلى الكتاب والسنة، والتزام أحكام الشريعة الاسلامية، مما يساعد على الصحوة الاسلامية ويعزز مسارها .

ويرى الأعضاء أن موسم الحج يتيح فرصة طيبة لمثل هذا اللقاء، وعلى مؤسسات الدعوة والجامعات والهيئات أن تتحمل مسئولياتها ازاء تحقيق هذه الغاية فى موسم الحج وغيره من المناسبات .

١٢ ـ أن تعنى سفارات الدول الإسلامية بعامة وسفارات المملكة العربية السعودية بخاصة بشئون الدعوة الإسلامية، وذلك بتوثيق علاقاتها مع المراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية، ودعمها وتوحيد جهودها، والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها .

١٣ ـ أن الاعتراف بالحق لذويه، والتذكير بتراث الأئمة المصلحين، والعناية بدراسته والافادة منه، مما تعنى به الأمم الواعية فى تاريخها، ولذا يرى المؤتمرون:

أ ـ أن تتابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خدمة تراث ورسائل الشيخ

محمد بن عبدالوهاب، وتحقيقها تحقيقا علميا،ونشرها .

ب ـ إقامة مكتبة خاصة بتراث الامام محمد بن عبدالوهاب وتلامذته، ومن نهج نهجه فى الدعوة .

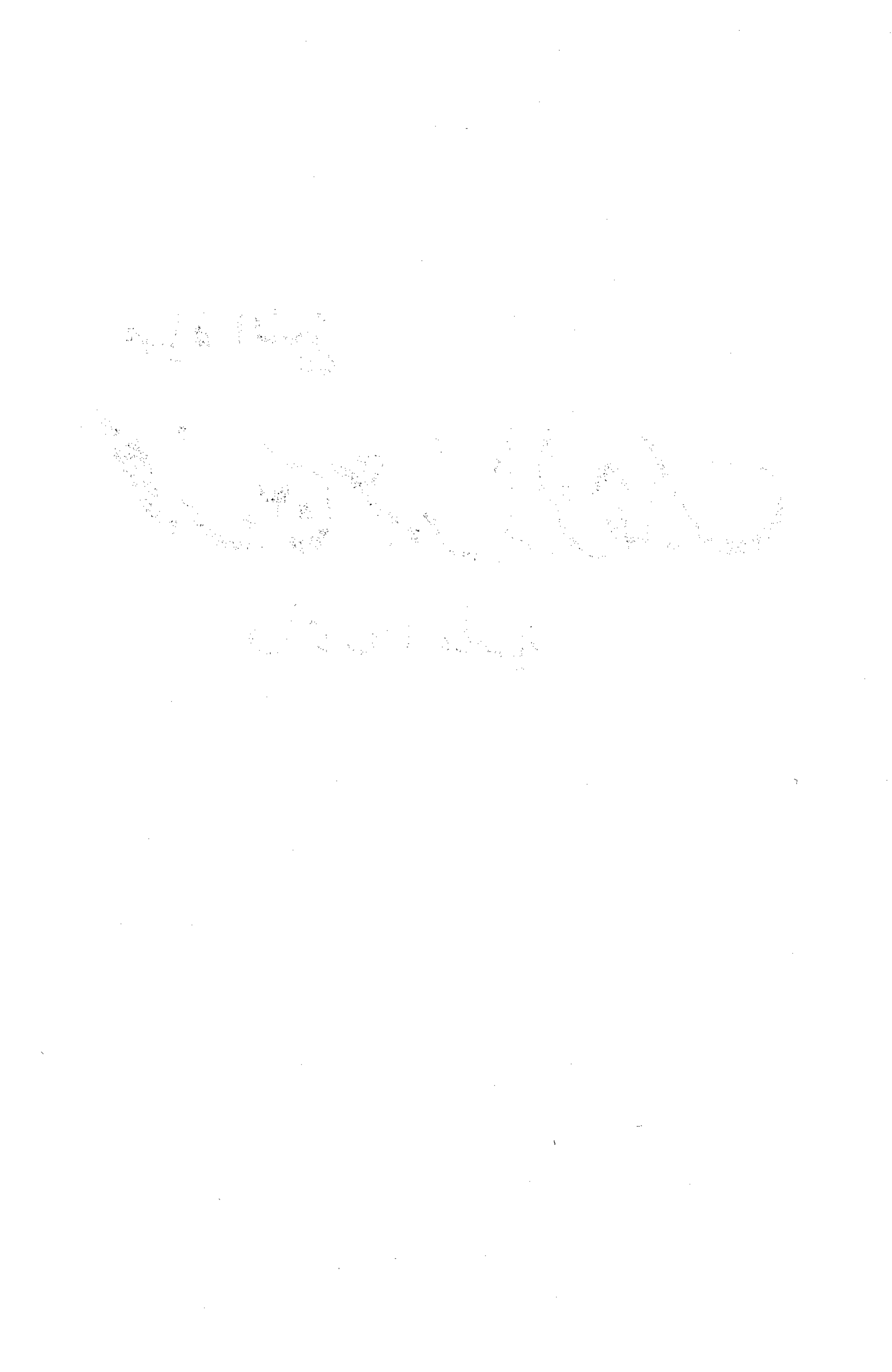
جـ ـ القيام بالدراسات التحليلية لها من أجل استخلاص الدروس والعبر النافعة منها .

د ـ ترجمة المختار منها إلى لغات الشعوب الإسلامية وبعض اللغات الحية .

حياة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

وآثاره العلمية



محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد

للدكتور
التهامي نقرة

أستاذ محاضر في دراسات القرآن والسنة
بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس
ومستشاراً بالأمانة العامة للجامعة العربية بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة التوحيد

أجل ما فى الإنسان قلبه مستقر المعرفة واليقين، وخير ما يثبت فيه عقيدة إلهية واضحة المعالم عميقة الجذور، يغذيها بحياته فتهب له أسمى ما فى الحياة، وتفتح له آفاق الإيمان، منبع الأحاسيس الرفيعة، ومصدر العواطف النبيلة .

وإذا استقر الإيمان فى الوجدان امتزج باليقين، فكان أطيب ثمراته الثقة فى الله وصالح الأعمال، وهو المعنى الذى أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل»[1].

فالايمان هو النور الذى إذا افتقده الإنسان، غشيه الظلام، وضل سعيه فى الحياة الدنيا، ومن هنا كان أفضل آلاء الله على عباده هدايتهم للإيمان .

قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (الحجرات - ١٧)

وما العقيدة الإلهية إلا عقيدة التوحيد التى بها ارسل الله رسله، وأنزل كتبه وجعلها وصيته فى الأولين والآخرين، فقال جل شأنه.

«شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»

(الشورى - ١٣)

(١) لم يصح رفعه والمشهور أنه من كلام الحسن البصرى .

فأصول العقيدة وقواعد الايمان التى لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الأفراد والأقوام هى التى أوصى بها رسله، إذ أن دين الله واحد، وحقيقته التوحيد.

وقد رويت الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم أكد هذه الحقيقة فى مثل قوله: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»...

ومن هنا يمكن القول بأن أقدم ديانة ظهرت فى الأرض هى عقيدة التوحيد، وأن التوحيد ليس نهاية الأطوار، بل هو البدء والختام .

وأن الوثنية ليست إلا أغراضا طارئة، نفثت سمومها عندما نسيت الإنسانية تعاليم السماء وانتابت عقيدتها انحرافات، وتمكنت منها أوهام وخرافات، فعن عياض المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى إحدى خطبه: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ...»

وما تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق، صادة عن سبيل الله، صارفة عن وحدانيته، داعية إلى الشرك .

وكم عانى رسل الله فى سبيل الدعوة إلى التوحيد، واجتثاث الوثنية، فكان أول ما بدأ به نبى الله نوح عليه السلام أن دعاهم إلى عبادة الله وحده .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »

(الاعراف ٥٩).

وكذلك كانت دعوة هود وشعيب وصالح وغيرهم من الرسل عليهم السلام، كل يقول لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

والمتأمل في سيرة خليل الله ونبيه ابراهيم عليه السلام، وما لاقاه من قومه عبدة

الأوثان كما بين ذلك القرآن، يتجلى له فى وضوح جهاد رسل الله، ولا سيما أولـو العزم منهم فى مقاومة تيار الوثنية، والأخذ بأيدى الضالين الى حظيرة الوحدانية .

فدين الله فى جميع الأزمان هو إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية، وما دام الله واحدا فلا بد أن يكون الدين واحدا فى العقيدة، ولكن الناس قد تطغى عليهم الرواسب والفلسفات والأوهام، فتذهب بهم كل مذهب، وليس لهم برهان من عقل ولا سند من نقل، فيضلون ويضلون، ويلبسون الحق الذى جاءت به رسل الله اليهم بالباطل الذى صنعته ظنونهم وعقولهم، كما فعل اليهود والنصارى إذ ثاروا بالفلسفة الإغريقية التى تعدد الآلهة، وتزعم أن الله ـ سبحانه ـ قد أولد الأشياء، وأن طبيعة الخلق إنما هى ولادة شئ منه وصدوره عنه كما تفيض العيون بالمياه، وقد عجزت عقولهم عن تصور خلق الله بنحو الإبداع، ان يقول للشئ كن فيكون، لأن قدرته ذاتية.

فانحرف الزيغ باليهود إلى مهاوى الشرك، فادعوا أن لهم إلها خاصا بهم، وهو إله إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهة أخرى، ولم يخلص إلههم من صفات الحوادث ولا من شوائب النقص والتجسيم حتى فى أحدث توراتهم المزعومـة كأسفـار التثنية والعـدد واللاويين بل بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم، ومن ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من ذهب .

وزادت عقيدتهم فى الله ارتكاسا فى العهد الذى ألف فيه التلمود وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد[٢].

كما زاغت النصارى بعقيدة الثالوث وهو الآب والابن وروح القدس، ولم تكن هذه العقيدة موجودة فى العهد الجديد، ولا فى أعمال الحواريين ولافى تلاميذهم الأقربين بل كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، ولكن بولس هو الذى خالف عقيدتهم، وزعم أن المسيح أرقى من إنسان، وأنه عقل سام متولد عن الله، وكان موجودا قبل أن يوجد العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك

---

(٢) انظر: اليهودية واليهود، على عبدالواحد وافى ـ ٣٥ ـ ٤٢ (ط. مصر دار الهنا للطباعة) .

تابع للإله، وان الثلاثة مع ذلك إله واحد رغم أن كل واحد منها مستقل عن الآخر، تعالى الله عما يقولون.

وعقيدة الثالوث موجودة فى ديانة قدماء المصريين، وفى ديانة البراهمة لدى ملايين الهنود والصينيين والبوذيين.

ومن طريف ما يروى أن مسلما قال لأحد القساوسة: «إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: هذا محض افتراء، فإن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم وكيف وقد كنت تقول فى وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب ؟ فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة ؟

قال أحد الشعراء:

عجبا للمسيح بين النصارى ... وإلى الله والدا نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه
فلئن كان ما يقولون حقا ... فسلوهم، فأين كان أبوه
ولئن كان راضيا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه[٣]

دعوة الإسلام إلى التوحيد:

وإذا كان التوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول كما يقرر ذلك القرآن فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

« وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ »
(الأنبياء ـ ٢٥)

فإن الإسلام هو دين التوحيد الخالص المطلق، وجوهر عقيدته ومحور عباداته وركيزة تعاليمه، والطابع المميز له بعبودية الانسان لله وحده، ومن ثم كانت عنايته

(٣) سيد سابق: العقائد الاسلامية: ٦٤ (ط. مصر ١٩٦٧).

الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التى يجب أن يستقر عليها الضمير البشرى فى حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق، وعلاقة الخلق بها ...فتستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وأخلاقهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وما كان يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وتتجلى خصائصها(٤).

جاء الإسلام وفى العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والشعائر والتقاليد، اختلط فيها الحق بالباطل، والدين بالخرافة.والضمير البشرى يتخبط فى ظلمات وظنون لا يستقر معها على يقين، ولا بد للإنسان من عقيدة تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله.

أما الجزيرة العربية التى نزل فيها القرآن فقد كانت تعج بركام من باطل المعتقدات التى تسربت إليها من اليهودية والنصرانية والفرس ومن الوثنيات القديمة.

فمنهم من عبدالملائكة، ومنهم من عبد الجن، ومنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد الأصنام إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها.

وكان بالكعبة التى بنيت لعبادة الله الواحد نحو ثلاثمائة وستين صنما، وقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التى كانت سائدة فى الجاهلية قبل البعثة المحمدية، وأشار إلى كل ذلك بوضوح فى عدة سور منه(٥)، وكان جل ما نزل منه فى المرحلة المكية ومدتها ثلاث عشرة سنة يهدف إلى إنشاء عقيدة التوحيد ونشرها فى قوم لم يكلفوا بشريعة قط، لوجودهم فى فترة من الرسل تمتد من اسماعيل إلى محمد عليهما السلام، وهى مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

---

(٤) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامى ومقوماته: ٤٢ (ط٢ ـ ١٩٦٨)

(٥) كسورة الزمر: ٣ : ٤ ـ والزخرف : ١٥ ـ ٢٠ وسبأ : ٤٠ـ٤١ والصافات ١٤٩ ـ ١٥٩، والنجم : ١٩ ـ ٢٨.

« لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »
(القصص - ٤٦)

وبتعاقب الأجيال والوراثة والتقليد كاد يتأصل فيهم باطل الشرك ويستحكم، حتى صار من العجب أن يقال لهم «الله واحد[٦]»

« أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ »

(ص : ٥) .

وكم ضرب القرآن من أمثال، وساق من أدلة، وأقام من براهين، على إثبات أن الله واحد فى ألوهيته.

وفى ذاته، فلا شريك له فى ملكه، وليس كمثله شئ.

وفى صفاته، فليس فى أحد من الصفات ما يشبهها.

وفى أفعاله، فليس فى أحد غيره مثل فعله، كل شئ فى قبضته، وجميع الأمور إليه.

وكم فى القرآن ما يعد تصحيحا لما وقعت فيه الديانات المحرفة، والفلسفات الخابطة فى الظلام .

ثم إن المساحة التى تشملها حقيقة التوحيد فى ضمير المسلم، وفى عباداته ومعاملاته وفى حياته الخاصة والعامة بعيدة الأغوار فسيحة الأرجاء، حتى صار كل شئ فى الإسلام مقاما على التوحيد، ومنبثقا عنه، والمسلم يساق من باطنه لا من ظاهره، والعقيدة هى التى تلقى ظلها على حياته، لذلك اعتبرها القرآن غاية فى ذاتها .

قال ابن القيم: «ان كل آية فى القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه: فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبى، وإما إلزام بطاعته فى أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل

---

(٦) التهامى نقرة : سيكولوجية القصة فى القرآن : ١١١ (ط تونس ١٩٧٤).

توحيده وطاعته وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك مما فعل بهم فى الدنيا من النكال، وما يحل بهم فى العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم[(٧)].

فالرجوع إلى الله وحده فى التحريم والتحليل وفى التشريع ومنهج الحياة وميزان القيم والاعتبارات والتوجه إليه وحده فى الطلب والعبادة والرجاء والخشية والتقوى هو من مقتضيات التوحيد: توحيد الألوهية والسلطان.

لذلك كانت كلمة «لا إله إلا الله» هى مفتاح الإسلام إذ بها يخضع المؤمن لعقائده وأحكامه.

فهى شهادة تتضمن إيمانا تاما بأن الله وحده هو مصدر الخلق والمعرفة وهدف العبادة.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذ إلها وأشرك مع الله غيره، لأنه سبحانه منتهى مطلب الحاجات، ومن عنده وحده نيل الطلبات.

« هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ »
(غافر ـ ٦٥).

والتوحيد الخالص لله عز وجل ليس بالأمر الهين، إذ هو يتطلب معرفة ويقينا، ومراقبة وخشوعا ومجاهدة للنفس، حتى يكون الله هو غاية المؤمن فى أقواله وأعماله، وأن يكون لديه أكبر من كل شئ، إذ بيده أجله ورزقه، ونفعه وضره، وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغرسه فى قلب ابن عباس وهو غلام ناشئ حين قال له، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله

(٧) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين : ج ـ ٢٨٩/٣ (ط مصر ـ ١٣٣١)

لك ... وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ... (رواه الترمذى). وبهذه العقيدة التى بثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلوب المؤمنين وصهرها فى نفوسهم، كتب الله لهم النصر فى مواجهة الطغيان رغم قلة عددهم وعدتهم، وأخرجهم من كل محن الابتلاء ظافرين، لأن ايمانهم بالله بلغ درجة اليقين، فهانت عليهم متع الدنيا، واستجابوا لله حين دعاهم لما يحييهم، رغم ما سلط عليهم أعداء الدين من سياط الوحشية والإرهاب، ولم يتخل النصر عن المسلمين إلا حين اهتزت عقيدتهم، واختل إيمانهم.

خطر فساد العقيدة:

وإذا لم يكن على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التوحيد فى عقيدة الإسلام الذى هو الدين عند الله، يصون الروح عن دنس الشرك، وتحريرها من الخنوع لغير الله، والعبودية لكل ما سواه، وخلوص العمل من آفة الرياء، وكان من عاجل ثمراته تلك النماذج البشرية الرفيعة التى ضربت أمثلة رائعة فى الكمال الإنسانى، أولئك الذين قيل لهم «إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ» .

كانوا أعزة تأبى نفوسهم الذلة والاستكانة، لأنهم مرتبطون بالله الواحد الأحد، يستمدون منه العون والسند، ولا ينصاعون للظالم وإن قويت شوكته، وعلا فى الأرض، وانهم معتصمون بحبل من الله متين، ولا تغرهم الحياة الفانية، ولا نعيمها الزائل، لأنهم واثقون بأن ما عند الله خير وأبقى.

إذا كان هذا أثر العقيدة الإلهية فى النفس والحياة، فإن الانحراف بها عن جوهر التوحيد الخالص الذى دعم بناءه وأقام دعائمه على حقيقة الإسلام الأولى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، هو عدول عن منهج الدين القيم وضلال عن سبيل الله، وتلويث للفطرة السليمة .

وإذا أقفرت الروح من روحانية صادقة، ملأ فراغها الشيطان بأوهام وأباطيل ما

أنزل الله بها من سلطان، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة فى أكثر من آية بما لا يدع مجالا للشك كقوله عز وجل:

«...إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (يوسف ـ ٤٠).

«قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» (الأحقاف: ٤)

فأى تمزق ينشئه التصور الخاطىء فى ضمير المسلم وحياته، هذا التوزع فى التوجه والدعاء والرجاء والشعور والعبادة إلى غير الله ؟ إن معقد الدعاء والرجاء هو الذى يملك مفتاح العطاء، وهو واهب الحياة، وليس الذى وهبت له الحياة !

وحس الإسلام فى تمحيص القلوب، ونقد الخطرات والاتجاهات مرهف شديد الحساسية، فكيف يسمح لمسلم أن يسلم وجهه لغير الله ويرجو غير الله، وينزل فى وهدة يذل فيها لمن هو دونه، أو لمخلوق مثله فى البشرية ؟

لذلك حذرنا من الشرك بكل صوره وأشكاله، لأن مساربه كثيرة، ومزالقه قد تدق وتخفى فلا يكاد يراها إلا الذين قدروا الله حق قدره، كما ورد فى الأثر: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا فى الليلة الظلماء» وقد تصير أسباب الهداية بالجهل وسوء الاختيار ذريعة إلى الضلال والغواية، ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله، فيقول:

«وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا» (الفرقان ـ ١٧ و ١٨).

قال يحيى بن معاذ: (إن للتوحيد نورا، وللشرك نارا، وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين)-فاذا رأيت المرء يخشى الناس ولا يخشى الله، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويبتغى رضاهم أكثر مما يبتغى رضاه، ويهرع بالنذور والحاجات الى من يظنه بابا لله،ويطلب منه ما لا يجوز أن يطلبه من غير الله، وإن أصابه خير نسى ربه، وإن اصابته فتنة انقلب على وجهه، فاعلم أنه قد أصابه دخل فى توحيده، وخلل فى إيمانه، ورقة فى دينه .

ومن المسلمين من ينسى الحق إذا طال عليه الأمد، ويألف المنكر إذا تكرر أمامه وعمت به البلوى، فيجرفه التيار، ويظن أنه أحسن صنعا حين لم يخرج عن الجماعة، ولم يشذ عنها فى موقف أو رأى أو عادة .

ومتى تكرر المنكر وأصبح الخاصة والعامة يرونه بأعينهم ويسمعونه بآذانهم ويلمسونه بأيديهم، زال قبحه من أنفسهم إلا من عصم الله من أهل العلم الأتقياء الأقوياء، أولئك الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم، ولا يسكتون عن الحق خائفين أو مجاملين، ولا مترخصين أو متأولين، وحمد الناس لا يغريهم، كما أن ذمهم لا يثنيهم، وهم قلة نادرة وسط الغثاء، وفيهم من أيقظه الله للإصلاح، ومن بعثه الله على رأس مائة سنة ليجدد أمر الدين كما جاء فى الحديث، فانبرى كالسهم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويحيى روح التوحيد المطلق، ويجلى عن القلوب ما ران عليها من غشاوة الجهل والبدعة، حتى يكون الدين كله لله، وإن حمله ذلك من أذى المبطلين ومقتهم عناء وجهدا وجهادا، ولكنه يقابل السفه بالحلم، والأذى بالصبر والعفو، والعظائم لا يتصدى لها أو ينهض بها غير العظماء .

يروون أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول فى دعائه:

«اللهم من كان من هذه الأمة على غير حق ـ وهو يظن أنه على حق ـ فرده إلى الحق

ليكون من أهل الحق - اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد فداء فاجعلنى فداء لهم ...»[٨].

إن هذا الجهاد لا يقل خطرا وشأنا عن جهاد الحرب بالسلاح، بل هو رغم مغارمه وأهواله يرجح بكل ما ينشد الانتهازيون من مال وجاه .

إنه إصلاح ودعوة لا ينتصر فى ساحتها إلا من طهر نفسه، ونقى قلبه، وبايع بالإخلاص والولاء ربه، ونور بالعلم والمعرفة عقله وتسلح باليقين وقوة الحجة، وكان هدفه الأسمى أن يحرر النفوس من عنت الأهواء الجامحة، والجاهلية الغاشية، بما يقدمه من تضحية فى سبيل الحق، وصبر على البلاء، ونشر لتعاليم السماء، وتخليص لها من شوائب المنكرات والبدع، وترغيب فى الخير بما يشيعه بسمو أخلاقه من نبل وفضل.

ومن بين هؤلاء المجددين المصلحين صاحب الدعوة السلفية شيخ الإسلام.

محمد بن عبدالوهاب:

ولد رحمه الله فى بلدة العيينة من نجد سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة. وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، وتلقى مبادئ العلوم والفقه الحنبلى عن والده مفتى عيينة وقاضيها، ثم سافر الى الحجاز فى طلب العلم، وكان كثير التردد على علماء مكة والمدينة، مثل العالم الشيخ حياة السندى المدنى صاحب الحاشية على صحيح الإمام البخارى.

ثم ارتحل الى البصرة فتعمق فى درس الحديث والفقه .

وبعد ذلك قصد بلدة حريملاء حيث كان والده الشيخ عبدالوهاب قاضيا، وإذا خلا بنفسه عكف على دراسة كتب التفسير والحديث، ومؤلفات العلامة ابن تيمية ومؤلفات

---

(٨) محمد الغزالى (من معالم الحق) ١٣٦ (ط. مصر ١٩٦٣)

تلميذه ابن قيم الجوزية، وكان تأثره بهذين العالمين الجليلين واضحا فى كتاباته وأفكاره واستدلالاته.

وفى حريملاء جرت حادثة جعلته لا يطمئن على الإقامة بها، فرجع إلى بلدة العيينة فتلقاه أميرها عثمان بن معمر بحسن القبول، وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التى يعظمها أهل القرية ويذبحون لها، كقبة زيد بن الخطاب، وشجرة أبى دجانة، فساءه ما يرى من هذا الخبط فى الضلال، وأقنع أمير البلدة بأن ما يفعله أهلها منكر وبدعة لا بد من وضع حد لها.

فخرج معه يصحبها عدد من الجنود فقطعوا الأشجار التى كان الناس يلوذون بها وهدموا المشاهد والقباب، ومن بينها قبة زيد بن الخطاب، فشكوه الى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك، فأرسل كتابا إلى عثمان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلده، فخرج منها وولى وجهه نحو الدرعية حيث نزل ضيفا عند أحد تلاميذه وهو الشيخ احمد ابن سويلم العرينى، وذلك سنة ١١٥٨هـ، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود زاره فى بيت مضيفه،وجرى بينهما حديث حول ما يرى فى قوم أهل نجد من الشرك الخفى والبعد عن عقيدة التوحيد، وتسرب البدع المنكرة كدعاء الأموات، وتقديس بعض الأشجار والأحجار، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكان أهل نجد ينتابون قبرا يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور الصحابى المعروف يسألونه قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشجرة تسمى الطرفية، يعتقدون فيها ما كان يعتقده مشركو الجاهلية فى ذات أنواط، ومغارة يسمونها مغارة بنت الأمير، ونخلات يختلف اليها النساء اللائى لم يلدن أو لم يتزوجن، ونحو ذلك مما يمس بجوهر التوحيد فى المعتقد، وبالأخلاق الإسلامية فى السلوك.

وقد وجد من الأمير أذنا صاغية، وقلبا واعيا، واستعدادا طيبا لحماية ما يعتزم القيام به من دعوة الإصلاح ومقاومة البدع، وطمس مظاهر الشرك وتطهير الدين مما اختلط به من شوائب، وليس ذلك بهين في قوم رانت على قلوبهم خرافات وأباطيل فاجتالتهم عن

الفطرة القويمة لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وقاعدة لتصوراتهم، وأن شعورا قويا متمكنا ليكفى وحده فى تحديد نشاط الإنسان واتجاهه فى الحياة، يقول باسكال:

إن تهيباتنا وأهواءنا وميولنا متصلة بعاداتنا وماضينا ومزاجنا، فقد تمر بنا الحياة طافحة بالعبر، ولكننا نستثقل فيها كل لطيف ونتجهم أمام كل حقيقة، ونستقبح كل جميل.(٩).

ولم تكن هذه الحقيقة التى تجهم لها أهل نجد يومئذ سوى عقيدة تصل الناس بربهم من غير وسطاء ولا شفعاء، فيؤمنون بأنه هو وحده صاحب الحول والطول، منه المبدأ وإليه المصير، فتتحرر قلوبهم، وتصلح نفوسهم، وتستقيم حياتهم.

وكان مما اشترطه عليه الأمير ابن سعود لمناصرته قائلا: «إذا قمنا بنصرتك وجاهدنا معك فلا ترتحل عنا أو تستبدل بنا غيرنا» وكانت نجد فى تلك الفترة مفككة الأوصال غير خاضعة لإمارة واحدة مما أدى إلى الفوضى، وسفك الدماء، فتعاهدا على جمع الكلمة وإظهار دين الله، وإصلاح العقيدة والسلوك، وإزالة الشبهات، ومقاومة المحرمات، فدان لدعوته من دان من الهداة والمؤيدين وثار عليه من ثار من الخصوم والمناوئين، فأهدروا دمه ودم إخوانه الموحدين، وقد وجد من الإمام البطل محمد بن سعود فى هذه المحنة سندا متينا، ومدافعا أمينا ضد العوادى، حتى استقام له الأمر، وضمن سلامة الدعوة الإسلامية بعد عشرين سنة من النضال المتواصل، وفى سنة تسع وسبعين ومائة وألف من الهجرة توفي الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه البار عبدالعزيز، رحمة الله عليهما، وعلى كافة المؤمنين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وأخلصوا الدعوة لله .

خلف والده فى الحكم ، وفى مؤازرة الشيخ ومناصرته، وملاحقة المتمردين والمنشقين، حتى فتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز ما عدا الحرمين الشريفين، ودانت له نجد كلها، وبعد مضى سبع وعشرين سنة من ولايته توفى الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عن سن تناهز التسعين، وذلك سنة ألف ومائتين وست من الهجرة .

---

(٩) جميل صليبا: علم النفس ـ ١٥١ (ط ـ دمشق ـ ١٩٤٨).

ومن مؤلفاته رحمه الله ورضى عنه: كتاب التوحيد، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومفيد المستفيد فى حكم تارك التوحيد، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومجموع الحديث مرتبا على أبواب الفقه .

ومن مختصراته: مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزيه ، ومختصر الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف للمرداوى الحنبلى، ومختصر الشرح الكبير لإبن قدامه المقدسى .

وطبع من رسائله فى مجلد (مجموعة التوحيد) الذى يحتوى أيضا على رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (طبع دار الفكر) أنواع التوحيد ـ مسائل الجاهلية ـ كشف الشبهات ـ هدية طيبة ـ أوثق عرى الإيمان ـ التوحيد الذى هو حق الله على العباد...

وفى مجموعة التوحيد أيضا رسالة لحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ وموضوعها (بيان المحجة فى الرد على اللجة)، ولأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده الذين أوقفوا حياتهم على بث الدعوة ونشر العلم عدة تآليف مثل: تأسيس التقديس فى الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام فى الرد على الشيخ الإمام، للشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن، وتيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد،للشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله، وكتاب «دورنا فى الكفاح» لمعالى الشيخ حسن آل الشيخ.وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا إذ تشكلت بإشرافها وتحت رعايتها أمانة عامة تنظم مؤتمرا إسلاميا تحت عنوان «اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب» يكون فرصة للتعريف بوجهة هذا الداعية المصلح، وبحقيقة دعوته، وكشف الستار عما وراء الشائعات المغرضة التى لم يكن لها من هدف سوى الطعن على حركته الإصلاحية وعقيدته الدينية، وما أشاعوا حول دعوته فى بعض البلاد الإسلامية، قد يكون للخصومات السياسية والحروب التى دارت رحاها فى فترة من التاريخ بين النجديين، وبين أشراف مكة والأتراك والمصريين أوفر نصيب فيها .

ومن هذه الشائعات مثلا أن النجديين ومن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يعظمون النبى صلى الله عليه وسلم ولا يحبونه، ولا يصلون عليه كثيرا، ويعتبرون

التوسل به إلى الله ضلالا، ويقولون لمن يتوسل به أنه صلى الله عليه وسلم ميت لا ينفع ولا يضر، والحى أفضل من الميت .

كيف وهو حى فى قبره ومقامه لا يدانى، وفضله على أمته لا يضاهى، وطاعته من طاعة الله وحبه من حبه بل ومن كمال الايمان، كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة، وقد كان الشيخ عبدالقادر التلمسانى أشعريا درس فى الأزهر العقائد السنوسية وجوهرة التوحيد وغيرها، وكان كثير الاعتراض على صديقه الشيخ أحمد بن عيسى، وعلى دعوة الإمام ابن عبدالوهاب التى أشيع عنها بأنها قاسية شديدة التزمت والغلو فى التفكير، فكان الشيخ أحمد يجيبه بمثل قوله: سبحانك يا رب، هذا بهتان عظيم، كيف ونحن نعتقد أن من لا يصلى على النبى فى التشهد الأخير صلاته باطلة، ونعتقد أن من لا يحبه كافر ؟ وإنما نحن النجديين ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات، لا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين بأحد سواه، كما جرى على ذلك سلف الأمة، وكان من ثمرات هذه المناظرات التى دارت بينهما مدة طويلة اقتناع الشيخ التلمسانى بأن عقيدة السلف أسلم وأحكم، إذ صار من دعاتها وطبع على نفقته كتبا كثيرة عنها، كان يوزعها مجانا، مثل: الصارم المكى فى الرد على السبكى لابن عبدالهادى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ونهاية الأمانى فى الرد على النبهانى للآلوسى.(١٠)

وليس من شك فى أن التزام آداب المناظرة الهادفة، والجدل النزيه الذى يستقطب معرفة الحق أيا كان مصدره، لمما يفتحان آفاقا جديدة فى البحث، ويعدلان الموقف المتطرف ويغيران الاتجاه فى المعتقد والسلوك، سيما إذا توفر مع الجدل والحوار حسن النية والتجرد عن الأفكار المسبقة والتعصب والأنانية.

والحق أن ما أقدم عليه سماحة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأصدقاؤه العلماء العاملون، من إقامة هذا المؤتمر وجمع الأمانة ـ التى شكلت لتنظيمه ـ كل ما كتبه الشيخ ودونه، وتحقيق نسبتها اليه وتوثيقها ونشرها فى طبعة خاصة، وإرسال نسخ منها إلى الهيئات والباحثين الذين قبلوا

---

(١٠) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: علماء الدعوة : ١٢ ـ ١٣ (ط المدنى ١٩٦٦).

دعوة المؤتمر وأعربوا عن استعدادهم للإسهام فيه، عمل جليل الشأن بعيد الأثر فيه إثراء للمكتبة الإسلامية من جهة، وفيه إنارة الدارسين فى البلدان الإسلامية الذين لم تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ وآثاره العلمية المعتمدة من جهة أخرى، وعندئذ يتسنى لهم التعرف على حقيقة دعوته، فيكتبوا عنها - إذا كتبوا - بمنهجية وموضوعية علمية[١١] تفاديا لكل نقص فى المعلومات أو خطأ فى نقل النصوص، أو ضعف أو مغالطة فى الاستنتاج منها.

وقد أنجزوا بالفعل هذه الأعمال الكبيرة التى تتطلب صبرا وإيمانا وعلما، وأتموا طبع ما يزيد عن عشرة مجلدات من كتب هذا العالم الداعية، ورسائله فى العقيدة والآداب الإسلامية والحديث والفقه والسيرة النبوية، فجزاهم الله عن هذا الجهد وعما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقديما قيل: الناس أعداء لما جهلوا، والحكم على الشئ فرع عن تصوره ... لأن من الناس من يصدرون أحكاما مرتجلة بتأثير ما تملى عليهم أهواؤهم وميولهم الشخصية أو بما أصبح له رواج بين الناس فى تحسين شئ أو تقبيحه، ومدحه أو ذمه، وليس لهم فيما يصدرون من آراء وأحكام ومدح وذم سند من نقل صحيح، ولا حجة من عقل حصيف.

وكيف يكتب لعقيدة زائفة أو زائغة أن تستقر فى القلب، وليس لها مدد من قوة إلهية ولا سند من هدى ربانى ؟ فهل يقام بناء على غير أساس ؟

وإذا كانت المنهجية فى البحث العلمى تعتمد على مصادر صحيحة موثوق بنسبتها إلى أصحابها بعيدا عن كل تزييف أو ادعاء أو تشويه، فإن ما قدمته أمانة هذا المؤتمر للباحثين ينم عن روح علمية أصيلة، وعن جدية وإخلاص للحقيقة والتاريخ .

حدثنى صديق لى: أن مجلسا جمع بينه وبين بعض العائدين من الحرمين الشريفين بعد أداء فريضة الحج، أثيرت فيه عدة قضايا دينية، وانطباعات طيبة وثناء عاطر على أهل المدينة المنورة، وما يتسمون به من لطف وفضل - وكان مما استدرك به أحد الشيوخ الحاضرين - ولكنهم - للأسف الشديد - وهابيون، فقال صديقى مصححا: بل إنهم

(١١) لجنة التحقيق لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب : ق ٣/١٠ و٤ (ط. مطابع الرياض) .

حنابلة سلفيون،والنسبة هنا ليس لها من مبرر، ولا معنى لتسمية الدعوة التى قام بها محمد بن عبدالوهاب بالوهابية، لأنها ليست مذهبا فى العقيدة كالأشعرية ولا فى الفقه كالمالكية، بل هو تابع لغيره فيهما، وإن شئت فقل: هو سلفى العقيدة حنبلى المذهب، وما قام به من دعوة إلى التوحيد لا يعدو أن يكون إحياء لمذهب السلف،وإن شئت قلت: هو من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. قال أحد الحاضرين الحق أن كثيرا من الحجيج يجهلون مناسك الحج وآدابه، ويفعلون ما قد يجر إلى الشرك الخفى، ومنشأ هذا الخلط والخبط أنهم أميون، وليست لهم ثقافة دينية، ولم يتلقوا قبل سفرهم لأداء فريضة الحج من المسؤولين عن الارشاد الدينى والتوجيه والوعظ فى بلدانهم أى توجيه، ولا معلومات، وقد سمعت أحد الحجيج فى المواجهة أمام الحجرة النبوية الشريفة يدعو الرسول بما لا يدعى به سوى الله كقول بعضهم: «بك لذنا يا رسول الله من كل ما نخشى فعجل بالفرج».

فهل يكون اللياذ بغير الله، وهل يكون طلب التعجيل بالفرج من سواه ؟

دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته

وكلمة التوحيد أو كلمة التقوى «لا إله إلا الله» تضمنت نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها لله الواحد الأحد، واللياذ من أنواع العبادة، إذ هى دعاء والدعاء مخ العبادة كما صح فى الحديث، فإن غاية ما يقع من اللائذ والمستغيث والمستعين، إنما هو الدعاء بالقلب واللسان، وقد وعد الله من قصر الدعاء عليه بالإجابة والإنابة، وذلك هو توحيد الألوهة الذى أمر الله به فى كثير من الآيات كقوله تعالى:

«وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا»

(الجن ١٩ـ٢٢).

كما نهى الله عن الاستعاذة بغيره :

«وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا »

(الجن ـ ٦)

هذا هو الدين الذى بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يبلغه، ولكن الجهل بما بعث الله به رسوله قد عم هذه الأمة إلا ما شاء الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) وقال له رجل: ما شاء الله وشئت،فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: أجعلتنى لله ندا، بل ما شاء الله وحده» (١٢)

وروى الطبرانى بإسناده أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بى، وإنما يستغاث بالله».

واستنادا إلى ذلك ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى قسم العقيدة أن من الشرك أن يستغيث أحد بغير الله أو يدعو غيره (١٣).

ولما سئل حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن أبيات من البردة للبوصيرى قال فيها غلو، مثل قوله:

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العم

قال: إن ذلك من الشرك، لأن فيه صرف خصائص الربوبية لغير الله، ولقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو الذى نهى الله ورسوله عنه.

وقال فى رده على من اعترض عليه مبرئا الشاعر من الشرك بقوله: حماه الله من ذلك، ويكفيه فى نفى هذه الشائعة قوله فى أول القصيدة:

(١٢) بيان المحجة فى الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ـ مجموعة التوحيد: الرسالة ١٣ ـ ٤٣٩.

(١٣) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب ـ ق/١/٤٢.

قال: (إن هذا يزيده شناعة ومقتا لأنه تناقض بين، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول) ثم قال: وهذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد، كما قال تعالى فى حق من هذا وصفه:

«... وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ » (الأنعام ١١٩) (١٤).

وقال تعالى:

«لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ » (الرعد : ١٤)

وقول البوصيرى:

إذا لم تكن فى معادى آخذا بيدى :: فضلا وإلا فقل، يازلة القدم

وهو مناف لقوله تعالى:

« وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ » (الانفطار: ١٧-١٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة كما روته الصحاح: « يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا» فتأمل ما بين هذا وبين قول

(١٤) الرسالة ١٣ من مجموعة التوحيد: بيان المحجة فى الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٤٣٨.

الناظم من التضاد والتباين، وأما قوله: «فان من جودك الدنيا وضرتها ...» فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ...

وفى الحديث الصحيح: لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال (ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله برحمته).

وقوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم» لا يجوز أن يقال إلا فى حق الله تعالى الذى أحاط علمه بكل شئ، كما قال تعالى:

« قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ...»

(الأنعام : ٥٠)

إن إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلى الله وحده، لا يضاف إلى غيره من خلقه، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله، فما أجرأ هذا القائل على الله فى سلب حقه، وما أعداه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين الموحدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره، أو شر منه، أو دونه فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا، والله المستعان.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين

ابتلينا بهم فى هذه الأزمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنة،وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا)[١٥].

والحق أن حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفاننا بما له من فضل علينا، وإعجابنا بأخلاقه وكمالاته، وتقديرنا لمنزلته الرفيعة عند الله، ومدحنا إياه مدح المحبين المخلصين، كل ذلك لا يمنعنا من اعتبار ما بين الخالق والمخلوق من حدود لا يمكن أن تحول أو تزول:

« أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » (النحل : ١٧)

فليس لأحد أن يبغى على هذه الحدود فيتجاوزها، ويتوجه إلى مخلوق بما لا يجوز أن يتوجه به لغير الخالق، إذ فى ذلك تنقص للألوهية وهضم للربوبية، ومساواة بالله رب العالمين .

ففى حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء، وأخبرها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك، قالت لها أمها: قومى إلى رسول الله فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا إياكما، ولا أحمد إلا الله الذى أنزل براءتى، وفى رواية: «بحمد الله لا بحمدك»

وأخرج البيهقى بسنده إلى محمد بن مسلم قال: سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك، إنى لأستعظم قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم: بحمد الله لا بحمدك، فقال عبدالله: ولت الحمد أهله .

وكان صلى الله عليه وسلم مثال التواضع لله .

قال له وفد بنى عامر: أنت سيدنا، فقال: السيد هو الله تبارك وتعالى، وقال له جماعة: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل، (رواه النسائى بسند جيد)

---

(١٥) المصدر السابق : مجموعة التوحيد: ٤٤٩ ـ ٤٥٣.

وقد عد الإمام محمد بن عبدالوهاب أن هذا الحديث ونحوه مما حمى الرسول به حمى التوحيد، وسد به طرق الشرك[16].

وقال فى كلمة التقوى والتوحيد: هى الفارقة بين الكفر والإسلام ... وليس المراد قولها باللسان مع الجهل لمعناها، فإن المنافقين يقولونها، وهم فى الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته ،كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: « من قال لا إله إلا الله مخلصا» وفى رواية (خالصا فى قلبه)، وفى رواية (صادقا فى قلبه) وفى حديث آخر، من قال (لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .. إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التى أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة، واعلم أن الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية .

والإله معناه: الولي الذى فيه السر، كما يطلقه عوام نجد فى زمانه(ومثلهم فى العالم الاسلامى كثير) على من يعتقدون فيه من الأشخاص، ويقصدون به أن ذلك الشخص المعتقد فيه قادر على النفع والضر، وأنه يصلح لأن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فصاروا يقصدون به ما يقصد بلفظ (الإله) .. ظنا منهم أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ..

والكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده ،كما قال تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

(١٦) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب «الباب ٦٥» ١٤٦.

وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ...» (يونس: ٣١).

لكن الذى كفرهم أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو ألا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره[١٧]

ثم يورد الشيخ ما ينتحله هؤلاء من المبررات والأعذار الواهية فيجيب: (فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، فقل: كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعـزيرا، والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما حكى عنهم القرآن:

«... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...» (الزمر : ٣)

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ...» (يونس: ١٨).

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز آية تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

« وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا »

(الإسراء:٦٧)

(١٧) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب: القسم الأول : ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر، تركوا السادة والمشائخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ـ ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة ـ إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف.. وعبدالقادر الجيلانى، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٨]

والحقيقة التى لا مراء فيها أن مثل هذا الصنيع عبث ولغو، فليس بين الله وبين عباده وسطاء ولا سماسرة.

وحين سرت هذه اللوثة بين المسلمين فى جميع أنحاء الأرض أفسدت عقيدتهم وكادت تفسد عليهم حياتهم ومصيرهم، حتى نسوا الله نفسه، وذكروا ما دونه من طواغيت، ومن أنبياء أو من أولياء:

« وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (الزمر: ٤٥)

ومن هنا ظفر هؤلاء الشركاء بنصيب الأسد فى كل شئ، فى العبادة والإخلاص والسؤال والنذر، والحب والحماسة، ولم يبق لله فاطر السماوات والأرض شئ يذكر من ذلك .

وفى الحديث القدسى: (إننى والإنس والجن فى نبأ عجيب، أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى».

وحسب الدنيا ضلالا أن تعمى عن إشراق التوحيد فى أنحاء الوجود.[١٩] فدعوة

---

(١٨) المصدر السابق ٣٦٩.

(١٩) محمد الغزالى: عقيدة المسلم ٥٠ (ط. مصر: ١٩٥٢)

الإمام إلى التوحيد الخالص تتجاوز حدود نجد إلى العالم الإسلامى كله وفيه بدون تعيين ولا استثناء من يدعون من دون الله عبادا أمثالهم، وينذرون لهم النذر، ويتقربون إليهم بالقرابين ويجعلونهم لله أندادا.

قال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه : «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار».

وقد كان الاستعمار الفرنسى بتونس يشجع ماديا وأدبيا على إقامة ما يسمى عندنا (بالزردة)؛ وهى ذبح الأنعام فى موسم معين، ينصب الناس فيه الخيام حول ضريح الولى المقصود أياما وليالى، استجابة للدعاء، والتماسا للبركة، ويحتفلون مع المشعوذين على أنغام المزامير ودق الطبول ونقر الدفوف، كما كان يشجع الطرقية المنحرفة عن طريق الهدى.

ولا شك أن هذه المسالك الشائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه، واضطراب المقصد، وكما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالى: فإن التوحيد فى الإسلام حقيقة وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية .

ولسنا ممن يحب تصيد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافا، واستباحة حقوقهم ظلما وعدوانا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد أدنى انحراف .

لقد اهتمت حكومة انجلترا فى سبيل مكافحة الشيوعية بالحالة الدينية فى مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح احمد البدوى بطنطا هذا العام، ويقول الشيخ الغزالى معقبا على ذلك:

(والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى، فطالما أوفدت لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط، لا ما يستدعى الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف من فضائل الإسلام وأنظمته وآدابه شيئا، ولو دعوا لواجب دينى صحيح لفروا

نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار، وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور، للوفاء بالنذور، والابتهال بالدعاء، ولمن النذر ؟ ولمن الدعاء ؟ إنه أول الامر للسيد، فإذا جادلت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوى، وأكثر أولئك المغفلين لغطا يقول لك: نحن نعرف الله جيدا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أطهر منا نفسا وأعلى درجة، وهذا الكلام على فرض مطابقته لواقع القوم، غلط فى الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجئ معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا[٢٠]

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ...»

(الشورى : ٢١)

ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وخطبه فى التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، وبما يقوى الإيمان ويصلح العقيدة ويدحض الشبهات، لاستناده فى الاستدلال إلى الكتاب والسنة، وكفى بهما حجة على الضالين والمفترين، وعمله بما يدعو إليه، وكفى بذلك أسوة للمقتدين .

وهو كثيرا ما يفترض سؤالا يجيب عليه، ليلقن الدعاة ما يجب أن يتسلحوا به من أدلة النقل والعقل فى دعوتهم إلى التوحيد،كقوله فى الرسالة السابعة «الأصل الجامع لعبادة الله وحده»:

«فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده ؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن قيل: فما أنواع العبادة التى لا تصلح إلا لله تعالى ؟ قلت: من أنواعها: الدعاء والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرهبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، الذى هو من خصائص الإلهية ودليل الدعاء: قوله تعالى:

(٢٠) محمد الغزالى: عقيدة المسلم: ٥٥

«وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا»

(الجن : ١٨)

ودليل الاستغاثة : قوله تعالى:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...» (الأنفال: ٩)[٢١]

وفي بيانه للشرك وتعريفه ذكر له ثلاثة أنواع:

١ ـ شرك أكبر وهو: شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.

فمن شرك العبادة: قوله تعالى:

« وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ»

(المائدة : ٧٢).

ومن شرك النية والقصد: قوله تعالى:

« مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ »

(هود : ١٥ـ١٦).

ومن شرك الطاعة قوله تعالى:

« ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ »

(التوبة : ٣١)

---

(٢١) مؤلفات الشيخ الامام ... ق: ٣٧٩/١ ـ ٣٨٠

وتفسيرها الذى لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لا عبادتهم إياهم، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية.(رواه الترمذى).

ومن شرك المحبة قوله تعالى:

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ...»

(البقرة : ١٦٥)

٢ ـ شرك أصغر وهو: الرياء ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم «اليسير من الرياء شرك».

٣ ـ شرك خفى، قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء فى ظلمة الليل»

لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه: (اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم.)

وعد من الشرك الخفى: الحلف بغير الله،لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك».

وكذلك قول بعضهم فى القسم: والله وحياتك يا فلان، وقولهم فى الاعتراف بالفضل لولا الله وفلان، ولكن يجوز أن يقال: لولا الله ثم فلان[٢٢] عملا بقوله جل وعلا:

«...فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ»

(البقرة: ٢٢)

واعتبر أن الايمان بالله يتوقف على الكفر بالطاغوت،لقوله تعالى:

(٢٢) المصدر السابق : ١٠٩

«... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

(البقرة: ٢٥٦)

والطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع فى غير طاعة الله ورسوله .

والطواغيت كثيرة، ومن رؤوسهم:

١ ـ الشيطان: لقوله تعالى:

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ»

(يس : ٦٠)

٢ ـ الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، لقوله تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»

(النساء : ٦٠)

٣ ـ الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، لقوله تعالى:

«وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ» (٢٣)

الأنبياء ـ ٢٩.

---

(٢٣) مؤلفات الشيخ الامام .. ق ٣٧٩/١

يقول الشيخ رحمه الله فى رسالته الثانية عشرة:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذى هو الشرك بالله، وقد أسهب القرآن فى بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص فى تنقص الصالحين والتقصير من حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله فى صورة محبة الصالحين واتباعهم»[٢٤].

وما يزال هذا الخلل الخطير فى دعامة التوحيد يعصف بالعقيدة الإسلامية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، ولتخبط الكثيرين فى لجج الوثنية، أو ما يشبهها فى المعنى والحقيقة، لأن عقولهم لم تتحرر من الأوهام الفاسدة التى لا تنفك عن العقيدة الباطلة، ونفوسهم لم تتنزه عن الملكات السيئة التى تلازم تلك الأوهام، وقلوبهم لم تتخلص من تعدد المعبودين أشخاصا كانوا أم غير أشخاص كالهوى والمال:

«أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ...» (الجاثية: ٢٣)

وكما قال الشيخ محمد عبده فإن التوحيد الخالص: ألا يخضع الإنسان لأحد إلا لخالق السماوات والأرض، وقاهر الناس أجمعين.

وبهذه العقيدة تجلت للإنسان نفس حرة كريمة، وأطلقت إرادته من القيود التى كانت تعقدها بإرادة غيره، سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلهية كإرادة الرؤساء والمسيطرين، أو إرادة موهومة اخترعها الخيال ،كما يظن فى القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها، وافتكت عزيمته من أسر الوسطاء والشفعاء.. والمتكهنة والعرفاء، وزعماء السيطرة على الأسرار، ومنتحلى حق الولاية على أعمال العبد، فيما بينه وبين الله، الزاعمين أنهم واسطة النجاة، وبأيديهم الإشقاء.. والإسعاد، وبالجملة فقد أعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين ، فصار الإنسان بالتوحيد عبدا لله خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه. [٢٥].

---

(٢٤) المصدر السابق : ق : ٣٩٣/١.

(٢٥) محمد عبده : رسالة التوحيد : ١٣٨ (ط ـ دار المعارف ـ مصر).

ويعجبني في هذا الصدد ما قاله القشيري في تفسيره للآيات المتضمنة قصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام، بذبح ولده" فلما بلغ معه السعي": (إشارة الى وقت توطين القلب على الولد... ويقال في القصة: إنه رآه ذات يوم راكبا على فرس أشهب، فاستحسنه ونظر إليه بقلبه، فأمر بذبحه، فلما أخرجه عن قلبه واستسلم لذبحه ظهر الفداء وقيل له: كان المقصود من هذا فراغ قلبه عنه)[٢٦].

وقد أفاض الشيخ محمد بن عبدالوهاب القول في إخلاص العمل لله، وتفرغ القلب من كل ما يشغل عنه أو يوجه إلى غيره، وهي دقائق لا يحسها إلا من مارس الايمان وعاش تجاربه الروحية، فهو يقول: (الفقر للمخلوق وصف لازم لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، فهو محتاج إلى الله من جهة ربوبيته، فلا نستعين بغيره، ومن جهة الألوهية، فلا يعبد غيره، كما قال تعالى:

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ».

فإن لم يعبده خسر الدنيا والآخرة، وإن لم يعنه على عبادته لم يقدر على عبادته ...

وإذا كان الخلق كلهم فقراء إلى الله والله يرحمهم بما شاء من الأسباب، فالله الذي أمرنا بالصلاة والسلام على نبيه هو الذي يثيبنا على ذلك... فعلى العبد أن يلاحظ التوحيد والإنعام.. ولكن هؤلاء جعلوا الهدية له بمنزلة الهدية إلى الله وكأنهم يتقربون إليه كما يتقربون إلى الله، فجعلوا المخلوق كأنه الرب الغني عنهم، المجازي لهم، وجعلوا الرب محتاجا إلى عبادتهم وهو لم يبرئ من الشرك والابتداع والغلو، هؤلاء الذين يهدون العبادات إلى الأنبياء لطلب الأجر منهم.

أما إشراكهم فقد ضاهوا المخلوق بالخالق .

وأما الابتداع: فهذا العمل لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(٢٦) القشيري : لطائف الاشارات : ج : ٢٣٨/٥ (ط . مصر ١٩٧٠)

والغلو: حيث جعلوا فى البشر شوبا من الربوبية والإلهية، ثم هم فى تقربهم إلى غير الله بالأعمال يشبهون المتوكلين على غير الله المستغيثين بغيره.[٢٧]

(والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه، فلا تزال تلتفت إلى غير الله إما خوفا وإما رجاء، فلا يزال العبد مفتقرا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك)[٢٨].

ويظهر مدى تأثر ابن عبدالوهاب بابن تيمية من خلال آرائه وحججه، ومن خلال المسائل التى لخصها له، والتى طبعت فى كتاب (ملحق المصنفات)،وقد بلغت مائة وخمسا وثلاثين مسألة.

أما دعوته التى ضمنها دراساته وفتاويه وخطبه ورسائله فى فترة ضعف فيها كيان الدولة الإسلامية وتوقف المد الإسلامى،كما قال معالى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى تقديمه لكتاب ملحق المصنفات: «فإنها لم تكن دعوة إلى أمر غريب، بل هى دعوة إلى العودة لدين الله والاستمساك بكتاب الله وسنة رسوله والوقوف عندهما، وتحرير العقائد مما خالطهما من شوائب، والعقول مما تفشى فيها من عادات وخرافات... فوجدت مناخا صالحا، وقوة تتبناها، وتدفع بها وتحميها ...

وميزة الإسلام أنه يجتمع فى دعوته الفكر والعمل، والمنهج والتطبيق، والتشريع والحكم، ولابد أن يؤمن به الناس، ويلتزموه ويدافعوا به، ويدافعوا عنه...[٢٩]

وما أشد حاجة المسلمين اليوم ـ حيثما كانوا ـ إلى دعاة واعين مصلحين عاملين. فجهل السواد الأعظم منهم بحقيقة دينهم،وطغيان الطواغيت فى الأرض،وتأثير الأيدلوجيات الاقتصادية والاجتماعية على العقول، والدعايات الإعلامية لمختلف المذاهب الفكرية التى لا تمت إلى الدين بصلة، وتجرؤ الناس على الاجتهاد فى الدين، وتحكيمهم العقل فى الوحى، وانحرافهم عن عبادة الله الحق، وسيطرة المادة عليهم، كل

---

(٢٧) مؤلفات الشيخ الامام : ملحق المصنفات : ١١٠ ـ ١١١.

(٢٨) المصدر السابق : ١١٤ .

(٢٩) المصدر السابق : تقديم: عبدالله بن عبدالمحسن التركى : ٢.

ذلك نتجت عنه جاهلية حديثة، أو جاهلية القرن العشرين كما سماها الأستاذ الداعية محمد قطب، وكما كشف عن ملامحها، وأوضح ما تولد عنها من فساد فى التصور، والعقيدة والسلوك، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، والفن...[٣٠]

وجل رجال الفكر الإسلامى لم يولوا الدعوة إلى الله من عنايتهم وجهدهم ما أولوه للبحث فى قضايا العقيدة،حتى كادوا يحولون الإيمان من بساطته إلى قضايا فلسفية وأقيسة منطقية ومناقشات كلامية، فعدلوا به عن نهج الفطرة، ولم يستطيعوا أن يحولوه من فكر إلى عمل ومن نظر إلى تطبيق، أما سواد العامة، فلم يتحرروا من ربقة الأسباب القريبة الخاضعة لعوامل التغير والفناء وتقلبات الظهور والاختفاء، بل ركنوا إلى الخرافات وإلى تلك الظلال المتقلصة ، وألهتهم الأسباب الظاهرة عن التوجه إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فكان مثلهم فى ذلك كمثل الذى يرى تفرق منابع الأنهار فى الأرض، ولا يذكر أن مردتها جميعا إلى أصل واحد، وهو الماء الذى أنزله الله من السماء، فسلكه ينابيع.[٣١]

وفى افريقيا السمراء ما تزال بعض التأثيرات الوثنية القديمة تطغى على العقيدة الإسلامية، وتقوم بعض تصرفات القبائل هناك على رمز «الطوطم» وعلى مخلفات القرون البائدة، مثل قبائل البامبرا فى مالى، وقبائل اليوروبا فى نيجيريا.

يقول (رو) الكاتب الفرنسى فى كتابه: « الإسلام فى الغرب»:

«إن هناك وثنيين يذهبون إلى المسجد مع المسلمين، وقد جرت العادة عندهم أن يخفوا وثنيتهم ليظهروا بمظهر الرقى والتقدم، لأن المجتمع الوثنى أصبح يعتقد أن الإسلام صنو التقدم.[٣٢]

ولئن جاء الأوربيون إلى أفريقيا السمراء بنوع من الحضارة،فان الإقبال عليها من

---

(٣٠) محمد قطب : جاهلية القرن العشرين : ٤٧ ـ ٤٨ (ط دار الشروق: ١٩٧٨)

(٣١) محمد عبدالله دراز : الدين : ١٣٢ (ط الكويت : ١٩٧٤).

(٣٢) j.p roux ; I , Islam en occident : 29(PARIS1959)

الأفارقة فى السنوات الأخيرة تضاءل بصورة لاحظها المسيحيون أنفسهم، لأنها كانت مقترنة بتجارة الرقيق والتمييز العنصرى، والاستبداد والاستغلال والمخدرات والخمور والفساد الخلقى، وبالتالى فإنها لم تحمل معها المساواة ولا التسامح المسيحى المزعوم.

وفى أفريقيا اليوم اتجاه جديد نحو الإسلام، فقد أصبح الوثنيون عباد التعاويذ ينظرون إلى الوثنية صورة من صور التخلف الافريقى، ولكن بعض الطوائف المسيحية والكنيسة تعمل على تغذية الروح الوثنية ومسايرتها، إذ هى عندها أفضل من الإسلام، ولكن بدون جدوى، فإن كسب الإسلام لأقوام جديدة فى مناطق تشاد ونيجيريا ومالى يعتبر نصرا مستمرا للإسلام ولحضارته وقيمه.

إن هذه الأوضاع الجديدة فى افريقيا السمراء وما عليه كثير من المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى من تمزق وانحراف وبدع وبعد عن عقيدة التوحيد، .. واقتراب من الوثنية والشرك، كل هذا ونحوه، ليفرض علينا مسؤوليات دينية مضاعفة فى مجال الدعوة لإزاحة ما ران على القلوب من غشاوة البدع والمنكرات، حتى لا تبقى نظرتها قاصرة عن النفاذ فى بواطن الأمور وعن الامتداد إلى منابتها.

فلا بد أن نعرفهم بما يجهلون، ونذكرهم بما ينسون، وننبههم إلى ما هم عنه يغفلون.

ولابد للجامعات الإسلامية أن تولى شعبة الدعوة والإرشاد فى كلياتها ومعاهدها العليا ما تستحق من عناية واهتمام، لإعداد دعاة علماء عاملين يضطلعون بأعباء الدعوة الإسلامية، ويحسنون التبليغ بدفع وتشجيع من المؤسسات والمنظمات، كجامعة الإمام محمد بن سعود، ورابطة العالم الإسلامى، والمنظمة العالمية للشباب الإسلامى.

حيا الله العاملين لخير الإسلام والمسلمين، وأجزل لهم المثوبة.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل

للواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

بسم الله الرحمن الرحيم

-١-

ذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمرى الموصلى[١] فى كتابه: (غرائب الأثر)[٢]، فى حوادث سنة ثمان ومئتين وألف الهجرية، أن الإمام «محمد بن عبدالوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلاّمه مولانا ملاحمد الجميلى[٣] وأخذ عنه الكثير[٤].»

وقد ذكر هذا المؤرخ هذا الخبر فى معرض الحديث عن وفاة الإمام دون أن يذكر سنة قدومه الموصل ولا مدّة مكوثه فيها طالبا للعلم.

ومن المعروف أن الإمام توفى سنة ست ومئتين وألف الهجرية لا سنة ثمان ومئتين وألف الهجرية، كما أورد المؤرخ العمرى فى كتابه : (غرائب الأثر)، وقد يكون سبب هذا الخطأ هو تأخر وصول نعي الإمام الى المؤرخ فى الموصل، لصعوبة المواصلات البريدية فى حينه، ولأن الأخبار تنقل بوسائط بدائية بالأشخاص المتنقلين سيرا على الأقدام أو على الدواب، كما أن البريد لم يكن منظما يؤمن انتقاله بسرعة ولا كان منتظما بين (نجد) حيث توفى الامام (والموصل) حيث يقيم المؤلف العمرى.

* * * *

(١) ياسين العمرى: انظر سيرته فى: منهل الأولياء (٣٠٨/١)؛ ومنية الأدباء (٢٨/١١)؛ وزبدة الآثار الجلية فى الحوادث الأرضية (١٦-٢٨).

(٢) غرائب الأثر فى حوادث ربع القرن الثالث عشر - نشر الدكتور صديق - الموصل ١٣٥٩هـ.

(٣) انظر سيرته فى شمامة العنبر (٣٣٥-٣٣٨) ومنهل الأولياء (٢٧١/١) والسيف المهند (مخطوط) والدر المكنون (مخطوط).

(٤) غرائب الأثر ٣٤.

والمؤرخ العمرى كان معاصرا للإمام، فقد ولد فى الموصل سنة سبع وخمسين ومئة وألف الهجرية[٥] (١٧٤٤م) ، وتوفى بعد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين وألف الهجرية[٦] (١٨١٦م) ، والإمام محمد بن عبدالوهاب ولد سنة خمس عشرة ومئة وألف الهجرية (١٧٠٣م)، وتوفى سنة ست ومئتين وألف الهجرية (١٧٩٢م)[٧]، فهو شاهد عيان، لأخباره قيمة خاصة، وكان دقيقا فى تسجيل الأحداث الدائرة فى مدينة الموصل[٨]، معنيا بذلك أشد العناية ، ومعروفا بالصدق والاستقامة فى تأريخه للحوادث، وليست له مصلحة مادية ولا معنوية تحمله على إقحام رحلة الإمام الى الموصل، ودراسته على أحد شيوخها، فالمؤرخ العمرى متصوف[٩] شديد التمسك بالصوفية والدفاع عنهم ، يصف نفسه بأنه: «حسن الاعتقاد بالأولياء الكرام، و المشايخ العظام»[١٠] بينما الإمام سلفى ملتزم أشد الالتزام بالسلفية والدفاع عنها ، لا يرضى العمرى عن مسلك الإمام السلفى[١١]، لأنه يناقض مذهبه ومشربه.

كما أن المؤرخ العمرى كان معاصرا للشيخ حمد الجميلي الذى توفى سنة سبعين ومئة وألف الهجرية[١٢] (١٧٥٦م)،وترجم له فى كتابه المخطوط: (السيف المهند فى من اسمه أحمد)، مما يدل على أنه كان وثيق الصلة بالشيخ الجميلي، يعرف طلابه وشيوخه وأقرانه من علماء الدين، كما ترجم للشيخ الجميلى ايضا المؤرخ الموصلىّ محمد أمين بن خيرالله

---

(٥) منهل الأولياء (١/٣١٠).
(٦) زبدة الآثار الجلية ٢٢.
(٧) الأعلام (١٣٧/٧) وتراجم الأعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى ٤٩٣.
(٨) زبدة الآثار الجلية ٢٠.
(٩) غاية المرام ٣٧٣.
(١٠) غرائب الأثر ٢٥.
(١١) غرائب الأثر ٣٥.
(١٢) منهل الأولياء (١/٢٧١).

الخطيب العمرى، أخو المؤرخ ياسين العمرى فى كتابه: (منهل الأولياء)[١٣]، وقرأ عليه[١٤]، مما يدل على أن الشيخ الجميلى وثيق الصلة بالأسرة العمّرية.

والذين خبروا الحياة الاجتماعية فى (الموصل)، يعلمون أن الصلة فى الأسرة العلمية طلابا وشيوخا، هى أقوى وأمتن من الصلة فى الأسرة العائلية : فقرابة العلم فى الموصل الحدباء أعمق جذورا من قرابة النسب، والطالب بالنسبة لشيخه ولد متعلم، والشيخ بالنسبة لتلميذه والد ومعلم.

وأهل الموصل مهما تعلو منزلة أحدهم جاها وثراء ومكانة وسلطانا، يتواضع لأصحاب العمائم من علماء الدين أشد التواضع، ويحترمهم ويوقرهم ويحدب عليهم وهم يقدمونهم ويسيرون وراءهم ولا يتقدمون عليهم، ويتنازلون لهم عن صدور مجالسهم تطوعا ، وينصتون لأقوالهم وينفذون لهم رغباتهم، وقلما تجد موصليا أصيلا يجهل تفاصيل أخبار رجال الدين ونشاطهم العلمى وجهودهم فى الدعوة الى الله.

لا عجب فى أن يتناقل الطلاب أخبار شيوخهم شفاها وتسجيلا، ويتناقل الشيوخ أخبار طلابهم حديثا وتدوينا، ويدون المؤرخ تلك الأخبار بأمانة وصدق.

* * * *

- ٣ -

ولا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبدالوهاب العلمية الى الموصل وأثرها فى تكوينه العلمى واتجاهه الفكرى، إغفال المصادر والمراجع التى ترجمت له وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية الى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب: (غرائب الأثر) متأخرا فى سنة (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) لمؤرخ غير متهم فى صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدور معظم تلك المصادر والمراجع ، وقد كان هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجه للناس، والواقع أن كتاب : (غرائب

---

(١٣) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء (١/٢٧١-٢٧٢).

(١٤) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

الأثر) مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين، فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب.

وقد اقتصرت تلك المصادر والمراجع على ذكر رحلة الإمام إلى مدينة (البصرة) العراقية، ولم تتطرق الى رحلاته العلمية الأخرى[١٥]، ولكن قسما منها ذكر رحلاته الى أمصار إسلامية أخرى خارج (نجد)، ومن تلك المراجع كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) الذى صنعه حسين خلف الشيخ خزعل، فقد جاء فيه «ان رحلات الشيخ محمد بن عبدالوهاب امتدت الى بغداد وكردستان وإيران وبلاد الترك والشام وبيت المقدس»[١٦].

وهذا المؤلف وغيره يقصد بتعبير: (كردستان)، هو ما نطلق عليه اليوم (شمالى العراق)، وكان تعبير: (كردستان) يطلق على منطقة شمالى العراق قبل الحرب العالمية الأولى، فأصبح بعد تكوين العراق الحديث بحدوده الجغرافية يسمى بشمالى العراق.

ويبدو أن مؤلف كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) نقل المعلومات التى أوردها فى كتابه مما دونه (مرجيلوث) فى دائرة المعارف الاسلامية[١٧]، فهو الذى ذكر أن الإمام رحل الى (كردستان) مع أن الناقل ألف كتابه وأخرجه للناس سنة ١٩٦٨م !

وبالإمكان استنباط زمان ومكان قضاء الإمام رحلته العلمية الى شمالى العراق بالمقارنة بين ما جاء فى المصادر والمراجع التى تحدثت عن رحلته الى (كردستان) دون أن

---

(١٥) انظر سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب لأمين سعيد «٢٠» والاعلام للزركلى (١٤٧/٧)، ومحمد بن عبدالوهاب لمسعود الندوى.

(١٦) انظر التفاصيل فى كتاب: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٦٥-٦٨)، ومرجليوث فى دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩)، وبرجس «٧»، وبالغريف (٣٦٣/٤)، وهيوجس (٦٥٩)، وزويمر (١٩٢) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينهما. انظر الهامش: ٤ من كتاب محمد بن عبدالوهاب.. لمسعود الندوى (٤١/٤٠).

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩) وهناك فى إيران منطقة كردستان وفى تركيا أيضا.

تذكر البلد الذى استقر فيه، وما جاء فى المصدر الجديد: (غرائب الأثر) ، ولعل فى هذا الاستنباط ما يضيف جديدا على سيرة الإمام .

كانت رحلة الإمام الى العراق سنة (١١٣٦هـ - ١٧٢٤م) ، فمكث فى بغداد ثلاث سنوات، أى أنه كان فى بغداد حتى سنة (١١٣٩هـ / ١٧٢٧م)،ثم رحل الى شمالى العراق، فجابها بلدا بلدا، وقضى فى هذه الجولة سنة واحدة[١٨]، فقد غادر (نجدا) سنة ١١٣٦هـ.

وفى شمالى العراق مراكز علمية مهمة وبخاصة فى كركوك والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك وزاخو، ولكن أهم تلك المراكز دون شك ليس على نطاق شمالى العراق بل على نطاق العراق كله والبلاد العربية هو مركز الموصل العلمى،فالموصل هى حاضرة شمالى العراق وأكبر مدنه، وأكبر المدن العراقية بعد بغداد، وكانت تستقطب أبرز شيوخ شمالى العراق بخاصة وقسما من علماء البلاد الإسلامية بعامة، وكان يؤمها الطلاب والشيوخ لارتشاف العلم من مناهلها الثرة.

«لأن فيها أربعا وأربعين مدرسة علمية[١٩]» فى أيام زيارة الإمام لها، عامرة بعلماء الدين الأعلام، غاصة بطلاب العلم الموصليين وغيرهم.

ومن المعلوم أن رحلة الإمام العلمية الى ربوع شمالى العراق ، لم تكن للاصطياف أو الاطلاع على المعالم السياحية، بل كانت جهادا فى سبيل العلم وحده، فليس من المستغرب أنه جاب المراكز العلمية فى شمالى العراق ، ولكنه قضى معظم عامه الدراسى فى المركز العلمى الرئيسى: الموصل، وهو عام ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م)

وهذا يعنى أن الإمام دخل الموصل طالبا وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاما، لأنه ولد سنة (١١١٥هـ - ١٧٠٣م)،وهو العمر الذى يكون فيه الطالب فى أوج نشاطه الذهنى لتلقى العلم والإقبال عليه والتأثر به وبالمحيط من الطلاب والشيوخ والأحداث.

---

(١٨) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٦٥-٦٦) وانظر كتاب: الموصل فى العهد العثمانى (٤١٤- وما بعدها).

(١٩) انظر التفاصيل فى: مدارس الموصل فى العهد العثمانى - سعيد الديوه جى بغداد ١٩٦٤م.

ولعل من أسباب إيثار الإمام للموصل على غيرهـا من المراكز العلمية في شمالى العراق، هو أن الموصل عربية بسكانها وتقاليدها ولغتها، وكانت عربية أصيلة قبل الفتح الإسلامى وأيام الفتح الإسلامى سنة ست عشرة الهجرية[٢٠]، وبعد الفتح حتى اليوم ، هذا بالإضافة الى أنها أكبر مركز علمى فى شمال العراق.

أما سائر المراكز العلمية الأخرى فى شمالى العراق، فهى ليست عربية بسكانهـا ولغتها: كركوك تركية، والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك.. وزاخو كردية، ولكن العربية هى لغة العلم فى المراكز العلمية كافة، لأن العربية هى لغة الكتاب العزيز.

ولكن، هل زار الإمام جميع المراكز العلمية فى شمالى العراق، وكم قضى من وقت فى كل مركز علمى زاره ؟

ذلك ما يصعب الإجابة عليه، ما دمنا ملتزمين بالنصوص التاريخية التى تحدثت عن رحلة الإمام العلمية فى شمالى العراق ، ولكنه يمكن الاستنتاج أنه قضى معظم عامه الدراسى هذا فى الموصل الحدباء.

* * * *

ـ ٤ ـ

وكل طالب علم يتأثر بأستاذه الذى يعلمه، والطلبة الذين يتلقون العلم معـه، والمحيط الذى يعيش فيه، والأحداث التى تكتنفه.

وقد كان الشيخ حمد الجميلى الأستاذ الذى اختاره الإمام من شيوخ الموصل يقرأ عليه، فمن المفيد أن نتذكر شيئا من سمات الشيخ الجميلى الشخصية والعلمية ، لنعرف مبلغ تأثيره فى تلميذه محمد بن عبدالوهاب الذى كان فى ريعان الشباب.

كان فقيها فاضلا، جمع بين المعقول والمنقول، وزاحم الفحول، وتصدى للتدريس

---

(٢٠) الطبرى (٤/٣٥ـ٣٦) وابن الأثير (٢/٥٢٣ـ٥٢٤).

فانتفع به الناس[٢١]، حاز من الحكمة خيرا كثيرا[٢٢]، وكان أوحد عصره علما وأجلهم فهما[٢٣]،

وفى سنة (١١٦٩هـ ـ ١٧٥٥م) بنى الوزير محمد أمين باشا الجليلى جامع (الباشا) فى مدينة الموصل من ماله ومال أبيه الحاج حسين باشا الجليلى[٢٤]، فاختار الوزير الشيخ الجميلى ليكون أول مدرس فى مدرسة جامعه،[٢٥] وكان للجميلى الحظ الأوفر عند حكام الموصل وولاتها والقبول التام ومن ندماء أعيانهم من أخلص أصدقائهم،ليس بينه وبينهم حجاب[٢٦]، وهذا يدل على أنه برز فى علمه وتفوق على أقرانه من علماء الدين ، فأصبح شيخ شيوخ مدينة الموصل.

ويبدو أنه لم يتقرب لذوى السلطان فى محاولة للتكسب، «أراه مع ما هو عليه من مدارسة العلم، له من كسب يده، والتمسك بعروة الأسباب أو فى سهم لا يعتمد بعد الله إلا على معايش اخترع أسبابها، ومصايد للرزق ابتدع اكتسابها، وذلك لئلا يكون كلاً على الناس» فعمل بزازا وحماميا[٢٧]، أو عمل فى الحرفتين معا فى آن واحد. وهذا دليل على أن ذوى السلطان احتاجوا اليه فقربوه، ولم يتقرب إليهم، ولم يكن بحاجة اليهم،لأنه غنى ماديا بعمله، ومعنويا بعلمه، وليس لديهم ما يطمع فيه.

لقد قدمه عقله وعمله وحرصه على كرامة العلم والعلماء.

والذين أرخوا لعلماء الدين فى الموصل، نصوا على المتصوفة منهم وذكروا لهم طريقتهم فى التصوف، وأكثرهم نقشبندية أو قادرية، ولم ينصّوا على أن الشيخ الجميلى كان متصوفا.

---

(٢١) منهل الأولياء (١/٢٧١ـ٢٧٢).

(٢٢) شمامه العبد (٣٣٥).

(٢٣) السيف المهند فى من اسمه احمد (مخطوط).

(٢٤) جوامع الموصل (١٨١).

(٢٥) جوامع الموصل (١٨٥).

(٢٦) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

(٢٧) شمامه العنبر (٣٣٥ـ ٣٣٦).

ومن الواضح أن الشيخ الجميلى أثر فى تلميذه محمد بن عبدالوهاب فى رجاحة عقله، وغزارة علمه، وفى التزامه بالكتاب والسنة وكرامة العلم والعلماء باعتباره العلم عبادة من أجل العبادات لا تجارة من أربح التجارات.

والشيخ الجميلى نسبة الى (جميل) مصغرا[٢٨]، وهو من أعراب البادية: ولكن ما استحضر من العلوم فى خزانة محفوظته، أجرتها على لسانه جرى الماء المسجوم، كما قيل:

فلو بدا لشيوخ الحضر قمن له مستقبليه وقلن الفضـل للبادى[٢٩]

ولعل من أسباب اختيار الطالب محمد بن عبدالوهاب الدراسة على الشيخ الجميلى بالإضافة الى أن الشيخ عالم متين، هو أنه من أعراب البادية،والجنس للجنس يميل، وقد وافق شن طبقه، كما يقول المثل العربى المشهور.

أما أثر أقران محمد بن عبدالوهاب فيه يوم كان طالبا فى الموصل، فهو أثر كل طالب علم بأقرانه، فالحديث عنه حديث معاد.

أما أثر أهل الموصل بالطلاب الذين يعكفون على الدراسات الدينية،فإن طالب العلم ، كما كانوا يطلقون على طلاب المدارس الدينية، كان موضع احترامهم العميق وحفاوتهم البالغة واهتمامهم الكبير، وكان أهل الموصل يرعون فقراء الطلاب حق الرعاية فتنهال عليهم العطايا والهدايا، ويدعون الى الأفراح والولائم ، فلا يشعر الغريب منهم بغربته، ولا الفقير بفقره، وكان سكنى الغرباء فى المدارس الدينية التى كانت تزودهم بالغذاء والكساء والغطاء، بالإضافة الى رعاية شيوخهم وأغنياء البلد وحكامهـا، تلك الرعاية التى لا مثيل لها فى المدن الأخرى إلا نادرا.

- ٥ -

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتيح للطالب الشاب وهو فى الموصل أن يشهد أزمة

(٢٨) منهل الأولياء (١/٢٧١).

(٢٩) شهامة العنبر (٣٣٥) والجميليون اليوم سكنوا الرمادى والفلوجه وبغداد، وعانة وسامراء والموصل وغيرها من المدن العراقية وتحضروا ولم يبقوا أعراب بادية كما كانوا قبل مائة وخمسين سنة خلت.

نبوءة النبى جرجيس عليه السلام[٣٠] الذى له مرقد معروف فى الموصل يزار[٣١]، محاط بجامع كبير يطلق عليه (جامع النبى جرجيس)[٣٢]

فقد أنكر الشيخ احمد بن الكوله[٣٣] نبوة النبى جرجيس، فأثار موجة عارمة من الإنكار والاحتجاج فى الموصل أولا، ثم انتقلت الى المدن المجاورة، فانبرى الشيخ على بن الدباغ الحلبى الموقت فى (حلب)[٣٤]، يرد عليه فى كتاب أسماه: (إتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام)[٣٥]، ثم بعث بكتابه الى الموصل مع قصيدة نظمها فى النبى جرجيس عليه السلام[٣٦]، ظهرت فى بعض لسان الأعزة فلتة فى حق سيدنا نبى الله جرجيس ، فامتطت لها الأراجيف ظهور العيس الى (حلب) ، فرد هذه الفلتة هذا (الموقت) بتأليف كتاب نفيس ، يذكر فى هذا الكتاب إثبات نبوة هذا النبى الكامل، ثم بعث مع الكتاب قصيدة فى مدح نبى الله جرجيس.........[٣٧]»

وتصاعدت أزمة ابن الكولة تصاعدا مخيفا الى أن بلغت ذروتها فى الموصل ، حيث تألب عليه المشايخ وأصحاب الطرق ومعه المريدون والأتباع فشكوه الى والي الموصل، وكان يومذاك الحاج حسين باشا الجليلى، فأرسل اليه يأمره بالتوقف عن هذا الإنكار[٣٨]»

وتختلف الروايات فى حقيقة موقف الشيخ أحمد بن الكولة بعد ذلك،فمن قائل: (إنه

---

(٣٠) انظر: قصة نبى الله جرجيس عليه السلام فى: منهل الأولياء (٢/٢٣ـ٣٢)
(٣١) انظر ما جاء عن المرقد فى: منية الأدباء (٩٤ـ٩٦)
(٣٢) جوامع الموصل (١٠٧ـ١٢٧).
(٣٣) انظر سيرته فى: السيف المهند فى من اسمه احمد (٢٢ مخطوط) ومنهل الأولياء (١/٢٨٤) والروض النضر (٢/٢٩ـ٣٠)
(٣٤) انظر سيرته فى: شمامة العنبر (٢٣٠) وسلك الدرر (٣/٢٣٣) وإعلام النبلاء (٧/٨ـ١٢)
(٣٥) توجد نسخة منه فى مكتبة داود الحلبى فى الموصل بخط مؤلفها الذى فرغ من كتابتها سنة ١١٤٥هـ.
(٣٦) انظر: نص القصيدة فى شمامه العنبر (٢٣٢ـ٢٣٦) فى اثنين وتسعين بيتا.
(٣٧) شمامة العنبر (٢٣٢).
(٣٨) السيف المهند فى من اسمه احمد (٢٢ مخطوط).

تاب وأناب[٣٩])، ومن قائل : (إنه أصر على موقفه)[٤٠]، ومن قائل: (إنه أطاع ظاهرا وأنكر خفية)[٤١].

ومهما يكن موقف ابن الكولة، فليس ثمة دليل على أن هذه الدعوة السلفية قد خمدت، فقد استمر فى حملته على المقامات والمشاهد وعلى من يتخذها وسيلة للتكسب[٤٢]، الى أن توفى سنة (١١٧٣هـ - ١٧٥٩م)[٤٣].

وحمل الراية بعد ابن الكولة ابنه الشيخ محمد الذى كان : «شديد الإنكار على جميع الأولياء»[٤٤].

وبذلك انقسم الموصليون الى فريقين: فريق محافظ متأثر بالطرق الصوفية، وفريق سلفى يدعو الى نبذ تقديس الأولياء ، والى مقاومة الصوفية، وجمع كل فريق ما استطاع من حجج للدفاع عن آرائه.

لقد كان هدف الدعوة السلفية مقاومة نفوذ المشايخ أصحاب الطرق الصوفية، ومقاومة تقديس مراقد الأولياء ، وتنقية الدين من البدع بالعودة الى التمسك بالكتاب والسنة، وكانت حركة ابن الكولة احدى الفورات فى الموصل من فورات الدعوة السلفية، سبقها فورات كثيرة وأعقبها فورات كثيرة، فالدعوة السلفية فى الموصل قائمة فى الماضى والحاضر وستبقى قائمه فى المستقبل.

ولقد شهدنا فى أيامنا صراعا عنيفا بين دعاة السلفية من علماء الدين والمتصوفة والمقلدين، وكانت ولا تزال مؤلفات السلفية القدامى كالإمام ابن تيمية والجدد كالشيخ محمد رشيد رضا، شائعة فى الموصل ، يقبل عليها الناس إقبالا شديدا.

---

(٣٩) السيف المهند فى من اسمه احمد (٣ مخطوط).

(٤٠) منهل الأولياء (٢٨٥/١)

(٤١) الدر المكنون (٥٨٥ مخطوط).

(٤٢) الموصل فى العهد العثمانى (٤٠٩).

(٤٣) ابن الخياط - ترجمة الأولياء فى الموصل الحدباء - المقدمة (١٣).

(٤٤) غرائب الأثر (٣٥).

وقد شاءت الأقدار أن يعيش الطالب محمد بن عبدالوهاب فى الموصل وسط المعركة الفكرية التى أثارها الشيخ أحمد بن الكولة، ولا ريب فى أنه تأثر بها، للتشابه التام بين آرائه التى دعا اليها فيما بعد، وبين مبادئ سلفيى الموصل، الداعية الى نبذ زيارة القبور وبناء القباب وتكبير العمائم وتوسيع ثياب علماء الدين، ووضع الأستار والعمائم والثياب على الأضرحة، والاستعانة بجاه أصحابها، والتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة[٤٥]، فقد أكمل الله دينه وأتم نعمته على المؤمنين ، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وصاحبها فى النار.

* * * *

ـ ٦ ـ

تلك لمحات سريعة غير متسرعة عن عام دراسى أو بعض عام لرحلة علمية إلى مدينة الموصل الحدباء من رحلات الإمام محمد بن عبدالوهاب العلمية إلى أمصار العالم الإسلامى، فى وقت كانت كل أمصار المسلمين مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم أو الرزق، لا تفصل بينها الحدود والسدود، لا تجتاز الا بجواز سفر وسمة دخول، تؤهله للاجتياز مدة معينة من الزمن، يعتبر فيها (أجنبيا) تلاحقه الشرطة وتراقبه العيون، وقد أصبحت تلك الأمصار الإسلامية مفتوحة لغير المسلمين مقفلة بوجه المسلم، فيها المسلم من غير أهلها غريب اليد والوجه واللسان ، لا يواسيه أحد ولا يعينه على تحمل أعباء الحياة.

وقد كان طلاب العلم والعلماء قبل أن تقام الحدود والسدود بين ديار المسلمين، يرحلون لطلب العلم والارتشاف من منابعه على زبدة العلماء الأعلام علما وعملا وورعا، فيحلون أهلا وينزلون سهلا، ويتسابق الناس للحفاوة بهم واستضافتهم وتزويدهم بالغذاء والكساء والغطاء والعطاء، فمتى يعود المسلمون الى ما كانوا عليه، ومتى يصبحون كالجسد الواحد أخوة فى الله !

---

(٤٥) الموصل فى العهد العثمانى (٤١٤ ـ ٤١٥).

لقد أقامت قوانين الأرض بين أمصار المسلمين الحدود والسدود، ومزقت الجسد الواحد الحيّ، فأصبح أعضاء وأشلاء متفرقة بلا حياة، وكانت مساجد المسلمين تخرج الدعاة، فأصبحت معاهد المسلمين تخرج الموظفين، وكان فى كل مصر من أمصار المسلمين عدد عديد من العلماء الأعلام، فأصبحت تلك الأمصار تخلو من العلماء، وكان العلماء المسلمون يحكمون أصحاب السلطان، فأصبحوا اليوم يستخذون للحكام، وكان الأمراء على أبواب العلماء، فأصبح العلماء على أبواب الأمراء، وكانوا فقراء بالمال أغنياء بكرامة العلم والعلماء، فأصبحوا أغنياء بالمناصب والمرتبات فقراء بكرامة العلم والعلماء، وأقفلت المدارس الدينية فخلت المساجد والجوامع من العلماء الدعاة الذين يرجون ما عند الله، وفتحت المدارس المدنية فعمرت بيوت الله بأصحاب الشهادات الموظفين الذين يرجون ما عند الناس، وأقفرت ديار المسلمين من الأئمة المرشدين الاّ بقية تعد على الأصابع من علماء الدين المعتمدين الذين تعلموا فى الجوامع، وأينعت ديار المسلمين بأصحاب الشهادات الموظفين الذين تخرجوا فى الجامعات، وآثر خريجو المعاهد المدنية الذين تعلموا العلوم الدينية فيها منابر الجامعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن منبر الجامعة الذى يشغله المسلم وغير المسلم أدسم من منبر الجامع الذى يشغله المسلم دون غيره، وهكذا غزر الانتاج بكثرة الخريجين وساء التوزيع بقلة رجال الدين.

لقد صنعت الحدود ووضعت السدود فى ديار المسلمين، تلك القوانين الوضعية الذى جاء بها نابليون من فرنسا وربط خيوله فى فناء الأزهر، وجاء بها المستعمر ليذل المسلمين ويفرق كلمتهم ويستعبدهم ويجعل منهم مسلمين جغرافيين.

وسحقت المدارس الدينية المبادئ الوافدة والتعليم الغربى المستورد، الذى يسلب المسلم عقيدته ويعمر قلبه بالاتجاه المادى، فيصبح كالحيوان يهمه المسكن المريح والطعام الفاخر والجنس ، ولا يهتم بما بعد الحياة، والمرء كما يعيش فى الدنيا يرحل الى الآخرة، فلابد أن يكون لمصيره فى الآخرة من تفكيره ونشاطه أوفى نصيب، والمبادئ الوافدة والتعليم الغربى تعمل للدنيا ولا تعمل للآخرة، والحضارات المادية ماتت الى الأبد بعد موت دعاتها، والحضارات التى بقيت هى الحضارات التى جمعت بين المادة والروح، وقد أكثر الحكام المسلمون من حديثهم عن الإنجازات المادية، ونسوا المتطلبات الروحية، وستفنى

تلك الإنجازات ـ إن وجدت ـ مالم ترتكز على أسس روحية مستمدة من تعاليم الدين الحنيف.

يجب أن نتعلم من سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب والأئمة الأعـلام من علماء المسلمين، مما يفيدنا فى حاضرنا ومستقبلنا، فنعيد الحكم بشريعة الله ونتخلق بخلـق القرآن، ونطبق حكم القرآن لغة وعقيدة وشريعة، ومثلا عليا،ونتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، لتزول الحدود والسدود، وتسود رسالة المسجد، ويومئذ يفرح المؤمنـون بنصر الله.

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يهدينـا حكامـا ومحكومين الى سواء السبيل،..

وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * * *

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين، أبوالحسن، على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى، المعروف بابن الأثير):

١) الكامل فى التاريخ ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ.

الجندى (أنور الجندى):

٢) تراجم الأعلام المعاصرين فى العالم الإسلامى ـ القاهرة ـ .

حسين خلف الشيخ خزعل: ١٩٧٠م

٣) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ بيروت ـ ١٩٦٨م .

الزركلى (خير الدين الزركلى):

٤) الأعلام ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ ١٣٧٣/١٣٧٨هـ .

الديوه جى (سعد الديوه جى):

٥) جوامع الموصل فى مختلف العصور ـ بغداد ـ ١٣٨٢هـ.

٦) مدارس الموصل فى العهد العثمانى ـ مستل من مجلة سومر ـ بغداد ـ ١٩٦٤م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى):

٧) تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ ١٩٦٠م.

عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور):

٨) الموصل فى العهد العثمانى ـ النجف ـ ١٣٩٥هـ .

العمرى (عصام الدين عثمان بن على بن مراد العمرى):

٩) الروض النضر فى ترجمة أدباء العصر ـ تحقيق الدكتور سليم النعيمى ـ بغداد ـ ١٣٩٥هـ.

العمرى (محمد أمين بن خير الله العمرى):

١٠) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء تحقيق سعيد الديوه جي - الموصل - ١٣٨٨هـ.

العمرى (ياسين بن خير الله العمرى):

١١) الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون - مخطوط - توجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية فى باريس تحت رقم (٤٤٤٩).

١٢) زبدة الآثار الجلية فى الحوادث الأرضية - تحقيق:
عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور) - النجف الأشرف/١٩٧٤م.

١٣) غرائب الأثر فى حوادث ربع القرن الرابع عشر - عنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلى - الموصل - ١٣٥٩هـ.

١٤) السيف المهند فى من اسمه أحمد - مخطوط - فى مكتبة سعيد الديوه جي.

١٥) منية الأدباء فى تاريخ الموصل الحدباء - تحقيق سعيد الديوه جي - الموصل - ١٣٧٤هـ.

الغلامى (محمد بن مصطفى الغلامى):

١٦) شمامة العنبر والزهر المعنبر - تحقيق الدكتور سليم النعيمى - بغداد - ١٣٩٧هـ.

المرادى (محمد خليل المرادى):

١٧) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر - القاهرة - ١٢٩١هـ.

الندوى (مسعود الندوى):

١٨) محمد بن عبدالوهاب - ترجمة وتعليق عبدالعليم عبدالعظيم البستوى - مراجعة وتقديم محمد تقى الدين الهلالى - الرياض - ١٣٩٧هـ.

الرسائل الشخصية
للشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور
عبد الله بن صالح العثيمين
رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بعيدة الأثر فى مسيرة التاريخ الإسلامى الحديث. ومن هنا كان الاهتمام الكبير بكل ما يتعلق بصاحبها، وكثرت الكتابات عن حياته ودعوته وما ترتب عليها من نتائج. بل إن نجاح هذه الدعوة أسهم فى حفز همم بعض الكتاب الى التعمق فى دراسة شخصيات علمية سبقته زمنيا،ونادت بمثل أو بعض ما نادي به.

والكتابات التى ظهرت عن الشيخ محمد مختلفة من حيث العمق والسطحية ومن حيث الإنصاف والتحيز، ومن حيث الجدة وعدمها. والمؤمل أن تكون من نتائج هذا الأسبوع دراسات تجمع بين العمق والحياد والابتكار، وألا نجد الكثير منا فى نهاية الأمر يردد مع الشاعر العربى القديم قوله:

ما أرانا نقول الا معارا　　　أو معادا من قولنا مكرورا

لقد كتب الكثير عن حياة الشيخ محمد شابا متعطشا للعلم أينما وجده، وصاحب دعوة مصمما على بذل كل ما يكفل نجاحها، وزعيما مساهما مساهمة كبيرة فى توجيه أمور دولة فتية. كما كتب الكثير عن أصول دعوته وتأثيرها فى مجتمعه وفى مجتمعات اسلامية أخرى.

وبحثى المتواضع المقدم إلى هذا الأسبوع لا يتطرق الى أى جانب من الجوانب السابقة بصفة تفصيلية مستقلة. لكنه محاولة لإيضاح ما تحتوى عليه رسائل الشيخ الشخصية من أهمية، خاصة فيما يتعلق بشخصيته والظروف المحيطة بدعوته.

الرسائل من حيث الصحة:

من أهم الأمور التى ينبغى للباحث أن يعنى بها التأكد من صحة النص الذى يحاول دراسته. فما لم يصل إلى قناعة علمية بصحة ذلك النص، فإنه من العبث محاولة

استخلاص النتائج منه. وهذا ما سأحاول لفت الأنظار اليه فى مقدمة هذا البحث.

لقد عاش الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياة طويلة حافلة بنشاط مختلف النواحي. فمن المعروف أن حياته بصفته صاحب دعوة، ومساهماً فى توجيه دولة تقرب من ستين عاما، وطول حياته، وتعدد جوانب نشاطه، يجعلان المرء يتوقع أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جدا. لكن ما أثر عن الشيخ من رسائل لا يتفق مع ذلك التوقع. وعلى هذا الأساس فإن الباحث يكاد يجزم بأن كثيراً من رسائله الشخصية قد ضاع.

وموقف ابن غنام، الذى يعود اليه أكبر الفضل فى إيراد ما أثر من هذه الرسائل، موقف يدعو إلى التأمل: فهو من ناحيته قد أورد من رسائل الشيخ ما هو مختلف الطول والقصر من حيث المضمون، بل انه فى أحيان نادرة قد أورد شيئا من رسائل خصوم الشيخ تمهيدا لتدوين رده عليها. لكنه من ناحية أخرى: نص على أنه لم يدون كثيرا من أجوبة الشيخ عن بعض المسائل خشية الإطالة[1]. فهل عامل ابن غنام بعض رسائل الشيخ الشخصية معاملته لبعض أجوبته؟ أم أنه لم يعثر إلا على تلك الرسائل التى أوردها فى كتابه؟ مهما يكن من أمر فإن ما أورده ابن غنام منسوبا الى الشيخ يبدو صحيحا.

على أن هناك مصادر أخرى نسبت الى الشيخ رسائل قليلة غير التى ذكر ابن غنام. وقد جاءت هذه الرسائل ضمن القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الذى أفرده بعض الأخوة الكرام المهيئين لهذا الأسبوع لجميع الرسائل الشخصية المنسوبة اليه. وقد جعل هؤلاء الأخوة تاريخ ابن غنام أصلا قابلوا به وأضافوا اليه ما لم يرد فيه. ولاشك أن ما قام به هؤلاء الأخوة يستحق الثناء والتقدير. وبمقدار ما يكون الجهد يأتى اهتمام الباحث بما عمل. ولهذا فإنه من المستحسن الوقوف عند بعض ما عمله أولئك الأخوة.

من دراسة القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد تبدو للمتأمل ملاحظتان:
الأولى : أنه يوجد اختلاف فى بعض عبارات الرسائل المعدة فى هذا القسم وبين

(١) روضة الأفكار والأفهام.. طبعة أبا بطين، القاهرة ١٣٦٨ هـ جـ ١ ص ١٧٥، وسوف يشار اليه فيما بعد بروضة فقط.

أصلها فى تاريخ ابن غنام دون الإشارة الى مواضع الاختلاف. من ذلك مثلا: رسالة الشيخ إلى علماء مكة المكرمة، ورسالته الى الشريف أحمد بن سعيد[٢].

والملاحظة الثانية: أن بعض الرسائل المضافة الى ما ورد فى تاريخ ابن غنام ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه. لنأخذ مثلا: الرسالة التى يقال إن الشيخ أرسلها الى عالم من أهل المدينة، فهى لم ترد إلا فى الدرر السنية، ولم يذكر اسم العالم الذى أرسلت اليه. ومن غير المرجح أن يرسل الشيخ رسالة الى عالم من علماء تلك البلدة دون ذكر اسمه. وبالإضافة الى ذلك: فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ. والمتتبع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه عادة يبدؤها بعبارة: من محمد بن عبدالوهاب إلى فلان بن فلان. لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الشيخ المعتاد.

وقريب مما سبق يمكن أن يقال عن تلك الرسالة التى يدعى أن الشيخ بعثها إلى عبدالله الصنعانى، فإنها لم ترد الا فى الدرر السنية. ولم ينص فيها على اسم مرسلها. واذا قورنت بالرسالة التى كتبها عبدالله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبدالعزيز، يتضح أن هناك تشابها كبيرا بين أجزاء من الرسالتين من حيث الأسلوب والمضمون[٣]. ولعل فى هذا ما رجح أن الذى كتب الرسالة الى الصنعانى هو الشيخ عبدالله بن محمد وليس أباه.

أما الرسالة التى يقال إن الشيخ محمدا بعثها إلى أهل المغرب فمن الواضح عدم رجحان كونها له ، وذلك لعدة أسباب: الأول: ما قيل عن الرسالتين السابقتين المنسوبتين اليه من حيث انفراد صاحب الدرر السنية بإيرادها، وعدم النص فيها على اسم مرسلها. الثانى: أنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين الى بيت الله الحرام. الثالث : ـ وهو أهمها ـ أن هذه الرسالة قد شاعت فى تونس زمن الباى حموده باشا. وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التى قام بها سعود بن عبدالعزيز فى الحجاز.

---

(٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ، طبعة جامعة الإمام ص ٤١، ٣١٢. وسوف يشار اليه فيما بعد بشخصية. وقارن ذلك بروضة ٢/٨١ و١١٤.

(٣) انظر شخصية ص ١٠٠ ـ ١٠١ وقارنها بالدرر السنية ٢٧ جـ ١ ص ١٢٧

وهذا يتلاءم مع السبب الثانى وهو أن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودى فى الحجاز. وعلى هذا الأساس فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبدالله بن محمد الذى كان مع سعود بن عبدالعزيز عند دخوله مكة، كما ذكر سابقا.

وقد ورد فى القسم الخامس من مؤلفات الشيخ رسالة قيل إنها جواب منه عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه. وقد ذكرت هذه الرسالة فى مجموعة الرسائل والمسائل، إضافة الى ذكرها فى الدرر السنية. وأسلوبها مشابه لأسلوب الشيخ فى كثير من كتاباته. لكن ورد فيها ما يثير انتباه الباحث. ذلك أنه وردت فيها عبارة:

«هو مضمون ما ذكرت فى رسالتك أن الشيخ محمدا قرر لكم ثلاثة أصول»[٤].

وقد يبدو للمرء أن من كتب هذه العبارة لابد أن يكون غير الشيخ محمد. لكن قد يكون الشيخ أورد نص العبارة التى كان قد كتبها من أرسلت اليه هذه الرسالة. وقد وردت فى الرسالة أيضا عبارة:

«هذا الذى يدعو إليه ابن عبدالوهاب»[٥].

ولو كان الكاتب لها تلميذا للشيخ أو أحد أنصاره لكان من المرجح أن يضع كلمة « الشيخ» قبل ابن عبدالوهاب. وتعبير الشيخ عن نفسه بابن عبدالوهاب موجود فى رسائله[٦].

ومن ناحية أخرى فإن فى هذه الرسالة ما يشير الى أنها قد كتبت وعبدالله المويس لايزال حيا .

«ومع هذا: يقول لكم شيطانكم المويس إن بنيات حرمة وعيالهم يعرفون التوحيد فضلا عن رجالهم»[٧].

لكن ورد فيها ما نصه: «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟»[٨].

---

(٤) شخصية ص ١٧٢

(٥) المصدر السابق

(٦) روضة ١٢٢/١

(٧) شخصية ص ١٧٣

(٨) المصدر السابق

ولو فرض أن دعـوة الشيخ قد بدأت فى نجـد حوالى سنـة ١١٤٥ هـ ـ فإن هذه الرسالة ـ حسب العبارة السابقة ـ تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥ هـ تقريبا. ومن المعروف أن المويس قد توفى قبل هذا التاريخ بعشر سنين(٩).

ومما سبق يتضح أنه رغم قلة ما أثر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب من رسائل شخصية، فإن نسبة قليلة من هذا المأثور تحتاج الى تدقيق وإعادة نظر.

أسلوب الرسائل:

إذا كان لأسلوب الكاتب دور فى اكتشاف حقائق شخصيته، فإن رسائله أبلغ من كتاباته الأخرى فى إلقاء الضوء على تلك الحقائق. ولعل أهم نقطة يلاحظها المتأمل فى أسلوب رسائل الشيخ، تمسك كاتبها بالأصالة والبساطة.

فأغلب هذه الرسائل يبدأ بمثل العبارة الآتية:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى فلان بن فلان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:».

ومن الواضح أن هذا الأسلوب ينسجم انسجاما كاملا مع المحيط العربى الذى كان الشيخ عائشا فيه؛ ذلك المحيط الذى لم يشهد آنذاك غزو المؤثرات الأجنبية، وهو فى نفس الوقت يتفق اتفاقا تاما مع أساليب السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية. وفى ذلك ما يوضح رغبة الشيخ فى تتبع خطى أولئك السلف فى هذا المضمار.

لكن بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة فى أسلـوب الشيخ، فانه كان ـ فيما يبدو ـ على استعداد للتنازل قليلا عن هذا التمسك اذا كان يظن أن فى التنازل مصلحة عامة لدعوته؛ فهو ـ مثلا ـ كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلبا أو إيجابا فى مسيرة الدعوة، ولذلك خرج أسلوبه فى رسالته اليهم عن أسلوبه المعتاد فى كثير من رسائله.

فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلف:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى العلماء الأعلام فى البلد الحرام. نصر الله بهم سيد

---

(٩) ابن بشر: عنوان المجد.. طبعة ٢ لوزارة المعارف، ١٣٩١ جـ ١ ص ٤ ـ ٥٥

الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعى الأئمة الأعلام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١٠].

وكان ـ أيضا ـ يقدر مكانة حاكم تلك المدينة المقدسة وتأثيره الإيجابى لو تعاون مع دعوته. ولذلك بدأ رسالته اليه بعبارات تدل على نوع من المهارة فى المجاملة اللبقة. فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء بالعز فى الدارين؛ بل تجاوزه الى الإشارة الذكية بأن الشريف بصفته النسبية أولى بنصرة الدعوة:

«بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله فى الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل الى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف»[١١].

والشيخ اذ يؤمل انضمام رئيس قبيلة كبيرة الى دعوته يضيف فى أول رسالته اليه ما يعتقده من عوامل التأثير. فهو حين كتب الى زعيم إحدى القبائل فى الشام قال:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان وأعاذه من نزعات الشيطان.. أما بعد:»[١٢].

وإذا كان المتأمل فى أسلوب الشيخ يرى تمسك صاحبه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ ـ أيضا ـ من خلاله ذكاءه ومحاولته بالاستفادة من كل ما يراه مفيدا لمصلحة دعوته. فبالإضافة الى ما تقدم نراه حين يحاول كسب أهل منفوحة والرياض عن طريق قاضي الدرعية، يصفه فى رسالته اليهم بقوله:

«إن عبدالله بن عيسى ما نعرف فى علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه»[١٣].

---

(١٠) روضة ١٤٤/٢

(١١) روضة ٨٠/٢ ويلاحظ أن كلمة « حضرة» بمعناها هنا لم ترد فى كتابات الشيخ الا فى موضعين: أحدهما فى هذه الرسالة، والثانى: فى رسالته الى السويدى فى العراق. ولعل السبب فى استعماله لها فى هذين الموضعين فقط اعتقاده أن التأثر بهذا النوع من الأسلوب واضح فى القطرين الحجازى والعراقى.

(١٢) روضة ١٥١/١

(١٣) روضة ١٤٦/١

مع أنه يخاطبه فى رسالة أخرى بقوله:

«أنتم ومشائخكم ومشائخهم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحى»[١٤].

ومن ذلك ـ أيضا ـ إثارة النخوة فى نفس المخاطب. فهو يحاول إقناع مخاطبه بقوله:

«إن لك عقلا، وإن لك عرضا تشح به، وإن الظن فيك إن بان لك الحق انك ما تبيعه بالزهايد»[١٥].

ويستثير همم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله:

«والله العظيم إن النساء فى بيوتهن يأنفن لكم، فضلا عن صماصيم بنى زيد»[١٦].

بل إن حبه لنجاح دعوته جعله يقوى عامل الأمل على بادرة اليأس، فهو يخاطب عبدالله بن عبداللطيف الإحسائى بقوله:

«ما أحسنك لو تكون فى آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضى الله عنه فى أوله»[١٧].

مع أنه كان ـ فيما يبدو ـ يئسا من استجابته له حيث يقول فى نفس هذه الرسالة:

«وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات»[١٨].

ومما يلاحظه المتأمل فى رسائل الشيخ اتصافه فى حالات قليلة بنوع من الحدة. وهو أمر ذكره عن نفسه فى رسالته الى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب[١٩]. وكانت هذه الحدة تظهر عادة فى التعامل مع خصم نشط الحركة، أو عدو يبدو الأمل فى إقناعه ضعيفا جدا.

فالشيخ ـ مثلا ـ يبدأ رسالته الى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبارة التالية:

---

(١٤) روضة ١٥٥/١

(١٥) روضة ١٠٧/١

(١٦) شخصية ص ٢٩٢

(١٧) روضة ٥٤/١

(١٨) روضة ٣/١ ـ ٥٤

(١٩) روضة ١٥٧/١

«الذى يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب. فإن كان هذا فهمك فهو من أفسد الأفهام»[٢٠].

ويخاطبه فيها بقوله :

«صار لكم عند ضمامة فى معكال، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء» وقوله: «أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله»[٢١].

ويعبر الشيخ عن انفعاله أحيانا بأسلوب تهكمى لاذع. فهو يصور عبدالله المويس بصورة من يقول:

«اعرفونى اعرفونى تراى جاى من الشام»[٢٢].

وأحياناً لا يذكر اسمه، وإنما يرمز اليه «بصاحب الشام» أو «شاميكم»[٢٣].

وأسلوب الشيخ فى رسائله الشخصية متقيد - على العموم - باللغة الفصحى وقد أعد إعرابها.. لكنه فى أحيان قليلة يخرج عن هذا التقيد،فترد فيه عبارات أو كلمات يمكن أن تعتبر لغة عامة. وهذا الأمر شائع فى رسائل الشيخ الى النجديين بصفة خاصة .

ففى رسالته الى محمد بن عباد وردت عبارة:

«تذكر ان ودك نبين لك ان كان فيها شئ غاترك»[٢٤].

وفى رسالته الى عبدالله بن سحيم يقول:

«فلما غربلك الله بولد المويس»...« لا وجه سميح ولا بنت رجال»[٢٥].

ورسالته الى قاضى الدرعية وابنه أكثر احتواء من غيرها على مثل هذه التعبيرات. بل ان هذه التعبيرات هى الصفة الغالبة فيها .

---

(٢٠) روضة ١٣٨/١ و١٤٢

(٢١) روضة ١٠٠/١

(٢٢) روضة ١٩/١ - ١٢١

(٢٣) روضة ١٠٤/١

(٢٤) روضة ١٠٢/١ و١١٦

(٢٥) روضة ٦/١ - ١٥٧

الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة :

الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

تحدث ابن غنام وابن بشر وغيرهما من أنصار دعوة الشيخ محمد عن الحالة التي كان يعيشها النجديون قبيل بدء هذه الدعوة. وقد أعطى هؤلاء صورة قاتمة عن تلك الحالة. لكن ابن بشر نفسه أشار الى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة. والدارس لما كتبه أولئك العلماء، مثل المنقور، يرى وضوح تلك الصفات فيهم. والمتأمل في سوابق ابن بشر يلاحظ أن حاضرة نجد، على الأقل، كانت بصفة عامة تقوم بالواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج. وماورد من شعر تلك الفترة، كشعر جبر بن سيار، ورميزان ابن غشام، وحميدان الشويعر لايتفق مع الصورة القاتمة التي تصف بها بعض المصادر حالة نجد آنذاك. ومع ذلك : فإن ماورد في رسائل الشيخ محمد يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح كثير من جوانب الحالة الدينية في نجد قبيل بدء دعوته.

من المعروف أن قضية الاعتقاد بالأولياء أو من تعتقد ولايتهم، كانت من الأمور المهمة التي قام حولها نقاش حاد بين الشيخ محمد وخصومه، ورسائله الشخصية حافلة بالحديث عنها من عدة جوانب. فهي تحتوى على أسماء تذكر أن بعض النجديين كانوا يعتقدون بأصحابها. ومن هذه الأسماء: شمسان وداريس وتاج[٢٦]. وتذكر الرسائل أن مما كان يفعله أصحاب هذه الأسماء أخذ النذور من الناس[٢٧]. كما أنها تذكر - أيضا -

---

(٢٦) روضة : ١/١٣٠، ١٥٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢١٦، ٢٢٦. ويلاحظ أن الشيخ أحيانا يقول : أولاد شمسان وأولاد ادريس (روضة ٢١٦/١)، وأحيانا يقول : شمسان وأولاده (روضة ٢٢/١)، أو يقول : محمد بن شمسان (روضة ٢٢٦/١).

(٢٧) روضة ٢١٦/١.

أسماء بعض من كانوا يعتقدون بأولئك الأشخاص[٢٨]. ويستفاد من رسائل الشيخ أن هذه الأمور كانت متوافرة في مناطق نجدية دون أخرى؛ فمنطقة العارض وماليليها جنوبا ـ خاصة الخرج ـ كانت متأثرة بها، بينما كانت منطقة القصيم ـ مثلا ـ خلاف ذلك.

فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله بن علي ومحمد بن جماز أن «أهل القصيم غارهم أن ماعندهم قبب ولا سادات».. لكنه كان يأخذ عليهم عدم معاداتهم لأهل الشرك[٢٩].

ورسائل الشيخ توضح موقفه ممن يرضون باعتقاد الناس بهم، ويأخذون النذور، غاية التوضيح. فقد كان يكفرهم. وغالبا ماوصفهم بالطواغيت. لكنه أحيانا يصفهم بصفات أخرى مثل: المردة الشياطين أو الكلاب[٣٠].

ومما يتعلق بالقضية السابقة موضوع التصوف. ومن المعروف ـ أيضا ـ..معارضة الشيخ للتصوف أو لبعض أنواعه على الأقل. ولعل من أطرف إشارات معارضته له لمزه لخصمه عبد الله المويس بأن أحد مشائخ مشائخه كان متصوفا، وكان يلقب بلقب العارف بالله[٣١]. ومما يتوقعه المرء خلو محيط مثل المحيط النجدى آنذاك من المذاهب الصوفية. لكن رسائل الشيخ تشير الى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض، مثل ولد موسى بن جدعان،وسلامة بن مانع[٣٢]. وأفراد مغمورون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعته أية صلة. لكن اذا سلم بصحة ماورد في رسالة الشيخ، فانه يلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكون جزءا من مدينة الرياض الحالية.

---

(٢٨) مثل طالب الحمض. انظر روضة ١٠٤/١، ١٥٤، ١٥٦.

(٢٩) شخصية ص ٢٣٢.

(٣٠) روضة ١٧٨/١ و ٢١٧.

(٣١) روضة ١٢٠/١.

(٣٢) روضة ١٤٧/١.

وتشير رسائل الشيخ ـ أيضا ـ الى أن سليمان بن سحيم كان يذهب لحضور المولد ويقرأه على الناس، وأنه كان يكتب الحجب المشتملة على الطلاسم[٣٣]. وكان سليمان من سكان معكال المذكورة سابقا.

وعبارة الشيخ لاتنص بصراحة على حدوث الاحتفال بالمولد في نجد. وهي على أية حال الإشارة الوحيدة من الشيخ وغيره التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة.

ومن الأمور للتى ناقشتها رسائل الشيخ والمتعلقة بالتصوف والأولياء، مسألة كتابي دلائل الخيرات، وروض الرياحين. ويفهم من النقاش حولها أنهما كانا من الكتب المقررة في نجد آنذاك. وقد ادعى سليمان بن سحيم في رسالته التي بعثها الى العلماء خارج هذه المنطقة أن الشيخ أحرقهما[٣٤]. وقد نفى الشيخ في رسالته الى السويدى إحراقه للكتاب الأول، وذكر أن سبب ماروج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألا يصير في قلبه أجل من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن[٣٥]. كما نفى ابن غنام إحراق الشيخ لكتاب روض الرياحين[٣٦]. وقد يبدو للبعض نوع من الغرابة في تعليل الشيخ لما أشيع عنه حول كتاب دلائل الخيرات. ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بألا يصير فى قلوب الناس أجل من كتاب الله شيء آخر. ومن الملاحظ أن الإمام الصنعاني قد مدح الشيخ بقوله:

وحرق عمدا للدلائل دفترا . . أصاب ففيها مايجل عن العد

ولم يعلق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هذا البيت في تاريخيهما بأى شيء عليه[٣٧]، كما يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن الدعوة قال:

---

(٣٣) روضة ١/١٤٠

(٣٤) روضة ١/١١٢.

(٣٥) روضة ١/١٥٣.

(٣٦) روضة ١/١٢٩.

(٣٧) روضة ١/٤٧: عنوان ١/٦٩.

«ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا ماشتمل على مايوقع الناس في الشرك كروض الرياحين»[٣٨].

حالة البادية :

وتشير رسائل الشيخ محمد الى مسألة في غاية الأهمية وإن لم تكن من المسائل التي كثر النقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها. فالشيخ يذكر أن كثيرا من أبناء البادية كانوا لايمارسون الواجبات الدينية؛ بل إن كثيرا منهم كانوا لايؤمنون بقضية مهمة من قضايا العقيدة، وهي البعث بعد الموت. ففي رسالته الى محمد بن عيد يقول :

«ومن المعلوم عند الخاص والعام ماعليه البوادى أو أكثرهم... ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض»[٣٩].

وفى رسالته إلى سليمان بن سحيم يقول:

«ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذى ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به، وأن الذى يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذى يضيع الصلوات أكثر من الذى يحافظ عليها، والذى يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها»[٤٠].

وإذا علم أن البادية آنذاك كانت تشكل قسما كبيرا من سكان هذه المنطقة، أدركت خطورة هذه المسألة. ولقد كان حدوث مثل هذا الأمر متوقعا لسيادة الجهل الدينى لدى هؤلاء ـ كما تشير إليه عبارة الشيخ الأخيرة ـ ولعدم وجود سلطة مهتمة بهذا الموضوع.

(٣٨) الدرر السنية ١٢٧/١.
(٣٩) روضة ١٠٨/١.
(٤٠) روضة ١٤٤/١.

ولعل هذا هو السبب الأساسى فى توقف الشيخ فى الحكم على من اتصفوا بالصفات المذكورة فى بداية دعوته، كما ذكر ابن غنام[٤١]. لكن لا بد أن ذلك التوقف لم يدم حين توافرت فيهم الشروط التى ذكرها الشيخ فى رسالته إلى أحمد بن ابراهيم:

«تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع إقرارهم أن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر، لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنادا»[٤٢].

بدء الدعوة في نجد :

من المعروف أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد قبل وفاة أبيه سنة ١١٥٣هـ. فقد ذكر ابن بشر أن الشيخ أقام على الدعوة مدة سنين حتى توفى أبوه[٤٣]. وهذا يعني أن الدعوة قد بدأت سنة ١١٥٠هـ أو قبل ذلك. ومن هنا فإن كلامه لايحدد السنة التي بدأت فيها الدعوة. وليس في رسائل الشيخ مايفيد إفادة كاملة في هذا التحديد، لكن فيها مايلقي بعض الأضواء. فقد وردت في رسالته الى عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائى عبارة:

«اجتمعت بك من نحو عشرين»[٤٤].

وقد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ :

«اجتمعت بك من نحو عشر سنين»[٤٥].

---

(٤١) روضة ٣٣/١.

(٤٢) روضة ٣/١ ـ ١٦٤.

(٤٣) عنوان ٢١/١.

(٤٤) روضة ٥٠/١

(٤٥) شخصية ص ٢٥٠.

وواضح أن العبارة في هذه النسخة تبدو أصح من العبارة الواردة في تاريخ ابن غنام. واذا سلم بصحتها فإن الشيخ كان في الأحساء قبل كتابته لهذه الرسالة بعشرة أعوام. فمتى كتبت هذه الرسالة؟

ليس هنالك نص محدد في تاريخ ابن غنام على زمن أو مكان كتابتها؛ لكن المتأمل في رسائل الشيخ يمكنه أن يستنتج بعض الأمور التي قد تساعد في هذا الموضوع. فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله أنه تألم لكتابته مع أهل الأحساء ضده[٤٦]. وذكر في رسالتيه اللتين بعثهما من العيينة الى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب أنهما كانا يستهزءان بجواب ابن فيروز، وأن أمر عبد الوهاب أشق عليه من أمر أهل الأحساء[٤٧]. فإذا كان عبد الله بن عبد اللطيف قد كتب مع أهل الأحساء، وكانت كتابتهم حين كان الشيخ في العيينة، فإنه من المرجح أن تكون رسالة الشيخ اليه قد كتبت في هذه البلدة. لكن اذا كان من المعروف متى سافر الشيخ من العيينة الى الدرعية فإنه من غير المعروف يقينا متى قدم من حريملاء الى العيينة. فقد يكون قدومه اليها بعد شهور من وفاة أبيه، وقد يكون بعد سنة أو سنتين. واذا فإنه من المحتمل أن تكون اقامته في العيينة بين سنتي ١١٥٣و١١٥٧هـ، وعلى هذا الأساس فإن رسالته المذكورة تكون قد كتبت في هذه الفترة، ويكون اجتماعه بعبد الله بن عبد اللطيف في الأحساء خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١١٤٣و١١٤٧هـ. وبما أن الشيخ لم يطل الاقامة في الأحساء على الأرجح، فإن وصوله الى نجد من أسفاره خارجها كان أيضا في الفترة المذكورة. ومعلوم تاريخيا أنه بدأ دعوته في حريملاء بعد وصوله اليها مباشرة.

ولاشك أن معارضة بعض علماء نجد للشيخ قد بدأت منذ بدئه الدعوة،وقد ذكرت المصادر الأصلية حدوث المعارضة له قبل وفاة أبيه، وفي رسائله مايؤيد ذلك، فقد جاء في رسالة له من العيينة أن عبد الوهاب بن عيسى كان يعمل ضد الدعوة منذ أكثر من خمس سنين[٤٨]. وذلك يعني أن معارضته قد بدأت منذ سنة ١١٥٢هـ على الأقل.

---

(٤٦) روضة ١/٥٠.

(٤٧) روضة ١/٧ ـ ١٥٨.

(٤٨) روضة ١/١٥٧.

أسلوب الدعوة:

تبين رسائل الشيخ أن من أساليب نشر دعوته مراسلة من كان يعتقد تأثيرهم على الناس؛ سواء من أمراء المنطقة أو علمائها، وإجاباته عن أسئلة من كتبوا اليه يستفسرون عن حقيقة هذه الدعوة أو جانب من جوانبها(٤٩). ومن بين تلك الأساليب ـ أيضا ـ ماكان يقوم به الأنصار والدعاة في البلدان النجدية المختلفة من شرح للدعوة أو مجادلة لخصومها. فكان ابن عيدان ـ مثلا ـ أحد المدافعين عنها في الوشم(٥٠). وكان موسى بن سليم يقرأ رسالة كتبها الشيخ وعلق عليها أحد خصومه معترفا بصحة مافيها في عدة بلدان من إقليم العارض(٥١). وكان ابن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء بلدة الرياض.(٥٢).

وفي رسائل الشيخ مايؤيد قول ابن غنام من أنه كان في بداية أمره يدعو معارضيه بأسلوب هادىء. فهو يقول في رسالته الى أحمد بن يحيى :

«هذا ابن اسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام.. وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن ومازادهم ذلك إلا نفورا»(٥٣).

ويقول عن عبد الله المويس أيضا :

«استدعيته أولا بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة»(٥٤).

ويبدو أن هذا الأسلوب اللين كان متبعا في مرحلة مبكرة جدا من نشاط الدعوة. وكان

(٤٩) هذا الأمر واضح في أكثر رسائله ويبدو أن هذا الاسلوب قد حقق نجاحا طيبا، كما كانت الحال بالنسبة لقاضي الدرعية الذى ذكر الشيخ أنه كان من أكبر أسباب قبول الناس للدين. انظر روضة ١٥٦/١.

(٥٠) روضة ٩٧/١.

(٥١) روضة ١٤٠/١.

(٥٢) روضة ١٤١/١.

(٥٣) روضة ١٧٢/١.

(٥٤) روضة ١٠٣/١.

اتخاذه في البداية ضروريا لعدة أسباب، منها ما يتوقعه المرء من أن المعارضة في بداية الأمر لم تكن عنيفة جدا، لأن الدعوة آنذاك لم تكن قد حققت من النجاح مايشعر معارضيها بالخطر، ويدفعهم بالتالي الى انتهاج أسلوب قوى ضدها. واذا سلم بذلك فإنه كان من المتوقع أيضا أن يكون موقف صاحب الدعوة تجاههم غير شديد. ومنها أن الشيخ كان يأمل في اجتذاب بعض المعارضين الى جانبه. والأسلوب اللين من عوامل كسب الآخرين. ومنها أن الشيخ كان يحس بغرابة بعض ماكان يدعو اليه لدى مجتمعه. ومن هنا كان لابد من انتهاج أسلوب اللين ـ مرحليا على الأقل ـ لئلا يكون رد الفعل في غير صالح الدعوة.

يقول الشيخ فى إحدى رسائله:

«لولا أن الناس الى الآن ماعرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذى لم يألفوه لكان شأن آخر، بل والله الذى لاإلٰه الا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه،لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم»(٥٥).

ومن المعروف بطبيعة الحال أن زعماء الدعوة حين رأوا الظروف مناسبة، اتخذوا أهم أسلوب من أساليب نشرها، وهو الجهاد.

المعارضة النجدية:

واضح من رسائل الشيخ أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد. فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالما أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات. ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين عبد الله المويس من حرمة، وسليمان بن سحيم من الرياض.

ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف.

---

(٥٥) روضة ٦/١ ـ ١٥٧.

فمنهم من عارضه منذ البداية واستمر في معارضته[٥٦]، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ماجاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غير موقفه مع مرور الزمن[٥٧]، ومنهم - أيضا - من كان متأرجحا في تأييده ومعارضته[٥٨]. وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين أعطوا أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة؛ قالوا عنه دين أهل العارض[٥٩]، وقالوا إنه مذهب خامس[٦٠]؛ كما ادعوا أنه بدعة خرج أول ماخرج من خراسان[٦١].

ويبدو أن أسباب معارضة أولئك النجديين للدعوة كانت متعددة؛ رغم توافر بعض الأسباب لدى الجميع فإن بعضها قد توافر عند شخص دون آخر، ومن غير العدل إهمال جانب الاقتناع الشخصي لدى فريق من هؤلاء بعدم صحة بعض ماكان يدعو اليه الشيخ. كما أنه من السطحية عدم ملاحظة تغير موقف البعض طبقا لانتقال الدعوة من مرحلة الى أخرى، ومناداتها بأمور لم تكن تنادى بها، أو تطبيقها أمورا لم تكن تطبقها في بداية الأمر. ولعل أوضح دليل على ذلك ماذكره الشيخ نفسه في إحديِ رسائله حيث قال :

«صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال[٦٢]».

وقوله في رسالة أخرى :

«إنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال لكانوا على دين الله ورسوله[٦٣]».

---

(٥٦) من هؤلاء المويس.

(٥٧) مثل ابن سحيم.

(٥٨) مثل عبد الله بن عيسى.

(٥٩) روضة ١٦٧/١.

(٦٠) روضة ١٣٩/١.

(٦١) روضة ١٠٢/١ و١١٦.

(٦٢) روضة ٧/١ - ١٠٨.

(٦٣) روضة ١٥٠/١.

ومن المعروف أن قتال أصحاب الدعوة لخصومهم لم يحدث في أول بدايتها.

ويعطى الشيخ في إحدى رسائله سببين أساسيين لتغير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الى مناوأتها : الأول : أن العامة ستقول اذا كان مايدعو اليه الشيخ هو الحق فلم لم تدعونا اليه قبله؟ وعدم سؤال العامة لهم عنه لايبرر سكوتهم. وهذا يمكن أن يقال عنه بعبارة أخرى : إن هؤلاء.. المعارضين خافوا أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية، لأن الناس سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم، فإن كانوا لم يعرفوا الحكم قبل الشيخ فعلمهم قليل. وان كانوا علموا الحكم وأخفوه فإخلاصهم مفقود. وفى كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم. والسبب الثاني: لتغير موقفهم فى نظر الشيخ إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة[٦٤].

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ السابق، لأن هذا الموضوع كان بطريقة مابين المسائل التى ذكرها ابن سحيم في رسالته الموجهة الى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة[٦٥]. لكن السبب الأول من التعليل لايمكن قبوله دون تحفظ، فلو كان سليمان بن سحيم وأمثاله يرون أن اعترافهم بصحة الدعوة قد يهز من مكانتهم الاجتماعية، لما اعترفوا بصحتها منذ البداية. ولعل السبب الأساسي في تغير موقفهم انتقال الدعوة من طور الى آخر مختلف نوعا ما.

وتشير الرسائل ـ أيضا ـ الى أن تغير موقف بعض المعارضين النجديين كان نتيجة تأثير البعض الآخر، كما حدث بالنسبة لتأثير المويس على عبد الله بن سحيم[٦٦]. كما تشير الى أن عدم انضمام بعض علماء نجد الى الدعوة ناتج عن عدم القدرة على اقناع الأمراء بها[٦٧].

---

(٦٤) روضة ١/١١٤.

(٦٥) روضة ١/١١٣.

(٦٦) روضة ١//١١٦.

(٦٧) روضة ١/١٠٩ و ١٦٢.

وتبين الرسائل أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة كان مختلف الجوانب. وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابة ضدها. والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى. ويأتي في طليعة هؤلاء الكتاب المعارضين، سليمان بن سحيم،وعبد الله المويس، وسليمان بن عبد الوهاب. ومن الجدير بالذكر أن بعض ماكتبه المعارضون النجديون ـ باستثناء الأخير من الثلاثة المذكورين ـ يكاد يكون مفقودا. ولاشك أن أصول كتاباتهم لو وجدت لكان ارتياح الباحث اليها أعظم. لكن رسائل الشيخ ـ على أية حال ـ تلقى أضواء على بعض مضامين تلك الكتابات. فقد ورد في هذه الرسائل أن سليمان بن سحيم كتب أربعة أشياء : أولها تلك الرسالة التي بعثها الى العلماء خارج نجد والتي أورد ابن غنام نصها في تاريخه(٦٨). وقد أورد فيها كاتبها خمس عشرة مسألة اعتبرها مآخذ على الشيخ.

الثاني : رسالة وصلت الى عبد الله بن سحيم. وقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبدالله أنها تحتوى على أربع وعشرين مسألة(٦٩). وهي وإن اشتملت على بعض ماجاء في رسالة سليمان الى العلماء خارج نجد.. الا أنها لاتحتوى عليها كلها، كما يتضح من جواب الشيخ. وهي ـ أيضا ـ تشتمل على مسائل لم ترد في رسالة سليمان المذكورة أولا.(٧٠).

الثالث : رسالة أشار اليها في رسالته الى سليمان بقوله :
«انك زعجت قرطاسة فيها عجايب»(٧١).

وماناقشه الشيخ في هذه الرسالة يوضح أن رسالة سليمان أو قرطاسته المشار اليها هنا غير الرسالتين السابقتين(٧٢).

---

(٦٨) روضة ١١/١ ـ ١١٣.

(٦٩) روضة ١٣/١ ـ ١٢٢. ويلاحظ أن ابن غنام أورد رسالة الشيخ على أنها ردا على رسالة سليمان الموجهة الى العلماء خارج نجد.

(٧٠) قارن ماجاء في الرسالتين : روضة ١١/١ ـ ١١٣ و ١٣/١ ـ ١٢٢.

(٧١) روضة ١٣٨/١.

(٧٢) قارن روضة ١٣٨/١ ـ ١٤١، روضة ١١/١ ـ ١١٣ و ١٣/١ ـ ١٢٢.

الرابع : أوراق ذكر الشيخ أنه وقف عليها. ومضمونها مختلف عما جاء في الكتابات المذكورة سابقا(٧٣).

أما المويس، فقد أشار الشيخ في رسالته الى عبد الله بن سحيم الى أنه ألف كتابا بعثه الى أهل الوشم. وقال إنه مشتمل على ثلاثة موضوعات :

الأول : علم الأسماء والصفات أو العقائد.

والثاني: التوحيد والشرك.

والثالث: الاقتداء بأهل العلم.

وقد ناقش الشيخ الموضوعين الأولين في رسالته الى عبد الله، لكنه ترك مناقشة الموضوع الثالث؛ لأنه كما يقول قد أرسل رأيه حوله الى المويس نفسه(٧٤).

الوجه الثاني من أوجه نشاط المعارضة النجدية : مجادلة أنصار الدعوة في البلدان المختلفة. مثال ذلك : مجادلة ابن اسماعيل جماعة الشيخ في ثرمداء، ومجادلة سليمان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض(٧٥).

الوجه الثالث من أوجه ذلك النشاط : الاتصال بالعلماء، وذوى النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته. مثال ذلك : ماذكر سابقا من إرسال سليمان بن سحيم كتابا إلى العلماء خارج نجد، وشكواه له عند أهل الحرمين(٧٦). وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه، ويستثيرونهم ضده(٧٧). كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن اسماعيل إلى أهل قبة أبى طالب وأغروهم بعدم اتباع الشيخ(٧٨).

---

(٧٣) روضة ١/١٨ ـ ٢٢٠.

(٧٤) روضة ١/٩٧ ـ ١٠٣.

(٧٥) روضة ١/١٠٦ و ١٤١.

(٧٦) روضة ١/١٣٩.

(٧٧) روضة ١/١٠٩ و ١٦٠.

(٧٨) روضة ١/١٠٩ و ١٦٠.

وواضح أن الاتجاه الى الاستنجاد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها.

الوجه الرابع من وجوه نشاط المعارضين المحليين : ترويج الكتب التي ألفها علماء غير نجديين ضد الدعوة بين الناس، كما روج المويس وابن عبيد كتاب القباني البصري، وكما روج المويس وابن اسماعيل كتاب ابن عفالق[٧٩].

علماء الأحساء والدعوة :

وتلقى رسائل الشيخ أضواء على الدور الذى قام به بعض علماء الأحساء تجاه دعوته، وتبين أوجه النشاط التي كانوا يزاولونها، ومن ذلك كتابة الكتب ضده، وإرسالها الى زعماء المعارضة النجديين لتأييدهم أو إقناع من كان منضما اليه بمفارقته. وتوضح هذه الرسائل أيضا بعض النقاط التي ركز عليها أولئك العلماء.

ومن هذه الأمور : قضية الاجتهاد، والتنويه على أن الشيخ لم يكن مؤهلا لممارسته[٨٠]. وقد أوضح الشيخ بدوره موقفه تجاه هذا الموضوع غاية الإيضاح في رسائله[٨١].

ومن تتبع رسائل الشيخ، يتضح أنه كان في طليعة العلماء الأحسائيين الذين قاموا بالكتابة ضده القاضي عبد الله بن عبد اللطيف. ومن الواضح أيضا أن الشيخ محمدا كان شديد الحرص على ضم ذلك العالم الى جانبه، أو على الأقل التزامه الحياد بينه وبين خصومه[٨٢]. ومن أولئك العلماء محمد بن عفالق الذى يقول الشيخ عنه إنه زعم في كتابه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه الحجة[٨٣].

---

(٧٩) روضة ١/١٠٦.

(٨٠) روضة ١/٥٢.

(٨١) روضة ١/٥١.

(٨٢) انظر مدح الشيخ له وتودده اليه في الرسالة التي بعثها اليه. روضة ١/٥٠ ـ ٦٠. وقد أشار الحداد في مصباح الأنام ص ٤ ـ٥ الى أن اسم كتاب عبد الله ضد الشيخ سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد.

(٨٣) روضة ١/١٠٦. ومن بين كتابات ابن عفالق رسالة اسمها :

«تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين» وربما كانت المقصودة هنا. على أن له رسالة أخرى بعثها الى عثمان ابن معمر. وفيها الكثير من الاستشهاد بأقوال ابن تيمية.

كذلك كان منهم ابن مطلق وابن فيروز. وقد أورد الشيخ في إحدى رسائله بيتين من الشعر قال.. إن أحدهما ورد في مصنف ابن مطلق والثاني في مصنف ابن فيروز[٨٤].

وكان الثلاثة الأولون في نظر الشيخ أشد عداوة من ابن فيروز: فقد قال عنهم: «أما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل. أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك». أما ابن فيروز فانه ـ كما يقول الشيخ ـ أقربهم الى الإسلام[٨٥].

ويبدو أن الشيخ كان يدرك خطر أولئك العلماء الأحسائيين؛ لأنه حذر محمد بن سلطان منهم تحذيرا شديدا بعد أن سمع أنه سيعرض كلامه عليهم[٨٦].

ومن الأمور التي أشارت اليها رسائل الشيخ، وجود القبور التي يعتقد فيها أناس من أهل الأحساء[٨٧]، بل وجود أمور تضاد أصل الإسلام على حد تعبيره[٨٨]. ولم يكن غريبا في مثل هذه الظروف أن يعتبر الشيخ تلك المنطقة بلد مشركين[٨٩].

الأشراف والدعوة:

سبقت الاشارة الى أن الشيخ كان يدرك أهمية علماء مكة ومدى تأثيرهم، كما كان يدرك مكانة حاكم تلك المدينة. لذلك كانت مجاملته لكل منهما واضحة في أسلوبه. وفي رسائله مايبين أن المعارضة النجدية قد أدركت أيضا هذه المكانة وتلك الأهمية. وكان أن بذل زعماؤها جهودا كبيرة لكسب قادة مكة الى جانبهم ضد الشيخ. وواضح من تلك الرسائل أن جهودهم قد أثمرت. فقد بعث علماء مكة مكاتيب الى نجد تؤيد المعارضين للدعوة[٩٠]. واتخذ حكام تلك المدينة موقفا عدائيا منها، فسجنوا فريقا من أنصارها حين قدموا للحج، ومنعوا أتباعها من أداء فريضته مدة طويلة[٩١].

(٨٤) روضة ١٦١/١.
(٨٥) روضة ١٦١/١.
(٨٦) شخصية ص ٤ ـ ١٤٥.
(٨٧) روضة ١٦٥/١.
(٨٨) روضة ٥٩/١.
(٨٩) روضة ١٦٦/١.
(٩٠) روضة ١٦١/١
(٩١) روضة ١٠٩/١ و ١٦٠.

وكان الشيخ يعترف بحق آل البيت الذين ينتسب اليهم أشراف مكة ويقول: إن الله شرفهم على أهل الأرض(٩٢).

بل إنه لام بعض أنصاره الذين انتقدوا أحد الأشراف لسماحه بتقبيل يده ولبسه عمامة خضراء، مشيرا الى أن لبسهم الأخضر حدث قديما تمييزا لهم لئلا يظلموا أو يقصر في حقهم من لايعرفهم.

لكن موقفه هذا لم يمنعه من مهاجمة ماكان سائدا في منطقة تحت حكم الأشراف: بل إن رسائله لاتلقى الضوء على ماكان سائدا فيها مما له صلة بالعقيدة فحسب، وانما تشير الى نوع من الانحطاط الخلقي الغريب. فيقول فى رسالته الى البكيلي عن الوضع في مكة :

«حتى آل الأمر بالهتيميات المعروفات بالزنا والمصريات يأتون وفودا يوم الحج الأكبر، كل من الأشراف معروفة بغيته منهن جهارا»

وواضح مافي هذه العبارة من تعميم دفع اليه ـ فيما يبدو ـ شعور عميق بظلم موجه ضد من كتبه. لكن وجود هذا الانحطاط الخلقي عند البعض على الأقل أمر ملفت للنظر.

أيها السادة:

إن ماورد فى هذا البحث جزء مما تحتوى عليه الرسائل الشخصية للشيخ محمد وهو ـ كما لاحظتم ـ لم يتعرض لبعض أصول الدعوة المعروفة، ولم يورد مافي هذه الرسائل من مناقشة حولها. ولاشك أن من له عناية بمثل هذه الأمور سيجد في الرسائل الشيء الكثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...،

---

(٩٢) روضة ٢/٨١

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وآثاره العلمية

لفضيلة الشيخ
إسماعيل محمد الأنصاري

بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين.. وبعد :

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود في الملاحم من سننه، والحاكم في الفتن من مستدركه، وصححه ورواه البيهقي في معرفة السنن له، كلهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمراد بتجديد الدين إحياء مااندرس من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإماتة ماظهر من البدع.

وقد اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا أحد أولئك المجددين الذين أشار اليهم هذا الحديث الشريف، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1] الذى بزغ به في القرن الثاني عشر قمر التجديد، وانتصرت به راية التوحيد، فنقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

مجدد القرن الثاني عشر

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن

(١) نقل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الامام محمد بن عبد الوهاب عن ابن غنام أن أكابر عصره شهدوا له بأنه من جملة المجددين لما جاء به سيد المرسلين وأن فضلاء أهل مصر والشام والعراق والحرمين تواتر عنهم الشهادة له بأنه مجدد الدين. أفاد ذلك في مصباح الظلام ص ٣٧.

محمد بن بريد بن مشرف[٢] التميمي، نسبة الى تميم الذى قال الصحابي الجليل أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ في بنيه «مازلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم : «هم أشد أمتي على الدجال قال : وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم«هذه صدقات قومنا». وكانت سبية منهم عند عائشة فقال :«اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» رواه البخاري في باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع...الخ من صحيحه ج ٥ من شرح فتح الباري.

ولادته ونشأته

ولد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بيت أضاف الى شرف النسب شرف العلم؛ فإن والده عبد الوهاب كان عالما ذا معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما، قاضيا وله أسئلة وأجوبة. ذكر ابن بشر في« عنوان المجد في تاريخ نجد»أنه اطلع عليها واستفاد منها. وسليمان والد عبد الوهاب كان فقيه زمانه متبحرا في علوم المذهب، قد انتهت اليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، ذكر ذلك في ص ٧٢ وقال بعد ذكره «رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتابا في المناسك» وذكر أنه ـ أي سليمان ـ كان معاصرا للبهوتى الحنبلي، وأنه اجتمع به بمكة المكرمة.

وذكر العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب نفس ماذكره ابن بشر، قال «ووالده ـ أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ هو مفتي تلك البلاد، وجده مفتي البلاد، وآثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصرا للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب، اجتمع به بمكة».[٣].

وهكذا كان أعمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناء أعمامه علماء أجلاء، كما اتصل

---

(٢) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ ص ٣٧٩ ـ طبعة مطبعة المنار.

العلم في ذرية الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.. نسأل الله أن يستمر ذلك فيهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وماذلك على الله بعزيز.

مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

تلقى الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ العلم عن مشائخ كثيرين كما نص عليه غير واحد من أئمة العلم.

قال العلامة الشيخ حسين بن غنام في الفصل الثاني من «روضة الأفكار والأفهام»(٤). «وأخذ ـ أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمدى، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراسا من غير سآمة ولا تعب ولا التباس. ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار وجد في الطلب الى مايليه من الأمصار ومايحاذيه من الأقطار،فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وثار لهلاله أقمار، فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرارا، وأتى الأحساء لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ثم المدنى .... الى أن قال :«وقد سمع ـ أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ الحديث والفقه عن جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، وحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه»ا.ه. والى ماذكره ابن غنام هنا يشير العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بقوله في«مصباح الظلام» ص ٨ : «وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي»(٥).

(٤) ج ١ص ٢٦ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) ج ١ ص ٢٧.

وقال الشيخ عبد اللطيف في « مصباح الظلام»[٦] «وقد اجتمع ـ أي : الإمام محمد ابن عبد الوهاب ـ بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها، وأجازه بعضهم، ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الأحساء وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره، وسمع عن والده وعن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه». وقال في موضع آخر من هذا المصدر«مصباح الظلام»[٧]: اشتهرت رحلة شيخنا ـ رحمه ـ الله ـ وسماعه للعلوم، واجتماعه بأعيان وقته، وقد أخذ الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي ـ مفتي الديار النجدية في وقته ـ وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الإمام أحمد معروف مقرر عندهم، وسمع الحديث من أشياخ الحرمين في وقته، وأجازه الكثير منهم، ومن أعلامهم محدث الحرمين الشيخ محمد حياة السندى، وكان له اكبر الأثر في توجيهه الى إخلاص توحيد عبادة الله والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة. ورحل الى البصرة وسمع من أشياخها ورحل الى الأحساء: وهي اذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع منهم وأخذ عنهم وعرف قدرة أهل العلم والنهى».ا.ه

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف ـ أيضا ـ في ذلك في ترجمته للإمام محمد بن عبدالوهاب بعد أن ذكر قراءته الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل على والده قال[٨] ـ «ثم بعد ذلك رحل ـ أي : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ـ يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل الى البصرة والحجاز مرارا،واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأخيار، وأتى الأحساء وهي اذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية والتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى، ثم المدني، وأجازه من طريقين، وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولوية«.قال الشيخ عبد اللطيف :

---

(٦) ص ٩.

(٧) مصباح الظلام ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨) في ترجمة الشيخ عبد اللطيف للامام محمد بن عبد الوهاب. وهي في مجموعه الرسائل والمسائل النجدية ص ٣٨٠.

وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والعربية، وكتب من الحديث والفقه واللغة ماشاء الله في تلك الأوقات»ا.ه

وقال ابن بدران في«المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» «أجازه ـ أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على اصطلاح أهل الحديث من المتأخرين»ا.ه

هذا بعض ماذكره أهل العلم في عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب بالعلم وكثرة مشايخه فيه. وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر من مشايخه من يلي:-

١ ـ والده الشيخ عبد الوهاب ـ مفتي نجد ـ أخذ عنه الفقه بعد أن حفظ القرآن عن ظهر غيب،قال حفيده العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب «أخذ ـ أي : محمد بن عبد الوهاب ـ الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي ـ مفتي الديار النجدية في وقته ـ وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الامام أحمد معروف مقرر عندهم»[٩].

٢ ـ الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى المدني، ذكر صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق»أنه قرأ عليه وأجازه بكل ماحواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه، وشروح كل منهما، وسنن الترمذى بسنده، وسنن أبي داود بسنده، وسنن ابن ماجة بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وكتب النووى كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب للمنذرى، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض وكتب القراءات، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي، وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه، ومسند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسند الإمام الأعظم، ومسند الامام أحمد، ومسند أبي داود ـ أي : الطيالسي ـ ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي وفقه الحنابلة وسلسلته وأصولهم».

(٩) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبته إلى تكفير اهل الايمان والاسلام ص ١٣٩.

وماتلقاه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن ابـراهيم بن سيف النجدى بالحديث المسلسل بالأولية والحديث المسلسل بالحنابلة. قال ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج١ ص ٢٦ في بيان روايته عنه الحديث الأول«نقلت من خطه ـ أى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ مانصه:«حدثنى الشيخ عبد الله بن ابراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة قال : أخبرنا والدى تقي الدين عبد الباقى الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته قال: أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصارى الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفي الخازن،وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الصدر أبو الفتح... وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزى،وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن أبى صالح النيسابورى،وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدى أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد(١٠) الزيادى، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من في السماء»، تفرد به سفيان ولايصح سنده عمن هو فوق سفيان(١١)»ا.هـ

(١٠) ابن محمش بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية آخره شين معجمة.

(١١) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦، ٢٧، وقد صححنا من الاثبات مايحتاج الى التصحيح.

والى ماأوضحه ابن غنام أشار الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب«روى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى ثم المدني وأجازه من طريقين . وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولية كتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم(١٢) من في السماء»

وأما الحديث المسلسل فيقول ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧ «قال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله : حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم الحنبلي بمنزله بظاهر المدينة المنورة عن شيخ الاسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبلي إجازة عن والده تقي الدين المذكور قال : أخبرنا الشيخ عبدالرحمن البهوتي الحنبلي قال : أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي الحنبلي صاحب«منتهى الإرادات» أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد - قاضي القضاة الحنبلي - قال : أخبرنا به بدر الدين الصفدى القاهرى والحنبلي قال : أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي قال : أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال : أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام

---

(١٢) قال العلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحنبلي الدمشقي ثم الحلبي المتوفى سنة ١١٩٢هـ فى «منار الاسعاد» ص ٣٠١ الرواية في «يرحمكم» بالرفع، كما نبه عليه شيخ مشايخنا الشيخ عبدالباقي - رحمه الله - فى الكواكب السائرة له فقد ذكر في ترجمة شيخه العلامة أبى الثناء محمد البيلوني الحلبي أنه لما أسمعه هذا الحديث المذكور أملاه عليه برفع «يرحمكم» على أنه جملة دعائية وقال له: هكذا أملاه علينا شيخنا البرهان بن العماد الحلبى وأفاد أن الرواية فى «يرحمكم» بالرفع لكونها جملة دعائية وليست بالجزم على انها جواب الامر انتهى ولا يمتنع الجزم عربية»أ.هـ.

أحمد»[١٣]. والى هذا المسلسل بفقهاء الحنابلة أشار العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة جده الإمام «سمع منه - أي: من عبد الله بن ابراهيم النجدى - مسلسل الحنابلة بسنده الى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد»ا.هـ.

هذا - وهناك طريقان آخران أجاز بهما الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما ذكره ابن غنام في«روضة الأفكار والأفهام» وأوضحه صاحب التوضيح احداهما - عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلباني عن الشيخ أحمد ابن علي الوفائي المصلحي عن الشيخ موسى الحجاوى عن القاضي برهان الدين بن مفلح عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضي صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين أبي عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر عن القاضي أبي يعلى المرداوى عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزى عن الإمام أحمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - عن عبد القادر التغلبي عن عبد الباقي أبي المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائي عن موسى الحجاوى عن أحمد الشوبكي عن العسكرى عن عبد الرحمن بن رجب[١٤] عن ابن القيم عن تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبي عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفاء بن عقيل عن

---

(١٣) روضة الأفكار والأفهام ج١ ص ٢٧.

(١٤) كذا في «التوضيح ووقع في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» لفضيلة الشيخ البسام ج ٣ ص ٨٤٤ مانصه«عن أحمد العسكرى عن علي بن سليمان المرداوى عن ابن خندس عن ابن اللحام عن الحافظ بن رجب» ا.هـ وهذا هو الصواب الموافق لما ورد في إجازة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوى المكي للعلامة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد المسطورة في مقدمة كتاب «الأحكام السلطانية» للامام أبي يعلى.

القاضي أبي يعلى عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزى[١٥] عن الأثرم عن الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم»ا.هـ.

٣ - من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الإمام المحدث محمد حياة السندى[١٦] ذكر ذلك غير واحد منهم حفيده وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عثمان بن بشر. قال الشيخ عبد الرحمن في الرسالة التي أجاب بها من سأله عمن روى عنهم من المشايخ بعد أن ذكر ماتلقاه عن جده محمد بن عبد الوهاب «سنده - أي : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - معروف،تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة منهم : محمد حياة السندى،والشيخ عبد الله بن ابراهيم القرضي الحنبلي »،وقال الشيخ عثمان بن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص ٣٦ في ترجمة محمد حياة السندى« أخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، صاحب الإمداد في علوم الإسناد وأخذ عنه جماعة أجلهم شيخ الأسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، والشيخ علاء الدين السورى وغيرهما»ا.هـ

وقد بين العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في«مصباح الظلام» ما للشيخ محمد حياة السندى من أكبر الأثرعلى الإمام محمد بن عبد الوهاب حيث قال ص ٣٩«كان له - أى الشيخ محمد حياة السندى - أكبر الأثر في توجيهه - أي:الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى والاشتغال بالكتاب والسنة».ا.هـ.

---

(١٥) كذا في التوضيح وفي بعض الأثبات «عن أبي بكر غلام الخلال عن أبى بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال عن أبى بكرالمروزى عن الامام أحمد ابن حنبل»

(١٦) كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبته وصنف فيه مصنفا سماه «تحفة الأنام» في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام،وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفا عجيبا شرحا على الأربعين النوويةسماه تحفة المبين شرح الأربعين» ا.هـ. ذكر ذلك ابن بشر في عنوان المجد ج ١ ص ٣٤. وقال الكتاني في «فهارس الفهارس» ج ١ ص ٢٤٤« له شرح على الترغيب والترهيب في مجلدين وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر والأربعين حديثا من جمع الملا علي القارى والايقاف على سبب الاختلاف وتحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام»ا.هـ.

٤ ـ الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة، وهو عالم جليل أُقام الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرأ عليه. قال ابن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد ج١ ص ١٦ في خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من نجد الى البصرة يريد الشام قال :«فلما وصلها ـ أي : البصرة ـ جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة ـ قرية من قرى البصرة-في مدرسة فيها، ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي فأقام مدة يقرأ عليه فيها وينكر أشياء من الشركيات والبدع وأعلن الإنكار واستحسن شيخه قوله : وقرر له التوحيد وانتفع به».ا.هـ.

٥ ـ الشيخ على أفندى الداغستاني حينما اجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة وأجازه،ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق[١٧]. وذكر أنه أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ماحواه ثبت الشيخ أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعليما مما تقدم ذكره في إجازة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى للامام محمد ابن عبد الوهاب، وممن عدّ الشيخ علي أفندى الداغستاني من مشايخ الإمام محمد بن عبدالوهاب الشيخ ابن بدران في«المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» قال ص ٢٣ «وأخذ ـ أي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ عن الشيخ علي أفندى الداغستاني، وعن المحدث الشيخ اسماعيل العجلوني وغيرهما من العلماء»ا.هـ وذكره ـ أيضا ـ الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» فقد صرح بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني ومحمد العفالقي» وذكره ـ أيضا ـ الشيخ محمد حامد الفقي في كتابه« تاريخ الدعوة الوهابية فى الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها»والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية» الطبعة الأولى.

---

(١٧) وعلى هذا هو علي أفندى بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي عن الشيخ محمد بن علي الكاملي عن الشيخ خير الدين الرملي وأخذ الشيخ علي أفندى ـ أيضا ـ عن الشيخ عبد الكريم الآمدى والشيخ أيوب الداغستاني ثم رحل الى الحجاز وجاور مدة وأخذ عن الشيخ محمد حياة السندى عن الشيخ عبد الله البصرى، وتوفى عام ١١٩٩. ذكر ذلك كله صاحب تقريب المراد في رفع الاسناد ص ١٢٢.

٦ ـ عبد اللطيف العفالقي الأحسائي، أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ماحواه ثبت الشيخ عبد الباقى أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعليما، ذكر ذلك صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» وممن ذكر إجازة العفالقي للإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ محمد حامد الفقى في كتابه «في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب».

٧ ـ الشيخ اسماعيل العجلوني، ذكر ذلك العلامة ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية»، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٨ ـ الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، فقد جاء في«حصر الشارد» من أسانيد الشيخ محمد عابد في كتاب المحب الطبرى«القرى لقاصد أم القرى» رواه الشيخ عبدالله ابن محمد بن عبد الوهاب عن أبيه ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى. ذكر ذلك العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات». وتعقبه بقوله «ماذكره ـ أي : صاحب حصر الشارد» من أن محمد بن عبد الوهاب أخذ عن البصرى فيه عندى نظر،فإن المعروف في تاريخ الوهابية أن محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١١هـ ومات سنة ١٢٠٧هـ، وهو الذى في الخلاصة الدحلانية؛ فإذا إنما عاصر البصرى بنحو العشرين سنة، لأن وفاة البصرى كانت سنة ١١٣٤هـ،وعلى مافي التوضيح لحفيده سليمان أن ولادته كانت سنة ١١١٠ وكذا في الحطة لصديق حسن، فعلى هذا يستبعد أخذه عنه وهو بمكة وابن عبد الوهاب في نجد. والمعروف أن ابن عبد الوهاب انما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه،كعلي الداغستاني ومحمد العفالقي. وفي الحطة أنه أخذ عن عبد الله بن ابراهيم النجدى تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي، وانظر كتب أولاده كالتوضيح لسليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وغيره، والله أعلم؛ ولو صح أخذ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى لكان آخر تلاميذه في الدنيا مع أن آخرهم موتا فيما نحفظ الشمس محمد بن عبد الله المغربى، مات قبله سنة ١٢٠١ كما سبق في الأضداد للبصرى» هذا ماتعقب به الكتاني مافي حصر الشارد، وفيه عندى نظر من وجوه؛ أولها أن المعروف في تاريخ دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب أو ولادة الامام محمد بن عبد الوهاب كانت سنة ١١١٥ لا عام ١١١١.

الثاني : أن ماعزاه الى «التوضيح» و«الحطة» غير صحيح. فقد جاء في «التوضيح» مانصه : «ولد : أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ سنة ١١١٥هـ، وجاء في الخطة انه سنة خمسة عشر بعد المائة والألف. وأما الخلاصة الدحلانية وغيرها من كتابات مؤلفها عن الإمام محمد بن عبد الوهاب فلا اعتبار بها لكراهته لدعوته وبغضه له؛ بل لو فرضنا أن الأمر بخلاف ذلك لاينبغي للكتاني أن يقلد من أخطأ في خطأه. فقد قال المؤرخ : الإغراق في التقليد الأعمى الى اتباع الأوهام الساقطة التي تدل على أن الناقل أو الناسخ كان لايتأمل مايقرأ ويجرى به قلمه ولله عاقبة الأمور»ا.هـ.

الثالث : أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد حج فى السنة الثانية عشرة من عمره، وكان الشيخ عبد الله بن سالم البصرى اذ ذاك لم يزل حيا،لأنه لم يتوف إلا عام ١١٣٠. فلا يستبعد اتصاله مادام الأمر كذلك.

٩ ـ الشيخ صبغة الله الحيدرى. ذكر ذلك الشيخ محمود شكرى الألوسي فى تاريخ نجد : «يقال إنه ـ أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ قدم بغداد وأخذ عن صبغة الحيدرى»[١٨].

---

(١٨) وصفه الشيخ أمين حسن الحلواني المدني في «مختصر مطالع السود باخبار آل داود ص ٢٧ انه عالم علامة ثم قال : فمن أخذ عنه العلامة زين الدين الهكارى والعلامة محمد بن شروين والفاضل أحمد المحلي والجهبذ شيخ الكردوى الاسنوى ثم المدني، والشيخ عبد الملك العصامي في الحديث النبوى وهو أخذ عنه ـ أيضا ـ بحق سماع عبد الملك من والده عن العلامة ابن حجر المكي وذكر أنه توفي عام ١١٩٠هـ.

من ثناء أهل العلم
على الإمام محمد بن عبد الوهاب

حظي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من ثناء أهل العلم عليه بالشيء الوفير: وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم من يلي:-

١ ـ والده الشيخ عبد الوهاب، كان يتوسم فيه الخير ويحدث بذلك ويبديه ويؤمل بذلك ويرجوه ويعترف بالاستفادة منه على صغر سنه. قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ كان عبد الوهاب أبوه ـ أي : محمد ـ يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه ويقول : لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام أو قريبا من هذا الكلام، وذكر ذلك العلامة ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» ج ١ ص ٢٥.

٢ ـ العلامة الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني[١٩] أنشد فيه قصيدة أثنى عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبإلزامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام. بين في تلك القصيدة ماعليه أكثر الناس في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التبرك بالأشجار والأحجار والقبور وغير ذلك من أنواع الانحراف.

يقول الصنعاني في تلك القصيدة

سلامي على نجد ومن حل في نجد .·. وإن كان تسليمي على البعد لايجدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقي الحيا .·. رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أثير ينشد الريح ان سرت .·. ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

---

(١٩) وقد أثنى عليه ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام بقوله ج ١ ص ١٩ كان مشهورا بالعلم والفهم.ا.هـ.

يذكرني مسراك نجدا وأهله .·. لقد زادني مسراك وجدا على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها .·. به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد .·. فيا حبذا الهادى وياحبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله .·. بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وماكل قول بالقبول مقابل .·. ولاكل قول واجب الطرد والرد
سوى ماأتى عن ربنا ورسوله .·. فذلك قول جل قدرا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها .·. تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه .·. يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهرا ماطوى كل جاهل .·. ومبتدع منه فوافق ماعندى
ويعمر أركان الشريعة هادما .·. مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله .·. يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها .·. كما يهتف المفطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيدة .·. أهلت لغير الله جهرا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل .·. ومستلم الأركان منهي باليد

الى أن قال:

فقد سرني ماجاءني من طريقه .·. وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى(٢٠)

وفي بيان حالة الأقطار وقت ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول الصنعانى فى قصيدة له أخرى:

---

(٢٠) وردت هذه القصيدة بكهالها في ديوان الصنعاني ص ١٢٢ ـ ١٣٢ وأشار اليها شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب في«مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد »بقوله : «الأمر كما قال الصنعانى في قصيدته»
أقاويل لاتعزى الى عالم فلا تسا وى فلسا ان رجعت الى النقد.
وذكر الصنعانى في «تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد »منها أربعة أبيات تبتدىء بقوله :
أعادوا بها معنى سواع، وتنتهي بقوله:ويستلم الأركان منهي بالأيدى
وعبر الصنعاني عما ذكره منها بالأبيات النجدية
وذكرها ابن غنام فى روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٤٦ ـ ٤٩ ووصفها بأنها بديعة في معناها فائقة أترابها رونقا وحسنا.

أسائل من دار الأراضي سياحة . . عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح مارأى . . وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم . . محاسن يرجى عندهن ثواب

٣ ـ العلامة محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار وغيره من الكتب المهمة، ذكره في ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة من كتابه«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع». وقال في ج ١٢« وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور أي: عبد العزيز بن سعود مجلدان لطيفان أرسل بهما الى حضرة حولان الامام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد الى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذى يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة. والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من سفهاء صنعاء وصعدة ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وبجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة. وقد هدم عليهم جميع مابنوه وأبطل جميع مادونوه، لأنهم مقصرون متعصبون فصار مافعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه، وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه الى سيدى المولى الإمام فدفع حفظه الله جميع ذلك،فأجبت عن كتابة الذى كتب الى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه:أن الجماعة الذين أرسلوا اليه بالمذكرة لاندرى من هم، وكلامهم يدل على أنهم جهال ،والأصل والجواب موجودان في مجموعين»ا.هـ.

وذكر الشوكاني في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ج١ ص٢٦٢. ذكر ماقام به الإمام محمد بن عبدالوهاب من الدعوة الى توحيد الله عز وجل والإنكار على المعتقدين في الأموات، وماقام به الامام محمد بن سعود من إجابته ونصره ومجاهرة من خالف دعوته دعوة التوحيد، وقيام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود مقامه،وقيام الإمام سعود بن عبد العزيز مقام عبد العزيز من بعده، وما لذلك في بلاد اليمن من الآثار العظيمة فقال :«وصل اليه ـ أي : الى محمد بن سعود ـ الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب

الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه. وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه، فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد المقدسة والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها الى فتح كثير من البلاد الحجازية،ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود، ثم قام بعده ولده سعود فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحوا بلاد أبي عريش ومايتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش،وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد، ومازال الوافدون من سعود يفدون الينا الى صنعاء الى حضرة الإمام المنصور والى حضرة ولده الإمام المتوكل، فكتب اليهما بالدعوة الى التوحيد، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب اليّ - أيضا - مع مايصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة دمار وما يتصل بها»ا.هـ.

٤ - الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادرالحفظي[٢١] قال في الثناء عليه والإشادة بدعوته.

الحمد حقا مستحقا أبدا .:. لله رب العالمين أبدا
مصليا على الرسول الشارع .:. وآله وصحبه والتابعي
في البدء والختم وأما بعد .:. فهذه منظومة تعد

(٢١) وصفه الشيخ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني اليماني الصنعاني في كتابه «نيل الوطر في رجال اليمن في القرن الثالث عشر» بأنه الشيخ العلامة البارع في الفنون وقال : كان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودماثة أخلاق واشتغال بما يقربه من الأخلاق وكان المرجع لأهل جهته بعد وفاته قال: «ولما ظهرت الدعوة النجدية - يعني دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بالبلاد التهامية كان ممن مال اليها وحث الناس على اجابتها وكتب الى حاكم المخلاف السليماني أبي عريش القاضي عبد الرحمن البهكلي وسائر علماء المخلاف قصيدة في ذلك أولها :

هاج الشجى وهاج شوق المبتلي   وبدت صبابات الغرام الأول

وذكر أن له مؤلفات في النحو وغيره ومات بقرية رجال من عسير في سنة ١٢٣٧هـ.

حركنـي لنظمهـا الخـير الـذى .·. قـد جاءنـا في آخـر العصر القـذى
لما دعـا الداعـي من المشـارق .·. بأمـر رب العـالمين الخالـق
وبعـث اللـه لنـا مجددا .·. من أرض نجـد عالما مجتهـدا
شيخ الهدى محمد المحمدى .·. الحنبلي الأثـرى الأحمـدى
فقـام والشرك الصريح قـد سرى .·. بـين الـورى وقـد طغـى واعتكرا
لايعرفـون الـديـن والتهليـلا .·. وطـرق الإسـلام والسبيـلا
إلا أسـاميهـا وباقـي الرسم .·. والأرض لاتخلـو من أهـل العلم
وكل حزب فلـه وليجـه .·. يدعـونـه في الضيـق للتفريجـة
وملـة الإسـلام والأحكـام .·. في غربـة وأهلها أيتـام
دعـا الى اللـه وبالتهليلـة .·. يصرخ بـين أظهـر القبيلـة
مستضـعفـا ومـالـه من ناصـر .·. ولالـه مسـاعـد مـوازر
في زلـة وقلـة وفي يـده .·. مهفـة تغنيـه عـن مهـذه
كأنهـا ريح الصبـا في الرعـب .·. والحـق يعلـو بجنـود العـرب
قد أذكرتنـي درة لعمـر .·. وضرب موسى العصـا بالحجـر
ولـم يزل يدعـو الى دين النبي .·. ليس الى نفس دعـا أو مذهب
يعلـم النـاس معانـي أشهـد .·. أن لاإلـه غيـر فرد يعبـد
محمـد نبيـه وعبـده .·. رسـولـه اليكـم وقصـده
أن تعبـدوه وحـده لاتشركـوا .·. شيئـا به والابتـداع فاتركـوا
ومـن دعـا دون الإلـه أحـدا .·. أشرك بالله ولـو محمـدا
إن قلتـم نعبـدهـم للقربـة .·. أو للشفاعـة فتلك الكذبـة
فربنـا يقـول في كتابـه .·. هذا هو الشرك بلا تشابـه
هذه معانـي دعـوة الشيـخ لمـن .·. عاصره فاستـكبـروا عـن السنـن
فانقسـم النـاس فمنهم شـارد .·. مخـاصـم محـارب معانـد
مابـين خفـاش وبـين جعـل .·. شاهـت وجـوه أهـل هذا المثل
وبعدمـا استـجيب للـه فمـن .·. حـاد في اللـه تردى وافتتـن

ذكر هذه الأبيات الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ص ٧٢،وأضاف الحفظي الى ذلك ماصرح به في «اللجام المكين والزمام المتين» حيث قال : ولقد كتبت الى بعض علماء اليمن وقضاتها منظومة قلتها في ذلك ـ أي في الدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والحق أولى أن يجاب وإنما ∴ لم أدر ماحيلولة المتحيل
إن كان ظنا أن ذاك مخالف ∴ فهو البرى من الخلاف المبطل
بل قام يدعو الناس للتوحيد ∴ والتجريد والتغريد للرب العلى
ويذب عن شرع النبي محمد ∴ ويذم من يدعو النبي أو الولي
أو كان ظنا أن فيه غلاظة ∴ وفظاظة وشكامة لم تجمل
فأقول حاشا ان فيه ليونة ∴ وهيونة للمقبل المستقبل
واذا رأيت مفاسدا من بعضهم ∴ فالشيخ عن ذاك الفساد بمعزل

ومما وفق فيه العلامة الحفظي مكاتبة أئمة الدعوة في كل مناسبة تقتضي ذلك. فقد كتب اليهم يسأل عن مسألة الضيافة هل هي واجبة أم لا؟ وعن طلب الإمام وعماله الزكاة من الأموال للباطنة هل يجوز له أم لا؟ وعن حكم العمل بصريح الحديث وظاهره اذا وجده المرء في الأمهات الست أو ماالتزم مخرجه فيه الصحة والحسن. هل للإنسان العمل به والاعتماد عليه وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا؟ وهل عارضه أقوى منه؟ وفي خطاب الحفظي المتضمن لتلك الأسئلة تصريحه بأنه على ماعليه الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من إخلاص الدعاء لله وترك عبادة ماسواه وأنه لايرضى بالإشراك والتخلف عن التوحيد ولو قدر فواق،فأجابه الشيخان الجليلان حسين وعبد الله ابنا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن تلك الأسئلة بجواب سجل تحت عنوان «المسائل الحفظية» في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ط مطبعة المنار ص ٥٤ ـ ٥٤٩.

وكتب الحفظي ـ أيضاـ الى أئمة الدعوة يسأل عن ضبط كلمة الاخلاص ومعناها وحقيقتها وحكمها ولازمها وفائدتها ومقتضاها ونواقضها ومتمماتها،فأجاب عن ذلك

السؤال العلامة سعيد بن حجي الحنبلي النجدى بجواب طويل جدا ورد في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ٨٤٠ ـ ٨٧٤.

وكتب رسالة أخرى يسأل فيها عن مسائل أوردها عليه بعض المجادلين في الدعوة وسمى تلك الرسالة «اللجام المكين والزمام المتين» فأجاب عنها الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الحنبلي بجواب جيد في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٥٨٢ ـ ٦٥٩.

وللحفظي ألفية مازالت مخطوطة نظم فيها خمسة كتب للإمام محمد بن عبد الوهاب هي : تفسير كلمة التوحيد والخصال الثماني وكتاب التوحيد والثلاثة الأصول وكشف الشبهات. وله في التوحيد رسالة قيمة سماها «درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين». أثنى فيها على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى أنصار دعوته أئمة آل سعود حق الثناء قال فيها ص ٤٣ «فمن حين ظهرت هذه الدعوة النجدية الى توحيد الإلهية وجردت عليها السيوف فمن ردها وأباها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه، وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت. والقرآن العظيم أكبر حجة على من بلغه،والمسائل الواضحة التي يشترك في معرفتها الخاص والعام،مثل توحيد الله بالعبادة وأنه لاشريك له فيها يدل عليها القرآن دلالة صريحة معقولة للتالي والسامع مع هداية العقل الى ذلك ودلالته عليه، وفهم الحجة غير بلوغها. وللعلماء أقوال في هذا المجال. وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».. قال«كالدعوة الى التوحيد».

هذا أمر مستفيض وشيء مشهور على علم التوحيد أنه فرض لازم. وعلى الشرب أنه حرام محض، ولكنها حصلت غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعمال كفرية وأقوال شركية وردة صريحة وأفعال قبيحة تتابع فيها كثير من الناس وقلد بعضهم بعضا الا قليلا من الأكياس، وكادت تنطمس آثار مباني الشريعة وتنهدم معانيها المنيعة، ومأأوتي الناس الا من قبل الولايات. وهل أفسد الدين إلا أولئك وأحبار سوء ورهبانها. حتى بزغ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله جنة المآب، فنور الظلام وأجلى الله به الغمام وبين سبل السلام الى بلوغ المرام، وألف

المؤلفات في التوحيد بجميع العبادات مع اقامة الحجج القاطعة والإنصاف التام في المناظرة والمراجعة، فعاد قارح الإسلام به جذعا ورجع دارس الأحكام به متبعا، وكان رحمه الله سنيا أثريا متبعا، وأجاب دعوته وآوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود على قلة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن، ثم وازره بجهوده وبطوقه وعارضه حتى استوى على سوقه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٥ ـ الشيخ محمود شكرى الألوسي قال في تاريخ نجد ص ١١٤(كان ـ أى : الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ شديد التعصب للسنة كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء، والحاصل أنه ـ أى : الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات، وقد جد في تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الدين وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دينه الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من أدلة، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول مادعا اليه من كلمةِ التوحيد وسائر العبادات التي لاتنبغى إلا لله؛ كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة، وغير ذلك،فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الاسلام، بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة»ا.هـ.

وقال الألوسي في هذا الكتاب في موضع آخر «وقد قرر ـ أى : الامام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهاده وتستوعبه وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره وخفيه وجليه كليه وجزئيه ماظهر به فضله وتأكد علمه ونبله، وأنه سباق غايات وصاحب آيات لايشق غباره ولاتدرى في البحث والإفادة آثاره وأن أعداءه ومنازعيه

وخصومه في الفضل وشانئيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر.

حسـدوا الفتـى إذ لم ينالـوا سعيه . . فالنـاس أعـداء له وخصوم
كضرائـر الحسنـاء قلـن لوجهها . . حسـدا وبغيا إنـه لدميم

٦ ـ العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المعروف بابن بدران الدمشقي، وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه«المدخل الى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» ص ٢٢٩: بأنه العالم الأثرى والإمام الكبير قال : «ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد،أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ماأدخله الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشريعة السمحاء، وأعانه قوم وأخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص والدعوة اليه وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده.وهب الى معارضة أقوام ألفوا الجمود على ماكان عليه الآباء وتدرعوا بالكسل عن طلب الحق،وهم لايزالون الى اليوم يضربون على ذلك الوتر وجنود الحق تكافحهم فلا تبقي منهم ولاتذر، وماأحقهم بقول القائل.

كناطـح صخـرة يومـا ليوهنها . . فلـم يضرهـا وأعيا [٢٢] قرنـه الوعل

ولم يزل مثابرا على الدعوة الى دين الله حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف.

---

(٢٢) وفي بعض النسخ (وأوهى)

تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب

تلقى العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عدة من العلماء الأجلاء نذكر منهم من يلي :-

١ ـ سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أقام مدة سنتين يقرأ على الإمام محمد ابن عبد الوهاب، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، ولهذا الإمام معرفة بالفقه والحديث وغير ذلك، وكان كما وصفه بعض العمانيين حيث قال :

إذا جزت باب السيف تلقاه فارسا .·. وإن جزت باب العلم تلقاه عالما
وإن جزت باب الخوف تلقاه خائفا .·. وإن جزت باب السلم تلقى مسالما
وإن جزت باب الدين تلقى ديانة .·. وإن جزت باب الحكم تلقاه حاكما

ولهذا الإمام ترجمة حاسمة في عنوان المجد.

٢ ـ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في بلد الدرعية. قال ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ج ١ ص ١٥١ «له مجالس عديدة في الفقه والتفسير وغير ذلك وانتفع أناس كثيرون بعلمه» ووصفه بأنه العلامة المفيد مفتي فرق أهل التوحيد.

٣ ـ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.وهو عالم جليل ورع شديد الخوف من الله عز وجل،يضرب به المثل في الورع والديانة، وله معرفة تامة بالفقه والتفسير وغير ذلك، وقد عرض عليه القضاء فأبى.

٤ ـ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الدرعية زمن سعود، وكان آية في العلم وفي معرفته ومعرفة فنونه.

٥ ـ ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم فاضل أدركه ابن بشر وقرأ عليه «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب، وقال في عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٠٣ «وأما ابراهيم ابن الشيخ فرأيت عنده حلقة في التدريس له معرفة في العلم، ولكنه لم يل القضاء. قرأت عليه في صغرى في كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف».

٦ ـ حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٢٣] الإمام القاضي عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ذكر تلمذته على جده في رسالته التي أجاب بها السؤال عن مشايخه الذين روى عنهم العلم قال : «اعلم أني قرأت على شيخنا الإمام المجدد شيخ الإسلام ـ أي : محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كتاب التوحيد من أوله الى أبواب السحر وجملة من آداب المشي الى الصلاة، وحضرت عليه مجالس كثيرة في البخارى والتفسير وكتب الأحكام بقراءة شيخنا الشيخ ابنه عبد الله رحمها الله وشيخنا الشيخ ابنه علي ـ رحمها الله في سورة البقرة من تفسير ابن كثير وفي كتاب منتقى الأحكام بقراءة الشيخ عبد الله بن ناصر وغيرهم وسنده ـ أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ

(٢٣) لهذا الامام ترجمة طنانة في «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ج ٢ كان مما ورد فيها ص ٢٥ مانصه : «قد كان منتبها فطنا لدسائس أهل البدع كتبت له مرة ودعوت له في أخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء «انه على مايشاء قدير» فكتب الي وقال في أثناء جوابه : ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهي قول الكثير اذا سأل الله تعالى قال : «وهو القادر على مايشاء» وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شرا، وكل مافي القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس فى القرآن والسنة مايخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وانما قصد أهل البدع بقولهم : «وهو القادر على مايشاء» أى أن القدرة لاتتعلق الا بما تعلقت به المشيئة» ا.هـ. قال : وكتبت اليه مرة أهنئه بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت الى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لايعلمها الا هو فكتب الي فقال : «وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك ـ جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات ـ قلت : وأتوسل اليك بصفاتك الكاملة التي لايعلمها الا أنت : فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذى لايعلمه الا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الامام مالك «الاستواء معلوم والكيف مجهول» ففرق هذا الامام بين مايعلم من معنى الصفة على مايليق بالله فيقال : استواء لايشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه الا الله. فتنبه لمثل هذا فالامام مالك تكلم بلسان السلف فانظر الى سعة علومه واطلاعه» ا.هـ.

رحمه الله ـ معروف تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة،منهم محمد حياة السندى والشيخ عبد الله بن ابراهيم الفرضي»ا.هـ.

٧ ـ العلامة الجليل القاضي حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر. قال ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٩ «أخذ العلم عن عدة مشايخ أعلام أجلهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب». ثم ذكر ابن بشر في ترجمته أنه صنف ودرس وأفتى.

٨ ـ قاضى ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصرى(٢٤)،وهو عالم عامل زاهد ورع حليم ليس للدنيا عنده قدر. أقام عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين يقرأ عليه، وكان الشيخ يكرمه وهو الذى استعمله قاضيا فى تلك الناحية ـ ذكر ذلك ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٣٦.

٩ ـ الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجر قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن عبد العزيز وابنه سعود. قال ابن بشر ج ١ ص ١٧٢ «أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخذ عنه عدة من ناحيتهم».

---

(٢٤) وكان عبد العزيز هذا موضع الثقة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد بن سعود يتبين ذلك في قضيتين ذكرهما ابن غنام في«روضة الأفكار والأفهام» الأولى : انه في السنة الخامسة والثمانين بعد المائة والألف أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز الى والي مكة الشريف احمد بن سعيد اجابة لطلب الشريف منهما أن يرسلا اليه فقيها وعالما يبين لهم حقيقة مايدعون اليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة فأرسلاه اليه وكتبا معه الى الشريف رسالة، فلما وصل اليهم عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقب بالقعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم : يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في ثلاث مسائل: الأولى : مانسب الى الشيخ من التكفير بالعموم، والثانية : هدم القباب على القبور، والثالثة : انكار دعاء الصالحين فيما لايقدر عليه الا الله فذكر لهم الشيخ عبد العزيز ان نسبة التكفير بالعموم الى الشيخ زور، وأقنعهم بأن هدم القباب على القبور هو الصواب وبأن دعاء غير الله عز وجل فيما لايقدر عليه الا الله من الشرك الذى فعله الأوائل، وأطلعهم على عبارة الاقناع في ذلك.
الثانية : من القضيتين أنه في السنة الرابعة بعد المائتين والألف أرسل الشريف غالب بن مساعد امير مكه الى الامام عبد العزيز كتابا يطلب فيه منه انسانا عارفا من أهل الدين يبين لهم حقيقة الأمر فأرسل اليه عبد العزيز الحصين وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة بين فيها دعوته ومقاله.

١٠ ـ قاضي مرات الشيخ حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن عبد الله،قال بن بشر في «عنوان المجد» ج١ ص ٨٣ «قرأ على الشيخ محمد ـ أي : ابن عبد الوهاب ـ وتزوج ابنته وسكن الدرعية عنده».

١١ ـ قاضي الدلم وناحية الخرج محمد بن سويلم.

١٢ ـ عبد الرحمن بن خميس. إمام قصر آل سعود في الدرعية والقاضي زمن عبدالعزيز وابنه سعود.

١٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر،كان قاضي بلد العيينة ثم كان قاضيا في الأحساء زمن سعود وابنه عبد الله.

١٤ ـ الشيخ محمد بن سلطان العوسجي. قاضي المحمل والأحساء.

١٥ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبو حسين. قاضى حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما.

١٦ ـ الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان القاضي في حريملاء زمن عبد العزيز.

١٧ ـ الشيخ عبد العزيز بن سويلم. قاضي ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وابنه عبد الله.

١٨ ـ حمد بن راشد العويني. قاضي سدير زمن عبد العزيز.

١٩ ـ الشيخ العلامة حسين بن غنام صاحب «روضة الأفكار والأفهام» وصفه ابن بشر في «عنوان المجد» ج١ ص ١٥٦ بقوله «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة بالشعر والنثر. صنف مصنفات منها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين». ذكر ذلك في وفيات السنة الخامسة والعشرين بعد المائتين والألف.

هذا قليل من كثير ممن أخذوا العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ـ فقد قال ابن بشر بعد ذكر من سردناهم قبل من القضاة ج ١ ص ١٠٤ قال :

«أخذ عنه من القضاة من لايحضرني الآن عدّه عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الغفير»ا.هـ.

مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب

صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة نافعة منها :

١ ـ كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.
٢ ـ كتاب الايمان.
٣ ـ أصول الايمان.
٤ ـ فضائل الإسلام.
٥ ـ فضائل القرآن.
٦ ـ السيرة المختصرة
٧ ـ السيرة المطولة.
٨ ـ مختصر الصواعق.
٩ ـ مختصر العقل والنقل.
١٠ ـ مختصر منهاج السنة.
١١ ـ مختصر فتح البارى.
١٢ ـ مختصر الهدى النبوى.
١٣ ـ مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه.
١٤ ـ مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
١٥ ـ كشف الشبهات.
١٦ ـ آداب المشي الى الصلاة.
١٧ ـ الاستنباط

١٨ ـ مسائل الجاهلية.
١٩ ـ كتاب الكبائر.
٢٠ ـ مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات عديدة غير ماسميناه. فقد قال الإمام ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام»[٢٥] بعد أن ذكر من مصنفاته «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» و«كتاب الكبائر» و«كشف الشبهات» و«كتاب السيرةالمطولة» و«كتاب السيرة المختصرة» و«مختصر الهدى النبوى» و«مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» قال : «وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصّرات منها فصلا واستوعبنا ماوقفنا عليه منها[٢٦]» وذكر ابن بشر في «عنوان المجد» ج١ ص ١٠٢ من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» و«الاستنباط» و«كشف الشبهات» و«كتاب الكبائر ومسائل الجاهلية» و«مختصر الشرح الكبير والانصاف» و«آداب المشي الى الصلاة» وقال في كلامه على تلك المصنفات ـ أى : مصنفات الشيخ «وصنف غير ذلك عدة نسخ وأوراق وفتاوى ومراسلات فقهية وأصولية أكثرها في أصول التوحيد، وذكر أنه رأى مجلدات عديدة من مراسلات الإمام محمد بن عبد الوهاب وفتاويه ونبذ وضعها لأهل الآفاق كلها في أصول الإسلام»ا.هـ.

هذا ـ وقد بذلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجهودا كبيرا في جمع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مطبوعها ومخطوطها لإظهارها من طريق الطبع بالمظهر اللائق بمكانتها. فبحثت عنها في نجد وفي غيرها من مختلف الأقطار فحصلت منها الشيىء الكثير،ثم قدمت الجميع الى من ترى فيه من العلماء الكفاءة للقيام بالواجب نحوه، وذلك بأن يتولى البعض ترتيب تلك المصنفات حسب فنونها، ويتولى البعض الآخر مايتطلبه

(٢٥) ج ١ ص ٥٠
(٢٦) وذلك في الفصل الثالث في سرد بعض رسائل أرسلها الى بعض البلدان والى بعض خواص الإخوان.

الطبع من المقابلة والتصحيح والتعليق والإشراف بالدقة والتحرى على مايطبع، فبذل أولئك العلماء مجهودهم في أداء تلك المهمة التي تستهدف الجامعة من ورائها إطلاع القراء على علم الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى دعوته كما هي هي بأوثق طريق وأبعده عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل، فنجحت في ذلك

جزاها الله عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن دعوته خير الجزاء.

دعوة

الإمام محمد بن عبد الوهاب الى ماعليه السلف الصالح

يتضح من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثانى عشر وتقاريره ومراسلاته أن دعوته ماكانت الا الى ماعليه الأمر فى عهد السلف الصالح. يتضح ذلك بما يلى :

١ - فى باب صفات الله تعالى وأسمائه دعا الى وجوب الايمان بما فى كتاب الله تعالى من ذلك، وبما فى الأحاديث الثابته عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٢ - فى توحيد الألوهية دعا الى ماتضمنته شهادة أن لاإله إلا الله من نفى استحقاق العبادة بجميع أنواعها عمن سوى الله تعالى واثبات العبادة لله عز وجل على وجه الكمال المنافى لكليات الشرك وجزئياته معتمدا فى ذلك على نصوص كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح فى بحوثه أن ما يفسر به بعض المتكلمين شهادة أن لاإله إلا الله وهو أنه لاقادر على كل شيء ومفتقر اليه كل ماعداه إلا الله. ليس معنى الشهادة المقصود بالوضع وإن كان لازم المعنى؛ اذ الإلــه الحق لا يكون إلا قادرا غنيا عما سواه، وصرح بأنه لخفاء هذا على من خفى عليه زعم أن الغاية المقصودة من هذه الشهادة «لا إلــه إلا الله» مجـرد توحيد الربوبية.

٣ - فيما يتعلق بالرسل عليهم السلام يوجب الايمان بهم وبما جاءوا به من عند الله ويدعو الى تجريد المتابعة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والى القيام بحقوقه من الحب والتوقير، وتقديم ماجاء به على كل ماسواه والوقوف معه حيثما وقف والانتهاء اليه حيثما انتهى، كما دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الايمان بملائكة الله وكتبه على الوجه الذى يرضى الله عز وجل.

٤ - فى مسائل القضاء والقدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشييع، يدعو الى التزام معتقد السلف الصالح فى جميع ذلك والى البراءة مما عليه القدرية المنفاة والقدرية المجبرة ومما ابتدعته المرجئة والرافضة وغلاة الشيعة والناصبة من البدع.

٥ - فى أمور الآخرة دعا الى الايمان بما أثبتته النصوص من البعث بعد الموت.. والحساب والميزان والحوض والصراط والجنة والنار والشفاعة وغير ذلك مما ثبتت به النصوص.

٦ - فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبى طالب ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة،ودعا الى تولى جميع الصحابة والكف عما شجر بينهم، وأوضح أنهم أحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالعفو عما صدر منهم وأقربها الى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم،وحذر من سلوك مسلك الروافض والنواصب فيهم.

٧ - فى علماء الأمة من أهل الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية أثبت لهم الفضل والإمامة. ويأمر بقبول مالا يتعارض مع النصوص من أقوال أئمة العلم ومنع الانفراد عنهم برأى مبتدع أو قول مخترع، ويرى للأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة مايليق بمكانتهم، ومذهبه مذهب الإمام احمد بن حنبل، ولكن اذا بانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بها ولا يقدم عليها قول أى أحد كائنا من كان، بل هى فى صدره أجل من ذلك. يقول فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة «اذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة أخذنا به وتركنا المذهب: كإرث الجد والإخوة فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة[٢٧]. أ.هـ

(٢٧) كذلك كان محمد حياة السندى شيخ الامام محمد بن عبد الوهاب فقد ورد فى ثبت الفلاني الكبير فى ترجمة ابى الحسن السندى الصغير مانصه «كان اماما عالما بالسنة وآثارها عاملا بها مجتهدا لاعصبية فيه قد

٨ ـ فيما يتعلق بدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم دعا الى التزام مافى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تحريم جميع ذلك ولم يرض فى أى شيء من ذلك الا بمستند من الشرع.

هذا مجمل دعوة مجدد القرن الثانى عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب وبه يتبين أنها ليست سوى تجديد مامضى عليه السلف الصالح من تصفية الدين من شوائب الشرك والبدع.

= يعمل بخلاف مذهبه فيما ظهر له فيه الحق على خلاف مذهب امامه كشيخه محمد حياة السندى» ١٠٥ نقل ذلك عن الفلانى العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى فى «فهرس الفهارس والاثبات» ج ١ ص ١٠٤.

من آثار دعوة
الإمام محمد بن عبد الوهاب

أعادت هذه الدعوة المباركة الدين الى ماكان عليه فى عهد السلف الصالح فظهر لذلك من الآثار مايلى :

١ ـ قلع أصول الشرك فى العبودية وهدم آثاره وسد أبوابه.

٢ ـ الرجوع الى مافى القرآن والحديث من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبودية بعد أن كاد الجهل بذلك يعم.

٣ ـ رفع غشاوة الجهل وكابوس التقليد الأعمى

٤ ـ العناية بالعامة، وذلك بتعليمهم معنى الشهادتين وإلزامهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام بعد أن كان بعضهم لايعرف من الإسلام شيئا غير مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على مافى تلفظهم بها من عوج ولا يقومون بشىء من واجباتها.

٥ ـ جمع شمل المسلمين بعد التفرق وإطفاء نيران الظلم والفتن وتأمين السبل،ففى " مختصر مطالع السعود الى طيب أخبار آل داود» للشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدنى ص ٨٠ مانصه «ومن محاسنهم ـ أى آل سعود حماة هذه الدعوة ـ أنهم أمنوا البلاد التى ملكوها،وصار كل ماكان تحت ملكهم من هذه البرارى والقفار ـ أى التى ذكرها المختصر قبل ـ يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خطر خصوصا بين الحرمين الشريفين،ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام، كأنهم إخوان أولاد رجل واحد الى أن عدم الشر فى زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش الى الإنسانية

وتجد فى بعض الأراضى الخصبة هذا بيت عنزى وبجنبه بيت عتيبى وبقربه بيت حربى،وكلهم يرتعون كأنهم إخوان، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتى ولا يطاها الغريب مثلا كما هو مشاهد الآن»ا.هـ.

٦ ـ الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل،قال الشوكانى فى مرثيته بعد تعزيته فيها :

لآل الشيخ وأضعافها[٢٨] للمقرنين كلهم .·. هداة العروى من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم .·. جميع بنى الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا فى الله حق جهاده .·. الى أن أقاموا بالظبى كل مائل

---

(٢٨) أى التعزية

وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب

توفى شيخ الآسلام محمد بن عبد الوهاب عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة عام ١٢٠٦، بذل جهده طيلة ذلك العمر فى طاعة مولاه والاستعداد ليوم المعاد والدعوة الى الله عز وجل. وقد رثي بمراثى كثيرة نقتصر منها على مرثيتين :إحداهما لحسين بن غنام، والثانية للإمام الشوكانى.

قال ابن غنام:

الى اللـــه فى كشف الشدائـــد نفزع ... وليس الى غـــير المهيمـــن مـفزع
لقـد كسفـت شـــمس المعـارف والهدى ... فسالـــت دمـاء فـــى الـخـــدود وأدمع
إمـــام أصيب النـاس طـرا بفقده ... وطـاف بهـم خطـــب من البـــين موجع
وأظـــلـــم أرجـاء البـلاد لمـوته ... وجـل بـهـــم كرب من الحـــزن مفظع
شهـــاب هـــوى مـن أفقــه وسمائه ... ونجـــم ثوى فى التـــرب وواراه بلقع
وكوكـــب ســعـــد مستـنـــير سناؤه ... وبـــدر له فى مـــنـــزل اليمـــن مطلع
وصـــبـــح تـــبـــدى للأنـــام ضيـــاؤه ... فـــداجـــى الدياجـــى بعـــده متقشـــع
لقـد غاص بحـر العلـم والفهـم والندى ... وقـد كـان فيـه للبـــدية مرتـــع
فقـوم جلا عنهـم صدا الـــدين فاهتدوا ... فأسماعـــهـــم للحـــق تصـغـى وتســمع
وقـــوم ذوو فقـــر وجهـــد وفـــاقة ... حووا واقتنـــوا مافيـه للعيش مطمع
لقـد رفـع المـولى بـه رتبـــة الهدى ... بوقـــت بـه يعلى الضـــلال ويدفع
أبـان لـه من لمعـــة الـحـــق لمعة ... أزيل بهـــا عنـه حجاب وبرقـع
سقـــاه غـــير الفهـــم مـــولاه فارتـــوى ... وعـــام بـتـيار الـمـعـــارف يقـــطع
فأحيـــا بـــه التـــوحـــيد بـعـــد اندراسـه ... وأقـــوى به من مظلـــم الشرك مهيع
فأنـــوار صبـح الحـق بـــاد سناؤه ... ومصـــباحـــه عـــال وريـــاه ضيع

سما ذروة المجد التي ماارتقى لها سواه ولا حاذى قناها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد يشيد ويحيي ماتعفى ويرفع
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التي أمرنا اليها في التنازع نرجع
فأضحت به السماء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالألمعى ترفع
فآثاره فيها سواح سوافر وأنواء فيها تضيء وتسطع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه مصابا خشيناه بعده يتصدع
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا وكادت قلوب بعده تتفجع
وفاضت عيون واستهلت مدامع يخالطها مزج من الدمع يهجع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فمالى أرى الأبصار قلص دمعها وليست على فقداه تهمى وتدمع
ومالى أرى الألباب تبدى قساوة وليست على ذكراه يوما توجع
لقد غدرت عين تضن بماءها عليه وكبد قد أبت لاتقطع
يحق لأرواح المحبين أن ترى مقوضة لما خلت منه أربع
وتتلو سريرا فوقه قمر الهدى وشمس المعالى والعلوم تشيع
فما بالها قرت بأشباح أهلها ولم تك في يوم الوداع تودع
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى وحل به طود من العلم مجرع
لئن كان في الدنيا له القبر موضعا فيوم الجزايرجى له الخلد موضع
سقى قبره من هاطل العفو ديمة وباكره سحب من البر همع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ولا زال بالرضوان فيها يمتع

(*) هذه المرثية كلها في «روضة الأفكار والافهام» لابن غنام ج ٢ ص ١٥٥ ـ ١٥٦

وقال الشوكاني :

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي ... وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلي
وخطب به أعشار أحشاي صدعت ... فأمست بفرط الوجد أي ثواكل
ورزء تقاضاني صفاء معيشتي ... وأنهلني قسرا أمر المناهل
غدوت به وهن التياع ولاعج ... حليف أسى للقلب غير مزائل
أسير جوى أفنى فؤادي رسيه ... وقلب من الحزن البدح ذاهل
مصاب به قامت علتي قيامة ... ومن كرب لاقيت أعظم هائل
مصاب به ذابت حشاشة مهجتي ... وعن حمله قد كل متني وكاهلي
مصاب به قد أظلم الكون كله ... وكان على حال من الحزن هائل
مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها ... وقد شمخت أعلام قوم أسافل
رميت به عن قوس أبرح لوعة ... بها نجم روحي كان أسرع آفل
به هد ركن الدين وانبت حبله ... وشد بناء الغي مع كل باطل
وقام على الإسلام جهرا وأهله ... نعيق غراب بالمذلة هائل
وسيم منار الاتباع لأحمد ... هوان انهدام جاء من كل جاهل[29]
وهبت لنار الابتداع سمائم ... بسم لنفس الدين صرد وقاتل
فيامهجتي ذوبي أسًى وتأسفا ... وياكبدي انقشي بحزن مواصل
ويالوعتي دومي وزيدي ولازمي ... ويافجعتي للقلب ماعشت نازلي
ويامقلتي غني الكرى عنك جانبا ... وجودي بدمع دائم السكب هاطل
وياجزعي لاغبت كن متجددا ... وياسلوتي ولي وللقلب زائلي
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرا بموته ... وغيب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدى ... ومروى العدى من فيض علم ونائل
جمال الورى رحب الذرى شامخ الذرى ... وجم القرى صدر الصدور الأوائل
عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا ... جلي الخفا عن مشكلات المسائل
بهي السنا عذب طيب الثنا ... منيل المنى من سيبه كل آمل

---

(٢٩) كذا في أثر الدعوة الوهابية للشيخ محمد حامد الفقي وفي الدرر السنية قسم التراجم.

إمـام الـورى علامـة العصر قدوتى ... وشيخ الشيوخ الحبـر فرد الفضائل
محمـد ذو المجـد الـذى عز دركه ... وحـل مقامـا مـن لحـوق المطاول
الى عابد الوهاب يعـزى وانـه ... سلالـة أنجاب زكـى الخصائـل
عليـه مـن الـرحمن أعظـم رحمة ... تبـل قـراه بالضـمـى والأحائـل
لقـد أشرقـت نجد بنـور ضيـائه ... وقـام مقـامـات الهـدى بالدلائـل
امـام لـه شـأن كبيـر ورتبـة ... من الفضـل تثنـى عـزة المتطـاول
فريد كمال فى العلـوج فهـل ترى ... له فى تقـادير لهـا من مماثل
على خلق يحلى الشيـخ لطافـة ... وكامـل أوصـاف وحسـن شمائـل
وقلـب سليـم للمهيمـن خاشـع ... ضيـب وعـن مولاه ليـس بغافـل
وجنب تجـافيه المضاجـع فـى الدجـى ... وجفـن بهتـان المدامـع هامـل
وعـن ذكر رب العـرش فى السر دائحا ... وفى الجهـر طوال الـدهـر ليس بغافل
عفـو عن الجـانـى صفـوح وحلمه ... الى الشيخ يعـزى ليس يهفـو لعاجل
يقابـل مـن يلقـى ببشرى ومبسم ... ضحـوك ووجـه للبشـاشـة بـاذل
ويأمر بالمعـروف فـى كـل حالـة ... وعـن منـكر ينهـى وليـس بقابـل
ولـم يأل جهـدا فى نصيحـة مسلم ... برأى وتـدبيـر وحسـن تعامـل
يجـازى بإحسـان إسـاءة غيـره ... وبـالجـاه عن مستوجـه غيـر باخل
تقمص بالتقـوى وبـالخشيـة ارتـدى ... ولـم يمض منـه العمـر فى غـير طائل
ومـن شأنـه قمـع الضـلال ونصره ... لمن كان مظلومـا وليـس بخـاذل
وكم كان فى الـدين الحنيفـى مجاهدا ... بمـاضى سنـان دافـع للأباطـل
وكم ذب عن سامـى حمـاه وذاد من ... مضـل وبدعـى ومغـو وفائـل
ففيم استبـاح أهـل الضـلال لعرضه ... ومانـكسـت أعـلامـه بالاراذل
وليس له شىء عن اللـه شاغل ... ولا عن وصـال الاعتبـار بغافـل
فلـولاه لم تحرز رحـى الـدين مركزا ... ولاشتـد للإسلام ركـن المعـاقل
ولا كـان للتـوحيد واضـح لاحـب ... يقيم اعوجـاج السـير من كل عـادل
فما هو الا قائـم فى زمانـه ... مقـام نبـى فى إمـاتـة باطـل
ستبـكيه أجفانـى حياتـى وإن أمـت ... سيبـكيه عنـى جفـن طـل ووابـل

وتبكيه أقلامي أسى ومحابري ... ويبكيه طرسي دائما وأناملي

عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن ... يميد ببر فائض العلم سائل

ومن نعش كان حامل جسمه ... هنيئا له اذ كان أشرف حامل

ولا غرو وأن بكى الزمان لفقده ... فقد كان غيث الجود كهف الأرامل

فآها على ذاك المحيا وحسنه ... وآها على تلك العلوم الجلائل

وآها على تحقيقه فى دروسه ... وتوضيحه للمعضلات المشاكل

فمن للبخارى بعده ولمسلم ... يبين المخبا منهما للمحاول

ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى ... لأحكام فقه الدين من للرسائل

ومن لمسانيد سمت ومعاجم ... وكشف لثامى الحكم عند النوازل

ألم تر أن الدهر نصف كآبة ... عليه وذو جسم من الحسن ناحل

ومن للمعانى والبيان ومنطق ... وردع أخى الجهل الغوى المجادل

ومن لك بالأصلين واللغة التى ... بها أنزل القرآن أشرف نازل

ومن بعده للصدع بالحق قائم ... يجد ولا يخشى ملامة عازل

أفق يامعيب الشيخ من ذا تعيبه ... لقد عبت حقا وارتحلت بباطل

نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله ... وثل التعصب بالسيوف الصياقل

ولما دعا لله فى الخلق صارخا ... صرختم له بالقذف مثل الزواجل

دعا لكتاب الله والسنة التى ... أتانا بها طه النبى خير قائل

فوا أسفى والهف قلبى وحسرتى ... عليه وياحزنى لأكرم راحل

ويا ندمى لو كان يجدى من القضا ... ولكن قضاء الله أغلب حائل

ولو كان من ريب المنية مخلص ... لكنت له بالجهد أى محاول

ومر الى أن قال وهو يعزى فيه آل الشيخ

فياسائر الأولاد للشيخ اننى ... أعزيكم مع ذى انتساب لوائل

وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا ... بجارى القضا فى عاجل ثم آجل

بتسليم أمر الله ثم احتساب ما ... لديه تعالى من أجور جزائل

فما جزع يوما بنافع جازع ... وماحزن رد القضاء بفاعل
ومثلكم لايعتريه تزلزل ... ولا وهن فى فادحات النوازل
فإن كان للجنات والدكم مضى ... فقد كان فينا معقبا كل كامل
وأنتم بحمد الله عنه خلائف ... بعلم وفضل شامخ القدر شامل
وإنا لنرجو أن تكونوا أئمة ... بكم يقتدى فى دينه كل فاضل
وللخير والإحسان من كل وجهة ... تحث اليكم مضمرات الرواحل
ونسأل رب العرش يعظم أجوركم ... ويحميكم من طارقات الغوائل
ويجبر صدع القلب والكسر منكم ... ويعقبكم طرا جمال المحافل
ولازلتم غيظ القلوب لكل من ... يعاديكم من كل حاف وناعل
ولافجعت فى الدهر ساحة سوحكم ... برزء لموصول المسرة فاضل
عليكم سلام الله ماهب نائم ... وجل زاكى ذكركم كل عاطل
وأوفى الثنا منى عليكم مكررا ... وأزكى تحيات سواح كوامل

(*) ثم قال الشوكانى فى تعزيته الأئمة من آل سعود فى ذلك الإمام:

وأضعافها للمقرنين كلهم ... هداة الورى من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم ... جميع بنى الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا فى الله حق جهاده ... الى أن أقاموا بالظبا كل مائل
فناديهم فى كل ناد مبجل ... فحقهم التبجيل بين القبائل
سعود مضى والسعد حالف نجله ... كما حالف الآباء ليس براحل
لقد نصروا دين الإله وحزبه ... كما دفعوا داعى الهوى بالقنابل

(*) ساق الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مرثية الشوكانى هذه كلها فى قسم التراجم من الدرر السنية ص ٢٠ - ٢٤ وأورد الشيخ محمد حامد الفقى الكثير منها فى أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب فى الاصلاح الدينى والعمرانى.

عليهــم سلام اللــه ماذر شارق وماهتــزت الأزهــار فى صبــح هاطل
وأزكى صلاة اللــه ثم سلامه على المصطفــى الهــادى كريم الشمائل
محمــد المختــار من فرع هاشم وآل وأصحــاب كرام أفاضل

وفى ختام كلمتى هذه نسأل الله أن يجزى الإمام محمد بن عبد الوهاب وآل سعود عن الإسلام خير الجزاء، والله ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل.

المرأة في حياة إمام الدعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لفضيلة الشيخ
حمد الجاسر

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ أسبغ الله عليه شآبيب عفوه ورضوانه ـ إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصة تعترضه عقبات يقف أمامها حائرا.

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعـوة في عهـد الإمامين عبدالعزيز وابنه سعود، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥هـ)، يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمدا في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ ـ اجتمع له أهل جدّةَ في جامعها الكبير، فقرأ عليهم رسالة جَدِّهِ في بيان حقيقة الدعوة.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمـة (جـدّه) الإمـام الشيخ محمـد بن عبدالوهاب.

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيّد هذا من قريب أو بعيد، وقد يكون هذا ناشئا عن عدم اهتمامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو ألصق بها لايزال غامضا، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازرى الشيخ في عمله الجليل، عالم نجد فى عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبدالرحمن ـ قاضي الدرعية في ذلك العهد ـ الذى وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله[١]: (ما نعرف من علماء نجد، ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه) ـ عندما يروم الباحث معرفة شيء مما

(١) تاريخ ابن غنام المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـ ص ٣٤٢ ـ.

يتعلق بحياته لايجد فيما بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة، بل لايجد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبدالوهاب.

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة فى حياة الامام) لا يعدو الاشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها، لايزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظا، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء، وتعنى ببيان صلة القرابة، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة.

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعدّ تجاهلا لحياتنا كلها، ولواقعنا الذى نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد ـ رحمه الله ـ إنصاف المرأة، والدفاع عن حقوقها.

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله[٢]: (إذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه، وفرّ من قسمة الله، مثل أن يريد أنّ امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات ـ إلى أن قال: ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة برّ تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله).

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة.

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية.

(٢) ابن غنام «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦.

إن في واقع تاريخنا أمثلة حيّة لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة، حتـي في مقارعة الأبطال، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال، فغـالية البقمية[٣] كان لشجاعتهـا وقيادتها الأثر العظيم فى مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد على باشا في وقعة تربـة سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م)،ثم تصدّت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة ليثأر لهزيمة ابنه، بشجاعة نادرة ، أثارت حفيظة الباشا الذى تمّنى أن يقدر على إمساكها بعد انهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعـة بسل، وقال عنها المؤرخ المصرى محمود فهمى المهندس في كتاب «البحر الزاخـر»[٤]: وتكدر محمد علي باشا كثيرا من هرب غالبـة ونجاتها من يده، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية، علامة وشهرة على نصره وظفره. انتهى.

ومع شهرة تلك المجاهدة الشّجاع، لم يرد لها ذكر في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة.

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسيا منسيا، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبدالرحمن آل عرفج من أمراء القصيم آل عليّان من العناقر من تميم، التي قال عنها الأمير عبيد بن علي بن رشيد ـ يذكر السيف ـ:

ليا عاد ما نرويه من دم الأضـــداد ودوه يـــم العرفجيـــه ترويـــه

وتجد خبرها مفصلا في كتاب «بلاد القصيم»[٥] للأستاذ الشيخ محمد العبودى.

---

(٣) انظر عن غالية مجلة «العرب» س ٥ ص ٨٠٠ و س ٦ ص ٣٩٤ و «الاعلام» للزركلي حرف الغين ـ ومجلة «الزهراء» ج ١ ص ١١٨ وتاريخ الجبرتى حوادث سنة ١٢٢٩هـ و «البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج ١ ص ١٧٣/١٨٧/١٨٨ تأليف محمودفهمي المهندس المتوفي في سيلان سنة ١٣١١ ـ منفيا مع عرابي باشا.

(٤) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها.

(٥) ص ٥٢٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد: (ليا) إذا: (عـاد): لم (ودوه): اذهبـوا له ويعنـي السيف. (العرفجية) : المنسوبة الى آل عرفج ، وغلط فؤاد حمزة فظن الكلمة اسم روضة ـ كما في حاشية كتابه «قلب

طال الاستطرداد وحسن العود للحديث عمن ألصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة.

زوجة الامام محمد بن سعود: أول امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موضي بنت ابن وهطان، زوجة الأمير محمد بن سعود.

وهي من أسرة كريمة من آل كَثِير، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد، وهي من آل فضل، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر.

وآل فضل من قبيلة طيء المعروفة، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق.

وكان آل كثير فى بادية العارض من أول القرن الحادى عشر - على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين[٦] - حتى منتصف القرن الثاني عشر - وجرى بينهم وبين آل معمر أمراء العيينة مناوشات،من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العيينة حتى غزوها سنة ١١٣٧ - فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية،ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير، قتله آل نبهان منهم.

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل - كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف.

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجمان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين

= جزيرة العرب» ونبهت على ذلك فى نقدى للكتاب . ومجمل معنى بيت الشاعر: إذا لم نرو سيوفنا من دم أعدائنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا - كما فعلت العرفجية.

(٦) انظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و١٠٨١ و١٠٩٧ و١١٠٥ و١١٣٣ و١١٣٧ و١١٤٢.

وألف تزوج في الأحساء ابنة هادى بن مِذْود رئيس عربان آل كثير، وأتى بها معه الى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف[٧].

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي.

حين انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة، فَنَبَتَتْ ونَمَتْ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله[٨]: (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فوره ومعه أخواه ثنيان ومشارى ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكن ابن بشر فصّله على هذا النحو[٩]: (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيّان الضّرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروهما بمكان الشيخ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبيهما معرفة التوحيد، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إنّ هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصك الله به. فقبل قولها. ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشارِي وأشارا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى. ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف.

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الامام محمد بن سعود بموقف أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع

---

(٧) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف.

(٨) ابن غنام : «تاريخ نجد»: ٨٠.

(٩) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٤ ـ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م).

النبي صلى الله عليه وسلم ـ أول ما نزل عليه الوحي، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة، إلى الإسلام، فمقام أمِّ المؤمنين لا يُسَامَى، وإن اتفق الموقفان فى مناصرة الحق.

ورحم الله ابن بشر فلولا إشارته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة فى حثّ زوجها على قبول الدعوة، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج، لَجُهِلَ أمْرُها.

ابنةُ محمد بن سعود: جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون[10]» في الكلام على الأمراء الذين وقفوا فى وجه الدعوة: (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، أمير العيينة، الذى ناصره أول الأمر ثم تخلىَّ عنه، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية، واتفق مع الأمير محمد بن سعود، صار عثمان يشنّ عليهما الغارات من العيينة، ويرسل كوكبات الخيل عليها الفرسان،وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدّة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر. ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية:

ما شاقنـي كود سرْية لابـن معمر   تطـل على الـزلال كل عشية
يا يبـه شف للخيل خيل مثله   وإلا فزل من شيخـة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره. وأورد البيتين الأستاذ عبدالله بن خميس[11] بصيغة: (ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود، حينما كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في الدرعية:

تشـوق عينـي سـرية ابـن معمر   تطـل على الـزلال[12] كل عشيهْ
يابُـوْي شِفْ للخيل خَيلٍ مِثْلَهْ   وإلا فخـلّ إمـارة الدرعيـهْ

(١٠) ص : ٣٧.
(١١) معجم اليمامة ٥٣٥/١.
(١٢) الزلال: من الأمكنة القريبة من الدرعية. ويقول الاستاذ عبدالله بن خميس وهو من أهل هذه البلدة ـ : إنه غير معروف الآن.

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية، وشجاعة، وتطلع إلى معالي الأمور، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة.

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات ألاحِظُ ـ بعد اختلاف الراويين في نص البيتين، ووقوع الخلل في وزنهما ـ مخالفة اللهجة فيهما للهجة سكان العارض ووسط نجد، فكلمة (مِثْلَهْ) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شمال نجد بلاد القصيم وما حولها، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة: (بالكرامة ذاتِ أكرمكم الله بَهْ، والفضِل ذيِ اكرمكم اللهُ بِهْ). بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد، فهم لا يحذفون تلك الألف.

وأمر آخر اتفق عليه الأستاذان الكريمان، وهو تقرير أن عثمان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ، وهذا الأمر ـ فضلا عن كون مؤرخي الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكروه ـ يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثمان بن معمر عليه فيها، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شنّ غارات الحرب،فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧هـ ووفد عليه ابن معمرَ في تلك السنة. فإذا صحّ وقوع شيء من الغارات فهو حين كان العداء مستحكما بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨هـ التي وقع فيها الوباء الذى أفنى أكثر سكان العيينة فأضعفها، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩، فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثمان بن عبدالله بن حمد ابن معمر الذى تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢هـ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها.

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود، فبعد التّصافي والاتفاق بين الأسرتين الكريمتين الأسرة المقرنية[١٣] والأسرة المعمَرية، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد، تقوّت الأواصر بالتزاوج بينهما، فَزَوَّجَ عثمانُ بنُ ناصر بن عبدالله

(١٣) من كلمات الاعتزاء التي كان الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ يرددها اذا حزبه أمر من الأمور: (انا ابن مقرن) و (أنا أخو نورة) و(أنا أخو الأنور) و (أنا ابن فيصل).

ابن معمر عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التى أنجبت الامام سعودا، وزوج الامام محمد بن سعود ابنته مشاري بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر، فأتت منه بمحمد بن مشاري، الذى كان من رسل الصلح بين الامام عبدالله بن سعود وبين ابراهيم باشا أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، ثم سعى للاستيلاء على نجد بعد رحيل ابراهيم باشا سنة ١٢٣٤، فتمّ له ذلك حتى قتل هو وابنه مشارى عند قيام الامام تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٦هـ ـ على ما ذكر ابن بشر.

فيكون الامام عبدالعزيز خالا لمحمد هذا، وكذا أخوه عبدالله بن محمد، كما أوضح ذلك ابن بشر أيضا[١٤]، لا الامام سعود بن عبدالعزيز، كما ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر «عنوان المجد»[١٥] وفي الطبعات التي نقلت عنها. وقد أشار إلى هذا الخطأ الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب.

والدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أول من رأيته يتحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم،هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» فقد أوضح أن جدّ الشيخ محمد لأمه (هو محمد بن عَزَاز المُشرَّفى الوُهَيْبِى التميمى من عشيرته الأدنين)[١٦].

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزَاز[١٧] أشاد بذكر آل عزَّاز، وذكر أن سيفا هذا هو خال الشيخ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ.

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عَزَّاز ـ من هذه الأسرة فيما يظهر ـ قال[١٨]: في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم: (ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن

(١٤) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).
(١٥) ج ١ ص ٢١٧.
(١٦) «علماء نجـد» ص ٢٦.
(١٧) ص ٣٢٩.
(١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧.

عَزاز، فيها إجازات له من عند مشائخه، وشيخ مشائخه يقال له عبدالغنى[19]، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله،وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذى ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون).

ولا أستبعد أن يكون ابن عزَّاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله.

ومهما يكن فإن ما ذكره الأستاذ ابن بسام عن والـدة الشيخ هو حصيلـة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا.

زواج الشيخ : كان الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ عندما قام بدعوته في بلده حريملاء قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة، بعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف.

قال ابن بشر: (فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه ، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر).

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ، لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلا بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولا بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيينة.

أما ما جاء فى كتاب «لمع الشهاب»[20] ونصه: (وكان تحت محمد بن عبدالوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) ـ أى قبل سفره لطلب العلم ـ فهو حديثُ خُرافة، ككثير من الأخبار الواردة فى ذلك الكتاب.

لقد كانت بلدة العيينة مسقط رأس الشيخ ، ففيها ولد ونشأ، وهي مقر أسرته بعد

(١٩) هو عبدالغنى بن اسماعيل النابلسى (١٠٥٠/١١٤٣).

(٢٠) ص ١٩ ـ طبع (دار الملك عبدالعزيز).

انتقالها من بلدة أُشيقر، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذى عزله عن القضاء وولىّ شيخا آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أواصر قوية غير آصرة النسب،فالأسرتان تميميتان.

وبلدة العيينة فى ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد.

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، فهي عمّة الأمير عثمان، الذى استقبل الشيخ أحسن استقبال، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد ابن معمّر، الذى وصفه ابن بشر بما هذا نصه[٢١] (في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر، الذي لم يُذْكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد، والعُدَّةِ والعقارات والأثاث، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى.

وللجوهرة ـ في سبيل نشر الدعوة ـ يدان كريمتان.

اليد الأولى: أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سببا في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذى قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم.

قال ابن بشر[٢٢] ـ في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة ـ : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية، وبدغيم بن فايز الكادحى السُّبيعى وقتلهما. وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفني رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر، طمع زيد بن مَرْخَان وأتباعه

---

(٢١) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٢٢) المصدر السابق

في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع وغيرهم،فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد، وقال له: إنه ما ينفعك نهب البوادى وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إليّ.. فسار زيد إليه فى أربعين رجلا، ومعهم محمد بن سعود وغيره، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجالا من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق، فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات. فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع، وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها، ومعها غصيبة)[٢٣] انتهى كلام ابن بشر على مافيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يَداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ولهذا أوردته بطوله.

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الامام محمد، وبين ابن أخيها الأمير عثمان، وحقّا ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين[٢٤]: وحين وصـــل محمد بن عبدالوهاب ـ إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه ـ إلى أن قال ـ : وازدادت علاقة الاثنين توطدًا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصّة أيضا) انتهى.

ولا داعى للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جرّاء تلك المصاهرة، غير أن المناسبة تلجيء إلى الاشارة إلى خاتمة ذلك الصِّهْرِ، وهي خاتمة محزنة حقّا، لم تقف عند حدّ قتله، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن فى عقيدته، وانجرّت إلى ابنه من بعده.

حقّا إنّ الرجل ندم على ماقدّم، و (تِلْكَ أُمَّـةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَـا مَا كَسَبَتْ).
البقرة آية (١٣٤)

ولكن تاريخنا المدّون ـ فضلا عما فيه من جوانب النقص ـ لا يخلو من مواقف

---

(٢٣) غصيبة: محلة في أعلى الدرعية، بلغها عمرانها الآن.

(٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.

يعتورها الغموض، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية ؟.

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال، وهدم ما بُني على القبور، ونفّذ أحكام الشريعة ، ويظهر أن أهل بلاده لم يكونوا كلهم على وفاق معه، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلا منهم من رؤساء المعامرة - أي استجابوا للدعوة - وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد أهل الجبيلة - وهي من بلاد عثمان - أن يمنعوه من هدمها،فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل،فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلوا بينهم وبينها.

ولقد استمرّ عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها، تقبل المؤمن بها، إيمانا صادرا عن يقين بصدقها، لا عن رغبة في أمر، ولا عن رهبة من أحد، وكما قال الشيخ حسين بن غنام[٢٥]: (تلقاه بالقبول والمناصرة ، وأكرمه غاية الاكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، ويقبلوا قوله)،فما الذى جرى له حتى غيرّ موقفه؟! قال ابن بشر[٢٦]:- بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد: (فأرسل إلى عثمان كتابا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر، فأثَّر عليه جلساءُ السُّوء - وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوةُ الشيخ قلبَهُ - وقال: (فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال له: إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك فى بلدنا مع علمك وقرابتك)،وذكر أنه أرسل مع الشيخ حُرَّاسا إلى أن بلغ الدرعية.

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده، ولهذا استعان به أعداء الشيخ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله[٢٧]: (فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد اعداءه من أهل نجد، الذين ألبّوا عليه أقوى حاكم ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد.

---

(٢٥) «تاريخ نجد» : ٧٨.

(٢٦) «عنوان المجد» : ٢٣/١.

(٢٧) «تاريخ نجد» : ٨٠.

قال صاحب كتاب: «لمع الشهاب»[٢٨]: (شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدى الخالدى، حاكم بنى خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة ويجليه من بلده)،وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور:

١ ـ قطع وظائفه التي في الأحساء.

٢ ـ منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رُزٍّ قدّرَ محصولها بستين ألف ريال ذهب.

٣ ـ منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد.

لقد تكالبت الأعداء على عثمان، فقومه الأدنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ، ولا مؤيدين لما يقوم به عثمان من مناصرته، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجاهروا بذلك، ومنهم من كاتب الأمراء والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التى لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية.

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عثمان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلاده،[٢٩] وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به، إنه سوف يغزو ابن معمر، وبلاد نَجْدٍ في ذلك العهد كانت ميدانا لغارات آل حُمَيْدٍ حكام الاحساء، وليس لابن معمر ـ بعد أن حلّ بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عمان جنوبا إلى البصرة شمالا، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له،[٣٠] ويتقاضي وظيفة منه، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١١٦٦هـ التجأ إلى الخرج فتوفي فيه.

---

(٢٨) ٣١.

(٢٩) عنوان المجد: ٢٣/١ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم علي الى سنة ١١٤٣ ثم سليمان. قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادث سنة ١١٦٦هـ: وفيها غدر المهاشير المعروفون من بنى خالد في سليمان آل محمد رئيس الأحساء، ورئيس بنى خالد، فانهزم الى بلد الخرج ومات فيه. انتهى. أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب، فقال ـ ص ١٦٧ ـ بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية: (كان

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخفّ الضررين لدفع أعلاهما، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب»[٣١] فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدى إلى عثمان بن معمر اهتم وكره عداوة سليمان، وغضب أيضا لخروج محمد بن عبدالوهاب عنه، لكنه ارتكب أخفَّ المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبدالوهاب خُفْيَةً ، فقال له: إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا، فالرأيُ أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أيِّ بلدٍ شئت، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا).

لا أريد تبرير فعل ابن معمّر فى إخراج الشيخ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة وصهر القائم بها، وجدّ بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهاد أبطالها منذ عهد الامام محمد إلى عهدنا ، هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سبط الأمير عثمان بن حمد بن معمّر.

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بإيضاح بعض ماظهر لى حيال ما نسب اليه ـ فيما بعد ـ من تنكّر للدعوة، وقد أكون مخطئا فيما أُبديه من رأى يخالف مايراه غيرى، ولكن مما لاشك فيه أن فيما كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة، وللنيل من القائمين بها.

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية، ووفود الأمير عثمان بن معمّر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذى قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧[٣٢]: (فلما علم عثمان أن

متولعا بحب النساء، نكح ما يزيد على المئة ، لكنه لم يجمع إلا بين أربع منهن، بل كان يأخذ ويطلق، وكان يتعرض بنات بنى خالد غدرا، فأنكرت عليه مشايخ الخوالد وبنو أعمامه، فأجلوه إلى أرض نجد، ولما وصل اليمامة مات فى الطريق فدفن هناك.ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) ـ انتهى. وقد وقع في «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٤٠ ـ طبعة وزارة المعارف غلط نصّه: فى ذكر سوابق سنة ١١٤٣: (قتل سليمان بن محمد رئيس الاحساء ورئيس عربان بنى خالد ، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون) . والمقتول هو على بن محمد وتولى بعده أخوه سليمان بن محمد، الذى كان معاصرا لظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦.

(٣١) ٣٢.

(٣٢) «عنوان المجد» : ج ١ ص ٢٥ ـ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

محمدا ابن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل،فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال: ليس هذا إليّ، وإنما هو إلى محمد بن سعود، فأتى عثمان محمدا فأبى عليه) ويقول ابن غنام[٣٣]: (فرجع إلى بَلَدِهِ مضمرا العداوة والشرَّ والغدر، وإن كان يُبْدى مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد، إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه وانكشف أمره).

وهذا كلام مبهم غير واضح ، وما تخفيه القلوب علمه عند علاّم الغيوب، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا ان الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف ـ أو التي بعدها[٣٤] ـ بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣هـ.

غير أنَّ ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين ـ إحدى غزوات الرياض ـ قال[٣٥]: وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثمان، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم، وزادته هذه الوقعة تهمة، وندم على تخلّفه عن الغزو، لأنه خاف على نفسه، ثم ذكر أنَّ محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حُرَيْملاء مرّ بالعيينة فتعاهد مع عثمان واتفقا وتصافيا. ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق، وقال: ثم إن عثمان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو، فقبلا منه، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العيينة وأهل حُريملاء،وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد ، فعند ذلك جعلوه رئيسا للغزوات والسرايا، وصار محمد بن سعود له منقادا ولا يخالفه بل يتابعه، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد ـ على ما في تاريخ ابن غنام أيضا[٣٦] بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع أمير حريملاء.

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمّر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن

---

(٣٣) «تاريخ نجد» : ٨٢.
(٣٤) «عنوان المجــد» ج ١ ص ٢٨.
(٣٥) المصدر السابق : ٣٣/١.
(٣٦) : ٩٤.

مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة، وهذا غير صحيح، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ - بجماعته أهل حُريملاء، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ[٣٧].

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائنُ قبل قيام الدعوة - أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره[٣٨] - ويظهر أنّ ذلك الاتفاق لإزالة آثار تلك الحزازات، التي كان من آخرها ما حدث من عثمان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم[٣٩].

ويورد المؤرخان ابن غنام[٤٠] وابن بشر[٤١] في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثمان - وعبارة ابن غنام: وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان - أنه أرسل إلى ابراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام - أمير الرياض - للإصلاح بينهما والاتفاق جميعا مع الشيخ ، ومحمد بن سعود، فقدم دهام مع ابراهيم على عثمان، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ محمد وابن سعود، فحين رأى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثمان، فموّه عليهم - وعبارة ابن بشر: فتحقق أهل البلد منهم الخيانة - وقال عثمان: ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح، ويدخل دهام في دائرة الاسلام. ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثمان وغدره، فامتنع عن الذهاب، وعرف المسلمون من أهل البلد مَكْرَ عثمان، فحصروا ابن دواس في القصر، ولكنه هرب تحت جنح الظلام، وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء. قال ابن بشر: فلما وصلها (تدرع لباس الحرب).

لاشك أنَّ ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدوّيهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها، مهما كان قصده،

---

(٣٧) : «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨ و ٤٢.

(٣٨) حوادث سنة ١٠٩٨/١١٠٠/١١٢١/١١٢٨/١١٣٠.

(٣٩) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٤٠.

(٤٠) «تاريخ نجد» : ٩٤.

(٤١) «عنوان المجد» : ٣٤/١.

ولعل الشيخ فى امتناعه عن الحضور، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح فى العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر.

ولا نريد أن نذهب بعيدا في محاولة الدفاع عن عثمان، أكثر من القول بأنَ فعله هذا وسّع شقّه الخلاف وهيأ للناقمين عليه ـ ومنهم بعض أهل بَلَدِهِ من قومه ـ أقوى الوسائل للنيل منه.

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد، وجدد العهد ، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئةوألف، وكان الأمير ، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش. ثم غزا الرياض مرة ثانية، فقتل من الفريقين نحو اثنى عشر رجلا.

وفي سنة ١١٦١ ـ على ما ذكر ابن غنام[٤٢]: سار عثمان بأهل العيينة وحريملاء، وعبدالعزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما،والأمير على الجميع عثمان،فنزلوا ليلا في موضع قريب من ثرمداء يقال له البُطِينْ، وجعلوا لهم كَمِينا، فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلا، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الحُرَيِّص فتحصنوا فيه، فخلا البلد من المقاتلين،فأراد عبدالعزيز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه، ولم يبق مع عبدالعزيز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد، ثم عزم على العودة، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب بما حدث من عثمان، فزاد مافي نفسيهما عليه.

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه[٤٣]: فأبى عثمان مَشَحَّةً بأهلها ومَضَنَّةً بهم، وقال في الأخرى[٤٤]: وحصل من عبدالعزيز كلام على عثمان، وأكثر عليه الملام ـ ثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله ـ: ولم يلحقه إلا آخر النهار، فصارت الأحوال بينهما متغايرة، والقلوب متنافرة.

---

(٤٢) «تاريخ نجد» : ٩٦.

(٤٣) «عنوان المجد «الطبعة الأولى ٢٢

(٤٤) «عنوان المجد» ٣٦/١ ـ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عثمان بن معمر جوانب ليست في مصلحته. فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عثمان، وأمراؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر منهم ، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم) يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب، وفات المؤرخ أنَّ البلدة قد خلت من الرجال المقاتلين، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال، ومن لا يقدر على القتال، فما الغاية من دخولها، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعثمان ماوقع بينه وبين عبدالعزيز بن محمد بن سعود من خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب ـ كما قال ابن بشر ـ وصدق الشاعر:

إن القلوب إذا تنافرُودَهَا مثل الزجاجة كسرُها لا يُشْعَبُ

ولم يشفع لعثمان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك، ودمّر جيشه مزارع بلدة ثرمداء، حيث تحصن أهلها، ولم يبرزوا للقتال كما فعلوا فى المرة الأولى التى قتل منهم فيها نحو سبعين رجلا.

لقد ختمت حياة عثمان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنام[٤٥]: لما تزايد شر عثمان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل، وتبين الشيخ صدق ما كان يروى عنه، وجاء أهل البلاد كافة، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين، قال الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وموالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه، ولو أنه أميركم عثمان، فأعطوه على ذلك الأيمان، فَمُلِئ قلب عثمان من ذلك رعبا، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين، فأرسل إلى ابن سويط وإلى ابراهيم بن سليمان يدعوهما للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين.

فلما تحقق أهل الاسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم: حمد بن راشد وابراهيم بن زيد (الباهلى)، فلما انقضت صلاة الجمعة، قتلوه فى مصلاّه بالمسجد سنة ١١٦٣.

(٤٥) «تاريخ نجد» : ٩٧.

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم فى اليوم الثالث بعد مقتله، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك فى قتل عثمان ألاّ يولىّ عليهم أحد من آل معمر فأبى الشيخ، وأمّر مشارى بن معمر، وكان ذلك في منتصف رجب. انتهى.ونحو هذا ورد فى «عنوان المجد» لابن بشر[٤٦].

لقد مضى الرجل لسبيله، وكما يقال: (الغائب حجته معه)، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقمين عليه أبوابا واسعة للنيل منه، ولا يعنينا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتّهَم دعاتها ومناصروها بتنكرهم لمؤازريهم.

ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للامام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة، ولم تثبت دعائم الدعوة.

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعَدَمُ انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها، وكثيرا ما استغل ذوو الأغراض ـ من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها ـ ذلك لتحقيق أغراضهم.

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثمان بن معمر منها:قتل ابراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن أمير ضرما سنة ١١٦٤ وقتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥،وقتل محمد بن فارس وابنه عبدالمحسن صاحبا منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٧٨، وقتل أمير الفرعة عيبان الناصرى سنة ١١٧٩ هو وأولاده، ومهما كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمور الدعوة.

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول تَوَلي الإمارة، منذ منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

---

(٤٦) ج ١ ص ٨٩.

واستمر نحو قرن من الزمان، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها و يكثر أفرادها.

ولايجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخى نجد فى تلك الحقبة، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك.

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمدبن عبدالله الإمارة، فأجلى آل محمد من العيينة، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر.

و يذكر ابن بشر ايضا أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة،و يضيف: (معاكسين لعثمان بن معمر).

ونجد أحد هؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد قتل عثمان،وهو سلطان بن محيسَن المُعَمَّرِي في سنة ١١٦٣.

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة»[٤٧] بعد ذكر مقتل عثمان.. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف، فسارع إلى العيينة، وجمع أهلها وهدأ روعهم،وعين مشارى بن ابراهيم بن معمر أميرا وناصر الدعوة.. وأخذ يشارك بأهل العيينة في غزوات آل سعود، ولكن ظهر منه أخيرا مما جعل الدرعية تُسِيء الظن به وتعزله.

بعد ذلك أُسْندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محيسن أحد موالى آل معمر، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر، وكان يطمع في تولي الإمارة ، فأعلن تمرّده ولكنه قتل سنة ١١٨٢.

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد ، وأمر بهدم قصر آل معمر،

(٤٧) ٢٠٣/٢٠٤.

وإنهاء سلطتهم في العيينة،ومن ثم أخذ الناس يهجرونها و يرحلون عنها حتى أصبحت خرابا. انتهى.

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمدا ـ رحمه الله ـ لم يرض بقتل عثمان حقٌ لا شكَّ فيه، ولو لم يكن في ذلك التصرّف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحل والعقد.

والقول بأن سلطان بن محيسن من موالي آل معمر، لم أر له مصدرا لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله وزيد، وذكرا توليته إمارة العيينة، وإمارته كانت سنة ١١٧٣، والذى تولى الامارة بعد عثمان هو مشارى بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣هـ،ومشارى هذا صهر للامام محمد بن سعود، وهو الذى تولى ابنه محمد إمارة نجد، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الامام تركي سنة ١٢٣٦هـ ـ كما تقدم ـ.

أما ناصر بن عثمان بن معمر، فالرجل ـ على ما ذكر ابن بشر قُتِل شهيدا غازيا مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٢،فالتقى جيش سعود بقبيلة آل مرة ـ في ناحية الجنوب، فوقعت الهزيمة على سعود وقومه،وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر، ولم يحدث منه تمرّدَ ـ فيما أعلم ـ

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل ناصر هذا هو أبوالعالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر؟!

هذا مالم أر له ذكرا فيما بين يديّ من الكتب، وكل من ترجم الشيخ حمدا لا يُفصِّل القول في ذكر نسبه، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان ـ إن كان جدَ الشيخ ـ احتراما له.

والقول بأن بلدة العيينة أخذ الناس يهجرونها و يرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر آل معمر حتى أصبحت خرابا ـ قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشارى عن الإمارة وتولية

سلطان ـ كما ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة، لأننا نرى لها ذكرا لدى المؤرخين إلى مابعد ذلك التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات:

١١٧٨ ـ في وقعة الحاير قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلا.

١٢١١ ـ هدم السيل في العيينة بيوتا كثيرة.

١٢٢١ ـ كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم، وكان أميرا على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود.

١٢٣٣ ـ استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلا.

١٢٣٣ ـ انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشاري بن معمر من بلدة العيينة، ونزل الدرعية.. وطمع في ملك نجد، وكان خالاه: عبدالعزيز بن محمد، وعبدُالله بنُ محمد آل سعود.

بنات الشيخ: لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ، مع التفصيل فى ذكر أبنائه.

وأول من رأيته تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١١٧٩/١٢٤٣هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني، وممن عاصر قيام الدعوة، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين، في سيرة الامام المنصور، وأعلام دولته الميامين[٤٨] ذكر ـ حين عدّ أبناء الشيخ أن له ابنتين ، هما شائعة وهيا[٤٩].

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مانصه: (وأخبرنى بعض المكيين ممن له اطلاع على خاصة عبدالعزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبدالعزيز ومحمد وهما على أمّ واحدة. ثم عمر وعبدالعزيز ـ كذا ـ ابنا عبدالعزيز وامهما إحدى بنات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تزوجها عبدالعزيز بن محمد. قال المكى: وأما بناته فهن خمس ، منهن لطيفة ومنيرة. انتهى[٥٠].

---

(٤٨) مخطوط ـ انظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها.

(٤٩) «العرب» س ٧ ص ٤٦.

(٥٠) المصدر ص ٤٧.

أما ابن بشر فهو يذكر لعبدالعزيز بن سعود من الأبناء: سعودا وعبدالله وعمر وعبدالرحمن[٥١]. ولا يذكر محمدا ولا عبدالعزيز.

وابن بشر ذكر أبناء عبدالعزيز بعد وفاته بزمن ـ ذكرهم سنة ١٢٣٢ و١٢٣٣ أثناء حصار الدرعية ـ فقد يكون محمد بن عبدالعزيز توفي قبل ذلك الوقت.

وعبدالعزيز الذى عده المؤرخ اليمني سبطا للشيخ قد يكون اسمه محرفا، وأنه عبدالرحمن، أو عبدالله الذى ذكر ابن بشر أنه توفى سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح، ويلاحظ أن بعض المؤرخين المتأخرين عدّ الامام سعودَ بنَ عبدالعزيز بن سعود من أسباط الشيخ محمد،وهذا خطأ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشيخ، أما أمه فهي ابنة الأمير عثمان بن معمر الذى تقدم الكلام عنه.

وتقدمت الإشارة إلى ماورد في كتاب «تاريخ أشراف مكة» لابن عبدالشكور[٥٢]، ونصه ـ بعد حذف ألفاظ الشتم: في صفر سنة ١٢٢١ ـ وصل نحو عشرين رجلا من أهل الدرعية، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشريف غالب، وكان في جدة، فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به، ثم عقد بينهما الصلح، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحين، وقرأ رسالة جَدّه، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها، وما زالوا يحضرونها حتى أتم قراءتها ـ ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات.

وحمد هذا هو الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة في عهد الإمامين عبدالعزيز بن محمد سنة ١٢١٢هـ وسعود سنة ١٢٢١هـ.

فهل هو سبط للشيخ محمد من ابنته التى ولدت للإمام عبدالعزيز ابنيه عمر وأخاه، وأن ناصراً أبا الشيخ حمد تزوجها قبل الإمام عبدالعزيز، فيكون الشيخ ربيبا له؟! لا استبعد ذلك،، ولا استبعد أن يكون ذلك الزواج كان فى زمن الأمير عثمان بن معمر صهر الشيخ، وأن الشيخ زوج ابنه ناصر بنته، فيكون الشيخ حمدُ حفيداً للأمير عثمان بن

---

(٥١) : «عنوان المجد» : ٢٢٨/١/ ٢٦٥/ ٢٦٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٢) لا يزال مخطوطا ، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ٨٦٥/ ٨٦٦.

حمد بن عبدالله بن معمر، وهذا أمر لم أر له ذكرا فيما اطلعت عليه من المؤلفات.

أما الثانية من بنات الإمام: فقد تزوجت عالمين آزرا الدّعوة الإصلاحية فى إبان قيامها، وشاركا القائمين بها فى نشرها والدفاع عنها، ولازما الشيخ وعاشا معه فى الدرعية.

هما الشيخان: حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالله، ومحمد بن غريب.

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف[٥٣]: (وفيها توفي الشيخ حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبدالوهاب، قاضي مراة، قرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتزوج ابنته، وسكن الدرعية عنده، وولدت منه القاضي عبدالعزيز بن حمد) انتهى.

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد، من المشارفة، الأسرة المعروفة، يلتقى الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرّف الجد الخامس للشيخ محمد.

وهو من أسرة علم وفضل ، فقد كان جده عبدالوهاب قاضي مدينة العيينة توفى سنة خمس وعشرين ومئة وألف.

وتولىّ الشيخ حمد قضاء بلدة مراة، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد، وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما ابراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذى كانت فيه حافلة بالعلماء، ثم تولى قضاء بلدة مراة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ.

والابن الثانى عبدالعزيز: وهو الذى اجتمع به المؤرخ اليمني السيد لطف الله جحاف، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور[٥٤].

(٥٣) «عنوان المجد» ج ١ ص ٩٠ ـ طبعة وزارة المعارف ـ سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٤) انظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ٢٠ و ص ٢١٢.

وصفه الشيخ عبدالله البسّام فقال[٥٥]: كان صاحب عقل راجح، وفكر ثاقب، ولسان بليغ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. قال ابن حميد: وسمعت بعض مشائخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة. انتهى

وأشار جَحَّاف في كتابه «درر نحور الحور» إلى أن بينه وبينه مكاتبات ـ فيما يتعلق بتاريخ عهدهما .

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيرا إلى محمد علي باشا صاحب مصر سنة ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون، وكان ممن اجتمع به فى مصر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتى، فقال عنه وعن رفيقه[٥٦] عبدالله بن محمد بن بَتْيَان: «وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب فى الخطاب والتفقه فى الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبدالله، والآخر عبدالعزيز، وهو الأكبر حسّا ومعنى»

وتحدث عنه رحالة غربي هو بركهارت[٥٧] بما ملخصه: كان أحد الرسولين من ضباط سعود، والثاني ويدعي عبدالعزيز من أقارب مؤسس الدعوة،وكان عالما كبيرا أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه، وعمق إدراكه، بحيث كان يستفسر عن كل شئ من الأمور العامة، ولا يقتصر على الأمور الدينية ، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لهما من الجند، أينما كانا حتى تضايقا فطلبا العودة إلى بلادهما ، واشترى عبدالعزيز كثيرا من الكتب من مصر.

---

(٥٥) كتاب «علماء نجد»: ٤٤٣.

(٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتي » ص ١٧٧ و ٢٢٤.

(٥٧) هو رحالة سويسرى يدعى جون لويس بركهارت (JOHN LEWIS BURKHARDT) له رحلة الى بلاد العرب مشهورة، لخص قسم منها وعرّب.

ووصفه ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بقوله: (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان، عجبا في الحفظ والاستحضار، داهية في مجادلات الملوك والأمراء).

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل، وأنه كان فيصلا في أحكامه يميل إلى مايرجحه الدليل، مما خالف المذهب، ولا يبالي بأحد.

وأن شيخ المنتفق ولاه قضاء سوق الشيوخ ـ في العراق ـ فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف.

ولكن ابن حميد ـ ورحمة الله واسعة ـ وصمه بما هو منه بريء، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن على بن غريب سنة ١٢٠٨هـ،وكان الشيخ عبدالعزيز ربيبه ـ ابن زوجته بنت الإمام ـ ذكر أنه تأثر بذلك، ولكنه لم يستطع المجاهرة.

وهذا غير صحيح لأمور : منها أن الشيخ ابن حميد[٥٨] ـ والله يعفو عنه ـ كثيرا ما يلصق هذه التهمة بعلماء أبرياء، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلى العفالقي وغيره، ولهذا لا يقبل قوله فيما يتعلق بالدعوة،لأنه من مناوئيها.

ومنها أن مواقف الشيخ عبدالعزيز في مؤازرة الدعوة ـ كما تدل على ذلك رسالته ـ «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية»[٥٩] بعكس ما ذكر ابن حميد.

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لسفارتين في عهدين:عهد الإمام سعود إلى صنعاء، وعهد الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، ولو حامت حوله أية شبهة، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأى وأصالته، وإخلاصه لما يقوم به من عمل.

وتحملنى المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثانى للإمام على ابنته أم

(٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها.

(٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج ٤ ص ٥٦٤/٥٨٤ ـ مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩هـ

الشيخ عبدالعزيز ، وهو محمد بن على بن غريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسّام[٦٠] بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه.

والشيخ ابن بسام يعتمد فيما تقدم على ما جاء في كتاب «السحب الوابلة»[٦١] ومؤلفها ـ عفا الله عنه ـ من مناوئي الدعوة، ولهذا فقد وصم ابن غريب بالمصانعة، وأضاف: وردّ على مخالفيهم، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها، فكان عندهم مقبولا معظما.

ويوضح الشيخ عبدالله البسّام هذا بقوله[٦٢]: أن عبدالله الراوي ـ أحد علماء بغداد ـ بعث إلى علماء الدرعية بأسئلة في العقيدة، فأجابه المترجم إجابة طويلة ، جاءت في كتاب طبع باسم «التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق » نسب للشيخ سليمان بن الشيخ محمد، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب. ويعلل الشيخ عبدالله البسّام وقوع الخطأ تعليلا معقولا.

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخ سليمانَ بن الشيخ عبدالله ـ حفيد الإمام ، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضا، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر ـ أورد خبر قتله، بما هذا نصه: وشى به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد ـ بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها. وكانت الدعوة في أول انتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق وتؤيده ، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ ـ عفا الله عنهم أجمعين ـ انتهى كلام الشيخ عبدالله[٦٣] ـ وهو فيما يظهر ـ عول على ما جاء في كتاب «السحب الوابلة» الذى يتفق مؤلفه مع الشيخ في

(٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥.

(٦١) : «العرب» س ١٢ ص ٧٠١.

(٦٢) : «علماء نجد».

(٦٣) علماء نجد» : ٩١٦/٩١٧.

نهاية الشيخ ابن غريب، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة، ولاشكّ أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسّام.

ويحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠/١٢٩٠) يمر على تلك الحادثة بسرعة غريبة، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله[٦٤]: (وفي ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبرا، لأجل أمور قيلت عنه).

ويستشف من عبارة ابن بشر هذه (قِيلت) أنّ الرجل ذهب ضحية وشاية ـ كما يرى الشيخ ابن بسام ـ وابن بشر يحدّد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينما في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩، ولعل هذا تطبيع، فابن بشر حدد الشهر أيضا.

ومهما يكن الأمر ـ بالنسبة للشيخ ابن غريب، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل، وسعت رحمته كُلَّ شيء.

ولتكن الآية الكريمة ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ حُسْنَ الخِتَام.

النحل آية (٩٧)

---

(٦٤) : «عنوان المجد» ج ١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لمعالي الشيخ
عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ
الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادى له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى فى الذل. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا:

وبعد: فقبل أن أبدأ الحديث عن الدعوة السلفية التى قامت فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى بقيادة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله فإنه لابد من لمحة عامة عن حال الجزيرة العربية قبل هذه الدعوة السلفية،فقد شهد القرن الحادى عشر الهجرى والنصف الأول من القرن الثانى عشر تحولا فى المفهوم الإسلامى لحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك بالله سبحانه وتعالى،فعبدت الأشجار والأحجار،وأقيمت الطقوس الخرافية والبدع المصطنعة،وشيدت القبور .وقدمت النذور لغير الله سبحانه وتعالى، ولغربة الإسلام وغلبة الطغام راجت فى المجتمع أشكال من البدع المحدثة التى ليست من الإسلام فى شيء،حتى فى منطلق الدعوة والرسالة مكة والمدينة اللتين شرفهما الله تعالى بنزول القرآن،ومبعث خاتم الرسل والأنبياء،وراج فى الناس الشعوذة والسحر وكان وراء ذلك كله علماء السوء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه،ويروجون للعامة والدهماء الأحاديث الموضوعة المخالفة لصريح القرآن والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.فى هذه الأجواء وفى هذا المجتمع الحالك بظلمة الضلالة والبدعة والفساد قام شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبدالوهاب بدعوته،فحارب الشرك بالله مستعينا به،وأعلنها فى الملأ بأن دعاء غير الله من ملك أو نبى أو ولى شرك بالله تعالى،وأن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فإنه يكفر بإجماع المسلمين،دليله فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان،كما حارب كثيرا من المنكرات والمحرمات فى الشريعة الإسلامية من

تعاطى السحر والاعتقاد فى الطيرة والأنواء والاعتقاد بأن من الأيام أيام نحس وشؤم وغير ذلك مما علق بأذهان الناس واعتقدوه أمرا مباحا،ولازالت رواسبه فى أذهان العوام فى كثير من البلاد الإسلامية. ومن الأمور الأساسية التى ركزت عليها تلك الدعوة السلفية إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

ونادت الدعوة السلفية بوجوب الجهاد فى سبيل الله،لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر. ونادت الدعوة السلفية أيضا بتطبيق الشريعة الإسلامية فى كل شئون الحياة، وأنه لابد من أن تكون فى الناس أمة تدعو إلى الخير وترشد اليه وتقلع المنكر من جذوره وتحذر منه وفق ما جاء به دين الله الذى ارتضاه لعباده.

«الدعوة تنشط من عقالها»

بينما الجزيرة العربية منغمسة فى تلك الأوحال المخالفة لهدى الإسلام ولصفاء نور العقيدة الخالصة من شوائب الشرك والبدع.إذا بصوت الداعى المصلح ينادى بالدعوة الى التوحيد وينتدب نفسه للذود عن الدين وتخليصه من ايدى المشركين والمبتدعين، ولكن علماء «العيينة» وما جاورها أنكروا ماهو فيه وقاوموه أشد المقاومة، بعد ذلك ترك الشيخ العيينة راحلا إلى مكة بلد الله الحرام قاصدا الحج ليقضى حجه وليتزود من العلماء مايمكنه أن يتزود به، فاجتمع بعلمائها وفقهائها،وبحث معهم حال المجتمعات الإسلامية وما هى فيه من جهل وضلال ومخالفة لصريح القرآن، وناقشوه وناقشهم، ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى المدينة للصلاة فى المسجد الشريف والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحصل له زيارة علمائها والأخذ عنهم. ومنهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، والشيخ محمد حياة السندى. وقد أجازه الشيخان بمروياتهما،وعرض عليهما دعوته واتفقا معه وشجعاه وحبذا فكرته. بعد ذلك عاد الشيخ محمد إلى نجد من المدينة مسرورا بما لقيه من العلماء. ثم إنه فكر فى الذهاب الى البصرة ليلتقى بالعلماء ويدعو الناس الى تحقيق التوحيد وترك الشرك والبدع والمحرمات، فاستفاد من علمائها وأفادهم، ورأى الشيخ فى العراق الوثنية قائمة والبدع والخرافات والشرك الأكبر، ورأى القبور مزدحمة بالمبتدعين

وعليها المساجد والسرج، فجهر بالدعوة والنصيحة،وشدد عليهم حتى أن العامة آذوه وضربوه، ونهبوا ما معه من مال ومتاع وكتب،وأخرجوه من البصرة حافى القدمين. وفى الطريق إلى الزبير كاد أن يهلك لولا رحمة الله وعنايته،فقد وفق الله رجلا من أهل الزبير فأقبل عليه وساعده، وذهب به الى الزبير، بعدها عاد إلى نجد من طريق الأحساء ونزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائى الشافعى. ثم خرج من الأحساء الى حريملاء، وفى حريملاء نزل على والده وأخذ مرة أخرى يوضح للناس حقيقة التوحيد وينهى عن الشرك والبدع، وبعد أن توفى والده جهر بالدعوة فى أسلوب موسع،وأنكروا عليه أشد الإنكار حتى أن الفساق منهم هموا بقتله إلا أن الله أنجاه.

«التخطيط للدعوة الإصلاحية»

كان خبر الشيخ رحمه الله قد ذاع وانتشر فى البلاد النجدية، وبعد أن لاقى ما لاقى فى حريملاء،قرر الرحيل الى العيينة لعل الله أن يجعلها موطن الدعوة الإصلاحية (دعوة التوحيد) ـ رحل الشيخ إلى العيينة واستقبله أميرها وسكانها، وبعد بحث ومناقشة اتفقوا معه على الدعوة الى تصحيح العقيدة الإسلامية، فما كان من الشيخ إلا أن أمر بهدم القبة المزعومة لزيد بن الخطاب رضى الله عنه، فهدمها بيده،وطبقت الحدود، ولم يمض على وجود الشيخ إلا زمن قصير حتى كان أهل العيينة أتباعا له على الحق من أميرهم إلى وليدهم. وكان للشيخ أتباع مؤيدون لدعوته فيما حول العيينة من البلاد . وما أن رأوا ما حصل فى العيينة من أمر الدين حتى توجهوا اليها ونزلوا بها،ولكن ماذا جرى؟لقد خشى أعداء الدين خطر هذه الدعوة التى تقضى أول ما تقضى على ظلمهم وبطشهم وعدوانهم، فأرسل أمير الأحساء الى أمير العيينة يأمره بقتل الشيخ وإخراجه من العيينة وإلا فإننا سنقطع عنك الخراج الذى يأتيك منا. فخرج الشيخ من العيينة قاصدا الدرعية.

«انتقال الشيخ إلى الدرعية»

توجه الشيخ إلى الدرعية ونزل عند وصوله إليها ضيفا لمحمد بن سويلم، وكان محمد

ممن اقتنع بدعوة الشيخ. وكان من أثر انتشار خبر الشيخ وذيوع دعوته أن سخط عليه الأمراء والحكام، وكان ابن سويلم يخاف على نفسه من أمير الدرعية ان علم بأن الشيخ عنده. وقد علم الأمير محمد بن سعود بوجود الشيخ بالدرعية بدار محمد بن سويلم، فهب الأمير للقاء الشيخ بعد أن نور الله بصيرته بالحق.

«لقاء الشيخ بالأمير»

قام الأمير محمد بن سعود رحمه الله بزيارة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مرحبا به مؤيدا له، وكان من أول لقاء لهما أن قال الأمير «ياشيخ محمد أبشر بالعز والتمكين والمنعة. أبشر ببلاد خير من بلادك» فرد عليه الشيخ قائلا «وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة «لا إله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد وهى كلمة التوحيد وأول مادعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ». فلما تحقق الأمير محمد معرفة التوحيد وتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع وعلم ما لذلك من المصالح الدينية والدنيوية قال له: ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذى لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد فيمن خالف دين الإسلام، ولكن أريد ان أشترط عليك اثنتين إذا قمنا فى نصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان نخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

والثانية. ان لى على أهل الدرعية «قانونا» أى ضريبة آخذه منهم فى وقت الثمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا ـ فقال الشيخ: أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، ثم أن الأمير محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد فى سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده ـ جاء ذلك فى عنوان المجد فى تاريخ نجد، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض مغازى الشيخ والأمير وحروبهم. أصر

أمير الرياض دهام بن دواس على محاربة التوحيد،وناصب الإمام محمد بن سعود وهذه الدعوة السلفية العداء بوحشية وفظاظة واستكبار واستعلاء. وقد قام بن دواس بغارات على أهل منفوحة لمناصرتهم لدعوة الشيخ رحمه الله، فما كان من الإمام محمد بن سعود رحمه الله إلا أن سار إليه واقتحم أراضيه، ثم كان بعد ذلك عدة لقاءات بين جيش الإمام محمد بن سعود ووقعت حروب كثيرة، وتفاصيلها موجودة فى الكتب انتهت بهرب ابن دواس الخائن فى عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بعد أن شغل الدعوة سبعا وعشرين سنة بعناده وباطله وخياناته المستمرة، وكان من أعداء الدعوة أمير الأحساء ابن عريعر الذى ناصب الدعوة العداء.

سار هذا العدو الشرس بجيش يفوق الجيوش فى وقته عددا وعدة، وحاصر الدرعية شهرا كاملا، ولكن قوة الايمان والصبر والثبات كانت تفوق هذه القوى المادية، ونصر الله المؤمنين الموحدين أتباع الشيخ والإمام محمد بن سعود على عريعر. وقد كتب الله لدعوة الشيخ أن تنتشر فى الجزيرة العربية فى عهد الامام سعود بن عبدالعزيز، وقد كانت مدينة الدرعية بزمن الإمام سعود رحمه الله فى ذروة العز والقوة والمنعة وكثرة الرجال والسلاح، وكانت مدينة زاهرة بالعلوم والعمران، يؤمها الطلاب من كل صوب، تخرج منها علماء أجلاء لهم مشاركة فى التدريس والتأليف والقضاء والفتاء، وصدق الله اذ يقول «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»،وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن العباس رضى الله عنهما؛ واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

ولسائل أن يسأل ـ ماهى أسباب النصر الذى تم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره الغر الميامين ـ ؟ إنه ولا شك عون الله لعبده، ثم بعد ذلك كونها دعوة حق اعتمدت على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى تفسر هذا الكتاب وتبينه وتدل عليه. كتب الله لها النصر لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر، وصدق الله إذ يقول «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

«الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية»

لسائل أن يسأل ـ ماهي حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؟

سؤال يجيب عليه الشيخ نفسه رحمه الله. رسالة أرسلها إلى أهل المغرب، أقتطف منها بعض ماورد قال الله تعالى :

« قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »

(١٠٨ يوسف)

وقال تعالى:

« وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ..»

(٧ الحشــر)

وقال تعالى :

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..»الآية.

(٣ المائدة)

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا،وترك البدع والتفرق والاختلاف.

فقال تعالى

«ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »

(٣ الأعراف)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، قالوا من هى يا رسول الله. قال:من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى..

إذا عرف هذا فمعلوم ما عمت به البلوى من حوادث الأمور التى أعظمها الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التى لايقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان،والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصلح إلا لله، وصرف شئ من أنواع العبادة كصرفها جميعها.. وأخبر تعالى أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى..

« قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا » فلا يشفع عنده أحد إلا بأذنه..

قال تعالى :

« مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ..» الآية.

(٢٥٥ البقرة)

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلا بإذن الله، لا يشفع ابتداء بل يأتى فيخر ساجدا فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال - ارفع رأسك وقل يسمع. وسل تعطى. واشفع تشفع. ثم يحد لهم حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء. وهذا الذى ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم من حوادث الأمور. فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين،وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان، وهو صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فنهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله،وإجماع السلف الصالح من الأئمة،ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى..

«وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ.» (١٩٣ البقرة)

وندعو الناس إلى إقام الصلاة فى الجماعات على الوجه المشروع،وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر:

«ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ...

(٤١ الحج)

وله فى رسالة أخرى.. أنقل منها بعض ما كتبه. الذى ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له،والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبى الأمى صلى الله عليه وسلم.. فأما العبادة فقال الله تعالى...

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ» (٣٦ النحل)

وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعته فى الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى:

«قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ..» (٣١ آل عمران)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.» فتأمل رحمك الله ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين. وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء.

وأما مذهبنا فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل،إمام أهل السنة،ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها.

والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين،وأنه عبادة الله وحده لا شريك فيها، وخلع جميع الشرك،ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها،نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل فى الشرع، كجمع المصحف فى كتاب واحد، وجمع عمر رضى الله عنه الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحو ذلك. فهذا حسن والله أعلم.

وإذا تأملنا تلك الرسالتين الجليلتين خرجنا بصورة واضحة عن بعض أصول دعوة الشيخ المجدد رحمه الله تعالى، وأدركنا أنها ترتكز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، ولما كانت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بشريعته ودينه منطلقا للإيمان والعبادة، عقد الشيخ رحمه الله بابين فى كتابه (التوحيد)، ووضح فى كثير من رسائله هذا الأمر وما جاء فيه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم..

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى. باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ماحرم الله. فقد اتخذهم أربابا من دون الله، والباب الآخر. قوله. باب قول الله تعالى «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.»الآيات.. ولنقتطف مما ذكر الشيخ آية من كل باب أو حديثا ونوضحه.

أما الباب الأول .. فقد أورد الشيخ حديث عدى بن حاتم. أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله..»فقلت له إنا لسنا نعبدهم. قال. أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونه.. فقلت:بلى.. قال فتلك عبادتهم. رواه أحمد والترمذى وحسنه.

وشواهد الحديث من الآيات كثيرة.. فتأمل هذا الحديث العظيم، تأمل قول عدى: إنا لسنا نعبدهم. ظانا أن العبادة هى التقرب إليهم بسجود أو نذر أو ذبح. وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم..

ففى هذا صراحة ووضوح بأن العبادة هى الطاعة وهى الاتباع وهى التحكيم، فمن أطاع الله ورسوله لم يرض بما يخالفه من الأحكام من أى مصدر كانت، واتخاذهم أربابا يكون فى هذا النوع، فمن رضى حكما غير حكم الله وحكم رسوله وهو عالم بذلك معتقدا صحة هذا الحكم المخالف نصا وروحا لحكم الله،فذلك لاشك فى كفره.

قال شيخ الإسلام أبوالعباس ابن تيمية رحمه الله.. وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين.. أحدهما. أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون. الثانى. ان يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحريم الحرام ثابتا لكنهم اطاعوهم فى معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: انما الطاعة فى المعروف. ثم نقول لهذا المحلل للحرام. المحرم للحلال. إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن خفى عليه الحق فى نفس الأمر. وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه على اجتهاده الذى أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا الخطأ مخالف لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اتبعه وعدل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم،فله نصيب من الشرك الذى ذمه الله،لا سيما إن اتبعه فى ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم،فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما الباب الثانى.. فإليك رأس الباب. باب قول الله تعالى..

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ...»

(٦٠ النساء)

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. فى شرحه لهذه الآية فى كتاب تيسير العزيز الحميد..

لما كان التوحيد الذى هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملا على الايمان بالرسل مستلزما له،وذلك هو الشهادتان . ولهذا جعلها النبى صلى الله عليه وسلم ركنا واحدا، نبه فى هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم فى موارد النزاع، إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذى لابد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلابد له من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذى جاء من عنده على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فمن شهد ان لا إله إلا الله ثم عدل الى تحكيم غير الرسول صلى الله عليه وسلم فى موارد النزاع فقد كذب فى شهادته.. انتهى..

وقد سبق تفصيل القول فى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. ويقول رحمه الله فى موضع آخر.. ومن لوازم ذلك «أى الشهادتين» متابعته وتحكيمه فى موارد النزاع وترك التحاكم الى غيره، كالمنافقين الذين يدعون الايمان به ويتحاكمون الى غيره، وبهذا يتحقق للعبد كمال التوحيد.. ومن قوله «يزعمون» نفى لما زعموه من الايمان وقد أمروا «أن يكفروا به» أى بالطاغوت،وهو دليل على أن التحاكم الى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الايمان إلا بالكفر به وترك التحاكم اليه. وقال. وفى الآية دليل على أن التحاكم اليه،به يكون العبد غير مؤمن بل ولا مسلم «يعنى التحاكم الى الطاغوت». وأورد الشيخ فى نفس الباب قوله تعالى «وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» قال ابوالعالية فى الآية.. يعنى لا تعصوا فى الأرض، وكان فسادهم ذلك هو معصية الله، لأن من عصى الله فى الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة. وأخيرا أورد الشيخ سبب نزول آية النساء« الم تر الى الذين يزعمون...الآية فقال... وقيل نزلت فى رجلين اختصما وقال أحدهما نترافع إلى النبى صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر.. الى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا الى عمر رضى الله عنه. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، أكذلك. قال نعم. فضربه بالسيف فقتله. ويحسن بنا أن نذكر فى هذا الباب الرد على

القانونيين الذين يحكمون الطاغوت المسمى «بالقانون» وأنقل ما كتبه والدى وشيخى سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله.. قال رحمه الله:إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين فى الحكم به بين العالمين، والرد اليه عند تنازع المتنازعين،مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل، «فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا..» وقد نفى الله سبحانه وتعالى الايمان عن من لم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفى وبالقسم.. قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» وقال فى موضع آخر. وقد نفى الله الايمان عمن أراد التحاكم الى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين.. كما قال تعالى «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا» فإن قوله يزعمون تكذيب لهم فيما ادعوه من الايمان،فإنه لا يجتمع إيمان مع تحاكم إلى غير ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الايمان فى قلب عبد أصلا بل أحدهما ينافى الآخر. والطاغوت مشتق من الطغيان؛ وهو مجاوزة الحد. فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكما بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكما أو تحكيما، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده.

وقال عليه رحمة الله ورضوانه «وتأمل قوله عز وجل «وقد أمروا أن يكفروا به» تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد. فالمراد منهم شرعا هو الذى تعبدوا به وهو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه. «فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم» ثم تأمل قوله تعالى «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا»،كيف دل على أن ذلك ضلال. وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى،وقد دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هى

صلاح الإنسان ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان معزولا من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن..

وقد قال الله تعالى منكرا على هذا الصنف من الناس ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية ،وموضحا أنه لاحكم أحسن من حكمه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»ـ فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين فى زمرة أهل الجاهلية؛لا تناقض لديهم حول هذا الصدد.. وأما القانونيون. فمتناقضون حيث يزعمون الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وينافقون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. وقد قال الله فى أمثال هؤلاء . «أولئك هم الكافرون حقا وأعددنا للكافرين عذابا مهينا» ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم ونحاتة أفكارهم بقوله عز وجل «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»، قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذه الآية: ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير،الناهى عن كل شر، وعدل الى ما سواه فى الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله،كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من أهل الضلالات والجهالات،مما يصنعونه بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار فى السياسات الملكية التى يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير. قال تعالى «أفحكم الجاهلية يبغون»،وعن حكم الجاهلية يعدلون،«ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» أى: ومن أعدل من الله فى حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم من الوالدة بولدها،فإنه تعالى العالم بكل شئ، القادر على كل شئ، العادل فى كل شئ. قال تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»،وقال «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق،ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا بل هو كافر مطلقا، إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد ـ وما جاء عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية، يدل على أن الحاكم بغير

ما أنزل الله كافر إما كفر إعتقاد ناقل عن الملة ، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة. وقال: وهذه المحاكم الآن فى كثير من أمصار الإسلام مهيأة مفتوحة الأبواب، والناس اليها أسراب اثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحثهم عليه ـ فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة. نسأل الله العصمة من جميع المعاصى وأن يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة..اهـ.

وقد وقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته من بعده فى صدق إيمان ونور بصيرة وثبات على الحق، وموقف إمامهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلماء المسلمين أهل السنة والجماعة من النصارى واليهود والملحدين والمبتدعة والزنادقة والجهمية والمعطلة والمقلدين المتعصبين وعباد الموتى وقفة المجاهدين الناصحين لله ولرسوله ولدينه، وأتاهم الله من قوة اليقين وشجاعة الجنان ووضوح الحجة ما أخرس خصومهم وقطع ألسنتهم، وفى ذلك الجو وما فسر من لهم مصالح فى إنحراف الناس عن حقيقة التوحيد كما هى العادة،مضوا فى محاربة الشيخ وإيذائه، ولكنهم لم يصلوا الى حجته ولا الى قلبه ولسانه ولا الى هديه وبيانه هدى القرآن وبيان القرآن وسنة رسول الهدى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم،فدعى الى الله والى متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. فأشعل منار العرفان وأضاء مصابيح السنة، ففتح الله بدعوته قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما، ونفع الله بكتبه ورسائله على بصيرة من نور الله وشرعه، شأنه فى ذلك شأن المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما حصل قبله للإمام ابن تيمية فى سبيل تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة والذود عن حوزة الإسلام، حين نادى بها حربا شعواء، فقد جهر برأيه فى صراحة تامة لا غموض فيها، سنده وحجته كتاب الله والسنة المطهرة. ثم خلفه تلميذه ابن القيم، فحمل الراية وأعلنها حروبا على الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية والمعطلة داعيا الى عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من فقهاء الأمة ومحدثيها .. ولقد كان مسلك ابن القيم رحمه الله فى التصوف مسلك المصلح العارف بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ كتابه القيم «مدارج السالكين» شرح كتاب «منازل السائرين» للإمام الهروى،وعرف التصوف البرئ من كل دجل

وضلالة،وأن ما يدعيه أصحاب الفرق الضالة والطرق الصوفية ماهو الا جاهلية وضلالة ينبغى محاربتها وكشف زيفها وضلالها. وقد كان موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومسلكه فى التصوف هو موقف ومسلك ابن القيم رحمه الله. كما ان موقف الشيخ محمد رحمه الله من التقليد الأعمى هو موقف الإبطال والرفض، لأن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل والتقليد ليس بدليل وبالتالى ليس علما..

«خاتمـــة»

لقد ظلت دعوة الشيخ المجدد رحمه الله صورة حية فى حياة سكان الجزيرة العربية وغيرهم من كثير من سكان آسيا وأفريقيا،كما كان كفاحه ونضاله فى سبيل تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والعمل على توحيد الجزيرة العربية فى كيان واحد يلم شعثها. فقد كانت الجزيرة العربية قبل دعوة هذا الإمام المصلح مجزأة فى إمارات صغيرة مختلفة متناحرة، يأكل قويهم ضعيفهم، ويستبيح ماله وعرضه، مجتمعا تسـوده الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، فعبدت الأشجار، والأحجار،والغيران، والأموات من دون الله. كانت المرأة فى ذلك الزمن تأتى الى فحل النخل وتحتضنه قائلة: «يافحـل الفحول أريد زوجا قبل الحلول». وقد ذكرت كتب التاريخ اشجارا وأحجارا وغيرانا يرتادها الجهلة من الناس من غير نكير. فبلغت درجة من التخلف عظيمة. كانت تلك الإمارات وكانت القبائل فئات متناحرة تتصرف بعقلية متعفنة وبعادات جاهلية، فجاهد الشيخ والإمام محمد بن سعود ومن بعده من أمراء الدولة السعودية الأولى فى سبيل تصحيح العقيدة ومحاربة ما ورثه الأبناء عن الآباء من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى عاد للجزيرة العربية وجهها المشرق، وكان لها وضع مذهل، وذلك بفضل قوة الإسلام وحمايته من قبل الحكم العادل..

«هما السيف والقـرآن قد حكما معا . . فلـم يتـركا زيفـا ولـم يتـركا خرفا».

كان الشيخ بجانبه الإمام المسلم الذى أشرب قلبه بلبان التوحيد رائدى منهج وخطة عمل، فهما أخذا على عاتقهما إصلاح المجتمع الجاهلى عقيدة وسلوكا وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. والله المسئول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يهدينا سواء السبيل. وأن يغرس لهذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتهاك المبطلين ـ وآخر دعوانا أن ـ الحمد لله رب العالمين.

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ
مناع القطان

مدير إدارة الدراسات العليا

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..

يجدر بنا فى مستهل هذا البحث أن نقدم له بكلمة نتعرف منها على ملامح هذه الشخصية الفذة والعوامل التى أثرت فيها.

بيئته وعصره:

للبيئة ـ طبيعية كانت أو اجتماعية ـ أثرها فى تكوين شخصية الإنسان، فإن مقومات الشخصية تعتمد على الصفات الجسمية والعقلية والخلقية ، وهذه الصفات منها ما يكون وراثيا، ومنها ما يكون مكتسبا ، وهذه وتلك تتأثر تأثرا مباشرا ببيئة الإنسان، والبيئة الاجتماعية بما يسودها من أعراف وعادات وتقاليد هى التى توجه الشخصية الى السلوك الاجتماعى الذى يلائمها إيجابا أو سلبا.

والداعية المصلح هو الذى يتفاعل مع بيئته تفاعلا واعيا يتحسس به نفسيات الناس وسجاياهم وعقائدهم وأخلاقهم، وتصوراتهم للحياة ومفاهيمهم عنها، ويدرك عوامل الخير فينميها وعوامل الشر فيعالجها بالحكمة.

إنه يعيش بمشاعرهم وأحاسيسهم ، ويقف منهم موقف الغطاس الماهر يفحص موطن الداء، ويصف الدواء، ويرى حياته مرهونة بإنقاذهم من براثن الشرك والضلال،

وهدايتهم الى صراط الله المستقيم، وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:

(فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا)(١).

ولا يستطيع الداعية أن يصل إلى نفوس قومه ويتملك مشاعرهم الا اذا كان تفاعله معهم صادقا، يقرب منهم ليقربوا منه، ويحبهم ليحبوه، ويخالطهم ليألفوه.. ويخاطبهم بلغتهم فيما يمس حياتهم ويتصل بصميم بيئتهم ليستمعوا له، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى:

(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)(٢).

فالتعبير باللسان ليس قاصرا على اللغة، ولكنه رمز للتجانس بين الداعية وقومه لغة وبيئة، بما تتضمنه البيئة من عادات وتقاليد.

والشيخ محمد بن عبدالوهاب تمثلت فيه هذه المعاني جميعا، ومن خلال بيئته نتعرّف على معالم شخصيته والجوانب التي كان لها أثرها في دعوته.

بيئة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

الجزيرة العربية على سطح الكرة الأرضية تمثل شبه قارة وان كانت جزء من قارة لترامي أطرافها، وسعة أبعادها ، واختلاف أجزائها، وكثرة مرتفعاتها ووديانها، وتمثل المنطقة الوسطى منها الجزء الأكبر الذي يرتفع كثيرا عن سطح البحر، وهو الذي يطلق عليه اسم «نجد» أي الأرض المرتفعة، ويحد هذا القسم شمالا بجبل شمر، وجنوبا بالربع الخالي، وشرقا بالدهناء، وغربا بالحجاز ، وتخترقه من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال العارض بشعبها التي تتخللها، وتحيط بها أودية زراعية خصبة، والقسم الجنوبي منها هو الذي يسمى بالعارض، ويتوسطه وادي حنيفة المعروف بخصوبته وكثرة مائه، وأشهر بلدانه التي شهدت جوانب حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي: «حريملاء» و «العيينة»

(١) سورة الكهف آية ٦

(٢) سورة ابراهيم آية ٤

و (الدرعية)،وكانت تلك الجهات تعرف قديما باليمامة وإن كان اسم اليمامة اليوم يطلق على جزء صغير منها.

وطبيعة الجزيرة العربية تملى على سكانها صفاتهم النفسية والسلوكية،فهى بلاد وعرة المسالك كثيرة الوهاد والنجاد، يعتمد معظم أهلها فى حياتهم على ما يعتمد عليه أهل البادية ، من رعى الماشية ، والانتجاع طلبا للكلأ والعشب،وقد أورثهم ذلك خشونة النفس،وقسوة القلب، وغلظة الطبع، وتحررا من القيود والضوابط، وعصبية للقوم، واعتزازا بالعشير، وإزاء هذا كله فقد ورثوا كثيرا من المحامد التى تستدعيها حياة البادية من شجاعة وإقدام ووفاء ونجدة وجود وكرم.

والأنفة التى جبل عليها الأعرابى تأنف من الخضوع والانقياد. فهو يعتز بنفسه اعتزازا بالغا، ولا يسلس قيادة الإنسان بسهولة، وما عرف عن النظام القبلى فى رئاسة شيخ القبيلة كان فى نطاق محدود يرتبط بالحمية وحماية الذمار ودفع العار مع ماكان بين القبائل بعضها مع بعض من حروب طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، يثير العصبية العمياء لأتفه الأسباب.

وإنما تلين عريكة العرب اذا كانت السلطة للدين حيث لا يشعر أحدهم حينئذ أنه يخضع لإنسان، إنما يخضع لله، وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى بقوله «الفصل السابع والعشرون» فى أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب فى ذلك أنهم لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظ والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبى أو الولى، الذى يبعثهم على القيام بأمر الله، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم ، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق الا ما كان من

خلق التوحش القريب المعاناة المنتهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع فى النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد فى الحديث»[٣].

ولنجد بعامة، واليمامة بخاصة، تاريخها فى الإسلام الذى امتد عبر القرون فى فترات متلاحقة تأثرت بالأحداث التى أحاطت بأمة الإسلام.

لقد استقر المقام لعشيرة من قبيلة «غزة» فى اليمامة، حيث النخيل والأشجار، ووفد عليهم من أبناء عمومتهم من بنى حنيفة من بكر ابن وائل جماعة، فسكنوا معهم، واختلطوا بهم، وتغلبوا على البلاد،وآلت زعامة اليمامة وما حولها عندما بزغ فجر الاسلام الى هوذة بن على الحنفى، وثمامة بن أثال الحنفى، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه وكتب معهم كتبا الى الملوك يدعوهم فيها الى الإسلام، بعث شليط بن عمرو أحد بنى عامر بن نوى الى ثمامة بن أثال وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة[٤].

ثم توفى هوذة دون أن يسلم، أما ثمامة فقد وقع فى أسر سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم فى قصة مشهورة[٥].

وفى عام الوفود قدم وفد بنى حنيفة وأسلم ، ولكن سرعان ما ارتد عدو الله مسيلمة ابن حبيب الحنفى وتنبأ، وجعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم كلاما مضاهاة للقرآن.

فلما كان عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه،أعد الجيوش وعقد الألوية لقتال المرتدين، وكانت المعركة الفاصلة بقيادة خالد بن الوليد فى حديقة لمسيلمة لقى فيها حتفه، وسميت حديقة الموت لكثرة قتلاها.

استتب الأمر للإسلام، وأخذ الفتح الإسلامى يبسط نفوذه فى عهد الخلفاء الراشدين، وأسهمت قبائل نجد ـ بما عرف عنها من صرامة وقوة ـ فى هذا الفتح، ولم يكن هناك ما

---

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١ ط مصطفى محمد.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٣، ٢٤٧ ـ ٢٥٤ ط مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

(٥) المصدر السابق ص ٢٨٧ ج ٤.

يدعو الى تولية ولاة على أقاليم الجزيرة العربية حتى كان عهد بنى أمية الذين اتخذوا الشام عاصمة لهم، فأوفدوا ولاتهم الى المدينة ، والطائف أواليامة والبحرين ، وظل الأمر هكذا فى عهد الخلافة العباسية سوى أن بنى العباس أولوا اهتمامهم بالحجاز واليامة والبحرين، فلما ضعف شأن الدولة وفقدت سيطرتها على أطرافها نشبت الثورات الانفصالية فى أنحاء شتى ، ونال الجزيرة العربية من ذلك ما نالها، فاستقل باليامة محمد ابن يوسف بن ابراهيم من سلالة الحسن بن على بن أبى طالب، واستمرت إمارتها فى عقبه زهاء سبعين عاما ، حتى هاجم القرامطة اليامة سنة ٣١٧هـ وتغلبوا عليها .

ولم يقم فى اليامة بعد ذلك دولة ذات شأن، ، بل استقل كل أمير فى نجد بإمارته، وبلغ الأمر ذروته فى القرن الثانى عشر الهجرى، حيث تعددت الإمارات، فكانت الامارة فى العيينة لآل معمر ، وفى الدرعية لآل سعود، وفى الرياض لآل دواس، وفى الأحساء لبنى خالد، وفى نجران لآل هزال، وفى حائل لآل على، وفى القصيم لآل حجيلان، الى غير ذلك من الإمارات.

وبين هذه الإمارات المتعددة من الشحناء والبغضاء والتناحر والتنافر ما يحول دون استقرار البلاد والشعور بالأمن والانصراف للكسب والمعيشة.

ولم تكن الحالة الدينية فى نجد أحسن من تلك الحالة السياسية، فإن انقطاع الصلة بينها وبين الخلافة والدولة وما نجم عن ذلك من استقلال إماراتها وانقسام قبائلها،جعل حياتها الدينية مضطربة منحرفة، وعرض العقيدة الاسلامية فى نفوس أبنائها الى شوائب البدع والخرافات ، حتى كثر الشرك بالله، وشاعت الاعتقادات الجاهلية واشتدت الحالة فى القرن الثانى عشر الهجرى، واعتقد الناس فى الجن والأحجار والأشجار والقبور، ولم يكن هناك من العلماء من يقوم بواجب الدعوة الى الله وتبصير الناس بما هم عليه من الشرك والخرافات والأباطيل حيث غلب الهوى واستحوذ على العقول الضلال، واستسلم أمام موجة الجهل عامة الناس وخاصتهم، ما بين مخدوع مضلل ومستضعف مستكين.

وحين تعظم الطامة وتدلهم الخطوب، تسأم النفوس الحياة وتمل الفساد والجور، وتتطلع الى ساعة الخلاص التى تنقذها من براثن الشرك،وتنشلها من حمأة الرذيلة،وتأخذ بيدها الى

الصراط المستقيم،وترفع عن كاهلها أوزار الجهالة، وتحطم قيود العبودية وأغلال الاستبداد.

وبين تلك الحياة القائمة التى كانت تعيشها نجد سياسيا ودينيا ، ومض فى الأفق بريق الأمل، وأراد الله تعالى أن يزيح الغمة، ويعيد للأمة صفاء عقيدتها ، ويخلصها من أوضار الشرك والجهالة ، ويبدد غيوم اليأس والقنوط، فارتفع صوت يردد كلمة التوحيد التى بعث بها الرسل (لا اله الا الله) بروح الايمان الصادق ويحيى فى النفوس العقيدة الخالصة ، ويمسح عنها أدران الوثنية والجاهلية ويدعوها إلى نبذ البدع والخرافات، ويستقى لها من نبع الإسلام الصافى ومورده العذب فى القرآن والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

كان هذا الصوت صوت الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمى النجدى الذى تجاوبت أصداؤه فى ربوع نجد، وفى جزيرة العرب وفى ديار الإسلام كافة، ووجد ما يدعمه من قوة السلطان فى الأمير محمد بن سعود، فكان ذلك إيذانا بفجر جديد ينشر ضوءه فى جوانب العالم الإسلامى، إعلاء لكلمة الله وتمكينا لشريعة الإسلام.

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القرآن والسنة:

لقد كثرت الأقاويل فى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وافترى عليه نفر من الناس، وخاضوا فى الحديث عنه على غير علم، وكأنه كان بدعا فى تاريخ المصلحين أتى لهم بمذهب جديد، والحق أن دعوته كسائر دعوات الإصلاح الإسلامى الرشيدة المهتدية ، نهجها الاتباع لا الابتداع، ترد الناس الى الشريعة الإسلامية فى مصدريها الأساسيين : القرآن والسنة

والقرآن: هو كلام الله الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم،ونقل إلينا تواترا لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آية دالة على صدقه فيما ادعاه من الرسالة، وهو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة فى كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمته امتثالا لأمر ربه

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ) (٦)

واحتوى على الأمر الإلهى الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام فى غير موضع بأساليب شتى، قال تعالى:

(ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ) (٧).

وقال عز وجل:

(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ) (٨).

وتلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة له وحفظا ودراسة لمعانيه، وعملا بما فيه، واستمر حفظ المسلمين للقرآن فى كل عصر، وتوارثت الأمة نقله بالكتابة على مر الدهور جيلا بعد جيل، من غير تحريف أو تبديل وذلك مصداق قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) (٩)

وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة وقواعدها فى الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملة ، تشير الى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأئمة والمجتهدين المصباح الذى يستنبطون فى ضوئه أحكام جزئيات الحوادث فى كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة وشمول قواعدها الكلية ومقاصدها العامة لما يحدث فى الناس من أقضيات.

(٦) الآية ٦٧ من سورة المائدة

(٧) الآية ٣ من سورة الاعراف

(٨) الآية ٤٨ من سورة المائدة

(٩) الآية ٩ من سورة الحجر

وإنما فصل القرآن ما لابد فيه من التفصيل الذى يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل ، كما فى العقائد وأصول العبادات، أو لأنه يبنى على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، وذلك كما فى تشريع المواريث، ومحرمات النكاح، وعقوبة بعض الجرائم.

والسنة: فى اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل .. أو تقرير.. أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، فهى مرادفة للحديث.
وفى اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.
وفى اصطلاح الفقهاء : ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، فهى حكم من الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد تطلق السنة على ما دل عليه دليل شرعى ، ويقابل ذلك البدعة. والسنة هى المصدر الثانى الأصيل فى التشريع الإسلامى، وقد بين الإمام الشافعى فى الرسالة أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة الا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال تعالى :

(كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ)(١٠).

وقسم الأحكام الى أقسام.

١ ـ ما أبانه الله لخلقه نصا كجمل فرائضه من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وتحريم الزنا والخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير.
٢ ـ وما جاء حكمه فى القرآن مجملا،وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والعملية، كتفصيل مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وسائر أحكامها،وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها والأموال التى تزكى ، وبيان أحكام الصوم،ومناسك الحج، والذبائح

(١٠) الآية ١ من سورة ابراهيم

والصيد وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفاصيل الأنكحة والبيوع والجنايات وغير ذلك مما دفع مجملا فى القرآن، وهو الذى يدخل فى الآية الكريمة:

(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[11].

٣ - وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم بالقرآن حيث فرض الله فى كتابه طاعة رسوله والانتهاء الى حكمه:

(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ)

فمن قبل هذه السنة امتثل أمر الله.[12]

وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله فى قوله عز وجل:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[13]

وتكرار الأمر بالطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر الله بطاعة أولى الأمر استقلالا حيث لم يتكرر معهم الأمر بالطاعة، فجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بما جاء عن الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ذلك فلا سمع له ولا طاعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق)[14] وقال: إنما الطاعة فى المعروف)[15].

---

(١١) الآية ٤٤ من سورة النحل

(١٢) انظر الرسالة ص ٨٥ ـ ٩٢ بتحقيق أحمد شاكر ط الحلبى

(١٣) الاية ٥٩ من سورة النساء

(١٤) رواه أحمد والحاكم.

(١٥) رواه أحمد والبيهقى

وقد تضمنت الآية احتمال التنازع بين المؤمنين فى بعض الأحكام - وأوجبت الرد عند التنازع إلى الله والرسول، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه فى حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأمر بالرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة يدل على أنهما يشتملان على حكم كل شئ، لأن قوله: (فإن تنازعتم فى شئ) نكرة فى سياق الشرط وسياق الشرط كسياق النفى، فهى تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين ولو لم يكن ما فى كتاب الله وسنة رسوله كافيا لبيان حكم ما تنازعوا فيه لما أمروا بالرد إليه، وهذا يجعل مرد الحلال والحرام إلى الله والرسول)[١٦]

هذا وان الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد نحا هذا المنحى الأصيل فى دعوته بكل جانب من الجوانب التى تناولها.

أولا : تأكيده على الرجوع الى الكتاب والسنة:

أكد الشيخ رحمه الله فى غير موضع من رسائله وفتاواه وكتبه ضرورة الرجوع الى الكتاب والسنة.

فقد أجاب الشيخ محمد بن مانع عن مسائل سأل عنها بقوله: «.... وأما المسائل التى ذكرت فاعلم أولا أن الحق اذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذى هو أوضح من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك فإذا فهمت قوله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ)[١٧]

(١٦) انظر كتابنا : التشريع والفقه فى الاسلام تاريخا ومنهجا ص ١١٩ - ١٢٠ وانظر أعلام الموقعين لابن القيم ص ٤٨ - ٥٠ بتحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ط مصطفى محمد.

(١٧) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف فى كتب المختصرات، وذكر فى شرح «الإقناع» فى أول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد، والقناطر، يعنى بقعها لا الوقف عليها، واختلفوا فيما سوى ذلك، إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفى لفظ الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ونقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بهذا ، ولو أمر به لكان الصحابة أسبق الناس اليه، وأحرصهم عليه(١٨).

وكان الشيخ حنبلى المذهب فى دراسته،ولكنه لا يلتزم مذهب الإمام أحمد فى فتاواه إذا ترجح لديه ما يخالفه فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب اليه الشيخ عبدالعزيز الحصين يسأله عن مسائل «المسألة الأولى»... العروض، هل تجزئ فى الزكاة اذا أخرجت بقيمتها؟ فأجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله:

أما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما المنع لقوله:
«فى كل أربعين شاة شاة، وفى مائتى درهم خمسة دراهم» وأشباهه،والثانية يجوز، قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع تمر نخلة فقال عشرة على الذى باعه، قيل يخرج تمرا أو ثمنه، قال: إن شاء أخرج تمرا وإن شاء أخرج من الثمن.

اذا ثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله والرسول، قال البخارى فى صحيحه فى أبواب الزكاة: «باب العرض فى الزكاة» وقال طاوس: قال معاذ لأهل اليمن: إئتونى بعرض ثياب خميص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقال صلى الله عليه وسلم: «وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله» ثم ذكر فى الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز»(١٩).

---

(١٨) فتاوى ومسائل ـ المسألة الثانية والعشرون ص ٨٨، ٨٩ ـ القسم الثالث مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى.

(١٩) المصدر السابق ص ٩٥ ، والعرض بفتح المهملة وسكون الراء: ما عدا النقدين والخميص: عنى به الصفيق من الثياب، أو لبيس: أى ملبوس: فعيل بمعنى مفعول.

فأنت تراه فى هذه الفتوى يذكر الخلاف ثم يرده الى الله والرسول، ويدعم ما اختاره بالدليل، حيث أخذ معاذ العرض بدل الشعير والذرة فى الزكاة وفى نهاية أجوبته أتى بتتمة فى اتباع النصوص مع احترام العلماء فقال: «اذا فهمتم ذلك فقد تبين لكم فى غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، وهذه المسائل وأشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير نكير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع مع كونه قد اتقى الله ما استطاع،لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون فى بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده، معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ، ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم.

أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم،

وأما اتخاذهم أربابا من دون الله ـ إذا قيل: قال الله قال رسوله قيل: هم أعلم منا ـ فهذا هو طريق الضالين»[٢٠].

والشيخ محمد بن عبدالوهاب يقرر أن دين الحق هو الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلل ذلك بأمرين: أحدهما: أن الله أعطى رسوله جوا مع الكلم، وثانيهما أنه عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلمة الجامعة،وبهذا أكمل الله لنا الدين ، وأغنانا بهذا عن إحداث شئ فى الدين ليس منه، فإنه يكون بدعة وضلالة.يقول الشيخ «اعلم ـ أرشدك الله ـ أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى الذى هو العلم النافع، ودين الحق الذى هو العمل الصالح ـ اذا كان من ينتسب الى الدين: منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن

(٢٠) المصدر السابق ص ٩٧

الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم،فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهما جيدا فهم قوله تعالى:

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)[٢١]

وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم، اذ الكامل لا يحتاج الى زيادة ، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما أوصانا بقوله: (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ، وفهم أيضا معنى قوله: (فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول)، فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه الى الله، أى الى كتابه، والى الرسول، أى الى سنته، علمنا قطعا أن من رد الى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع)[٢٢].

ويتابع كلامه فيوجب فى محل النزاع التراد الى الله والرسول اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، اذ لا وجه للترجيح الا بالدليل، فإذا لم يتبين للمرء الدليل المرجح كانت له مندوحة فى أن يقلد من يثق بعلمه ودينه، يقول، الشيخ ـ رحمه الله ـ : «اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: فى محل النزاع التراد الى الله والرسول، لا الى كلام أصحابه ولا الى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعا، وقد يكون صوابا ، وقولك : اذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض ، بل يصدق بعضها بعضا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ فى الدليل، لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطأ.

وبالجملة ، فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه،

---

(٢١) الآية ٣ من سورة المائدة

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٢

فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه،وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى أو يقلد الأعلم أو الأردع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه.[23].

وبين القاعدة التى يتبعها المفتى فيقول: «الذى يسوغ بل يجب ما وصف لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله، ورد ما تنازع فيه المسلمون اليه فإن علّمه الله شيئا فليقل به، والا فليمسك ويقول: الله أعلم، ويجعله من العلم الذى لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان فى العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة الى مالم يعلمه، وقد قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[24].

والذى يتتبع أقوال الشيخ وفتاواه يجد تأكيد وجوب اتباع الله واتباع رسوله والرد فى محل النزاع الى الكتاب والسنة،تارة بالإجمال، وتارة بالتفصيل، وأوضح بيان له فى ذلك ما ذكره فى رسالة له: «أربع قواعد تدور الأحكام عليها"ونحن نقتطف من ذلك أهم ما ورد: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التى تدور الأحكام عليها.... »

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ إلى قوله: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[25].

القاعدة الثانية: أن كل شئ سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه، أو يكرهه، لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[26].

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»

---

(٢٣) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣

(٢٤) الآية ١٧ من سورة الأسراء

(٢٥) الآية ٣٣ من سورة الاعراف.

(٢٦) الآية ١٠١ من سورة المائدة.

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال تعالى:

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ)[٢٧].

والواجب على المسلم اتباع المحكم وإن عرف معنى المتشابه وحده لا يخالف المحكم بل يوافقه وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين فى قولهم: (آمنا به كل من عند ربنا)

القاعدة الرابعة: أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر «أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات» فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل، فهذه ثلاث ذكرها الله فى كتابه.. والرابعة ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم، واعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم فى علم التفسير، أو فى علم الأصول،أو فى علم أعمال القلوب الذى يسمى علم السلوك، أو فى علم الحديث،أو فى علم الحلال والحرام، والأحكام الذى يسمى علم الفقه، أو فى علم الوعد والوعيد، أو فى غير ذلك من أنواع علوم الدين.

ثم ذكر الشيخ أن الواجب اتباع النصوص مع احترام العلماء،فقال بعد كلام طويل

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين لك واحتجت الى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه

وأما قول من قال: لا إنكار فى مسائل الاجتهاد فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، واذا

(٢٧) الاية ٧ من سورة آل عمران.

كان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق،وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطئه، وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب،فهذا كلام صحيح/لا يجوز للإنسان أن ينكر الشئ لكونه مخالفا لمذهب أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل فى قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ)[28]

وأما قول من قال: اتفاق العلماء حجة، فليس المراد الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة، وأما قولهم اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة فى الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى:

(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ)[29]

ولما سمع عمر بن مسعود وأبيا اختلفا فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أى فتياكم يصدر المسلمون؟

لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامى هذا إلا فعلت وفعلت....»

ثم يسترسل الشيخ فى ذكر ما يمكن أن يكون موضع خلاف يحتمل ويحرر الموقف فى مثل ذلك، وهو تحرير يوقر فيه العلماء ويحفظ مكانتهم، وهذا ينفى عنه ما قيل: من تهجمه عليهم.. يقول: قد تبين لكم فى غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالين، وهذه المسائل[30] وأشباهها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير نكير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

(٢٨) الآية ٣٦ من سورة الاسراء

(٢٩) الآية ١١٨ من سورة هود

(٣٠) المراد مسائل فى الزكاة سئل عنها

وسلم يختلفون فى بعض المسائل من غير نكير مالم يتبين النص، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم..)(٣١).

هذه هى الصورة المشرفة فى منهج الشيخ ودعوته لا مجال فيها لتقول يدّعى أنه خرج على الأئمة ، وأنه ينال منهم، أو أنه أتى بمذهب جديد ينسبه الى نفسه ، حتى لقبوا دعوته بالوهابية افتراء وزورا.

والشيخ رحمه الله يرد على هذه المفتريات فى أجوبته عن الرسائل التى وصلته ويبين أنه لايحيد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وما عليه سلف هذه الأمة، وما استقر عليه أمر علمائها، ولا يكفر الناس، ففى رسالته الى أهل القصيم يقول: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم ، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم فى جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى على أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالى، (فمنها) قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شئ، وأني أدعى الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة وأني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيرى لقوله: يا أكرم الخلق، وأني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وأني أكفر من حلف بغير الله، وأني أكفر ابن الفارض وابن عربى، وأني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين:

جوابى عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم،وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، وقال تعالى:

(٣١) المصدر السابق ص ١٠ ـ ١٢

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (٣٢)

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار ، فأنزل الله فى ذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٣٣) ...(٣٤).

ولا يحمل الشيخ الناس على اتباع كلامه، إنما يدعوهم إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففى رسالته الى الشيخ فاضل آل مزيد يقول:

«إنى أذكر لمن خالفنى أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمته، وأقول لهم: الكتب عندكم ، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامى شيئا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس»(٣٥).

ويستشهد فيا يدعو اليه بأقوال الأئمة ليقيم الحجة على أتباعهم من مذاهبهم، ولكنهم يغفلون عن هذا، جاء فى رسالته التى أرسلها الى عبدالله بن سحيم مطوع أهل المجمعة جوابا عن مسائل بدعية وشركية: قال فى «الإقناع» فى باب حكم المرتد« واعلم أن المشركين فى زماننا قد زادوا على الكفار فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين فى الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا فى الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى:

---

(٣٢) الآية ١٠٥ ـ من سورة النحل

(٣٣) الآية ١٠١ من سورة الأنبياء

(٣٤) مطبوعات أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس ـ الرسائل الشخصية، الرسالة الاولى. ص ١١، ١٢ ـ ٤ ـ المصدر السابق ـ الرسالة الثانية ص ١٨.

(٣٥) المصدر السابق ـ الرسالة الرابعة ص ٣٢

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ (٣٦).

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم فى شرح «درر البحار»:النذر الذى يقع من أكثر العوام وهو أن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدى فلان، إن رد غائبى، أو عوفى مريضى، أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا باطل إجماعا لوجوه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظن أن الميت يتصرف فى الأمر واعتقاد هذا كفر، إلى أن قال: إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت.. ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين،وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما فى مولد أحمد البدوى، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده ؟

وأما المالكية فقال الطرطوشى فى كتاب «الحوادث والبدع»:روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكم «فانظروا رحمكم الله ـ أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها......

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبوشامة فى كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو فى زمن الشارح وابن حمدان ـ وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الايمان من اعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين، فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾

(٣٦) الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٣٧) الآية ٢١ من سورة الشورى

وبهذه الطرق.. وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها......)[٣٨].

ويلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى رسالة على إنكار ما اتهم به من التكفير بالعموم، أو سب الصالحين، وبين أنه يعتمد فى أقواله على ما وافق النصوص من الكتاب والسنة، وأما القول: إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأما الصالحون فهم على صلاحهم ـ رضى الله عنهم ـ ولكن نقول: ليس لهم شئ من الدعوة، قال الله:

(وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا)[٣٩]

وأما المتأخرون ـ رحمهم الله ـ فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما يوافق النص لا نعمل به...[٤٠].. «وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته فى الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى:

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ)[٤١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم،وفى رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كائنا من كان، فإن شهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعته فى كل ما أمر به، وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن يأبى يارسول الله؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى».

(٣٨) المصدر السابق الرسالة الحادية عشر ص ٧٢/٦٨

(٣٩) الآية ١٨ من سورة الجن

(٤٠) المصدر السابق الرسالة الخامسة عشرة ص ١٠١

(٤١) الآية ٣١ من سورة آل عمران

فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء، كأبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد بن حنبل، رضى الله عنهم أجمعين لكى نتبع آثارهم...)[٤٢].

ويصرح فى غير موضع بأنه لايدعو الى مذهب ، إنما يدعو الى الكتاب والسنة «ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبى وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها. من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق»[٤٣]

ثانيا : منهجه فى الدعوة الى العقيدة يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة :

تحتل الدعوة الى توحيد الله تعالى والبراءة من ضروب الشك المكانة الأولى لدى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أسوة برسول الله، فالعقيدة لب الأديان السماوية وعليها تقوم الشريعة، وكتاب «التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» يحتل الصدارة فى كتب الشيخ، واذا تناول المرء هذا الكتاب وجد من أخص مميزاته أنه يذكر الباب، ثم يسوق الأدلة من الكتاب فالسنة فما أثر عن سلف هذه الأمة ثم يتبع هذا بالمسائل التى تستنبط من الأدلة، ويكفى أن نذكر هنا بعض النماذج للتعرف على نسق الكتاب.

(٤٢) المصدر السابق ـ الرسالة السادسة عشر ـ ص ١٠٦، ١٠٧

(٤٣) المصدر السابق ـ الرسالة الخامسة والثلاثون ـ ص ٢٥٢.

باب (١)
فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ سورة الأنعام : ٨٢

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من شهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله،وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق.أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.أخرجاه ، ولهما فى حديث عتبان : «فإن الله حرمّ على النار من قال: لا إلٰه إلا الله يبتغى بذلك وجه الله».

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى: يارب، علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إلٰه إلا الله، قال: يارب، كل عبادك يقولون هذا، قال: ياموسى لو أن السمٰوات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين السبع فى كفة، ولا إلٰه إلا الله فى كفه، مالت بهن لا إلٰه إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب(٤٤).

....

....

بـــاب (١٨)

ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

وقول الله عز وجل:

(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ)

سورة النساء آية ١٧١

فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى :

(وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)

سورة نوح: ٢٣.

قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت»

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

---

(٤٤) القسم الأول ـ العقيدة والآداب الاسلامية ـ مطبوعات أسبوع الشيخ ص ١٢، ١٣

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» أخرجاه.

وقال:[٤٥] : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المتنطعون - قالها ثلاثا».

فيه مسائل:

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث فى الأرض، أنه بشبهة الصالحين.[٤٦]

بــــاب (٣٥)

ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى :

(قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا)

الكهف:١١٠

وعن أبى هريرة مرفوعا: قال: قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» رواه مسلم.

(٤٥) هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الامام احمد والترمذى، وابن ماجه من حديث ابن عباس.

(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦، ٥٧

وعن أبى سعيد مرفوعا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل..رواه أحمد.

فيه مسائل :

الأولى: تفسير آية الكهف .

الثانية: الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخله شئ لغير الله(٤٧).

بــــاب (٣٨)

قول الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)

النساء من ٦٠ إلى ٦٢.

وقوله :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)

سورة البقرة: ١١

وقوله:

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)

سورة الأعراف: ٥٦

(٤٧) المصدر السابق ص ٩٨

وقوله :

(أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

سورة المائدة: ٥٠

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال التودى: حديث صحيح، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبى: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد ـ ، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة: وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمة ـ أنهم يأخذون الرشوة ـ فاتفقا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكما إليه: فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون) الآية

وقيل: نزلت فى رجلين اختصما فقال أحدهما : نترافع الى النبى صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: الى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا الى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك قال : نعم، فضربه بالسيف فقتله.

فيه مسائل:

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على معرفة الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) الآية.

الثالثة : تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها) الآية.

الرابعة : تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون)(٤٨).

....

....

ونقرأ للشيخ كتبه الأخرى فى العقيدة، فى كشف الشبهات وفى ثلاثة الأصول،فتجد كل مسألة من المسائل مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة.

ولا يتخلى الشيخ عن هذا المنهج الاستدلالى فى كل باب من الأبواب التى تناول فيها العقيدة وتفسير مدلولها أو تناول فيها الشرك بضروبه.

---

(٤٨) المصدر السابق ص ١٠٤، ١٠٥

ثالثا : منهجه فى الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل وإن خالف مذهبه :

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ حنبليا ، ولكنه لا يتعصب لمذهبه، ولا ينتصر له،شأن كثير من أتباع المذاهب الفقهية، إنما يأخذ من مذهب أحمد ما وافق الدليل، ويختار من أراء الفقهاء ما ترجح عنده بدليله ولهذا شواهد كثيرة.

ففى كتاب الطهارة:

باب السواك وسنن الوضوء

السواك بعود لين ينقى الفم لا يتفتت مسنون كل وقت لحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه الشافعى وأحمد وغيرهما.

ويسن السواك فى جميع الأوقات لحديث عائشة ، رواه مسلم.

ويتأكد استحبابه فى ثلاثة مواضع : عند تغير رائحة الفم، وعند النوم،لحديث حذيفة، متفق عليه، وعند إرادة الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم:

«لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه.

ويستحب فى سائر الأوقات ولو لصائم بعد الزوال، قال فى الاختيارات وهو رواية عن أحمد، وقاله مالك وغيره.....(٤٩).

بـــاب التيمم

وهو من خصائص هذه الأمة،لم يجعله الله طهورا لغيرها، وهو أيضا بدل طهارة الماء لكل ما يفعل بها عند العجز عنه.

وله شروط أربعة:

أحدها : العجز عن استعمال الماء ، إما لعدمه،لقوله تعالى:

(٤٩) القسم الثانى ـ الفقه ـ المجلد الثانى ـ مطبوعات أسبوع الشيخ كتاب الطهارة ص ١٥

﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[٥٠].

أو لخوف الضرر من استعماله لمرض أو برد شديد، وجرح،لقوله سبحانه:

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾[٥١]

ولحديث عمرو بن العاص ، رواه أبو داود ، أو خوف العطش على نفسه،حكاه ابن المنذر إجماعا، أو تعذر إلا بثمن كثير يزيد على ثمن المثل، وإن أمكنه استعماله فى بعض بدنه لزمه استعماله ويتيمم للباقى، لحديث أبى هريرة وفيه: فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

الثانى : دخول الوقت،وقال الشيخ تقى الدين: التيمم يرفع الحدث ، وهو مذهب أبى حنيفة ، وهو رواية عن أحمد،وقال فى الفتاوى المصرية: التيمم لوقت كل صلاة حتى يدخل وقت الأخرى أعدل الأقوال.[٥٢]

....

وفى كتاب «آداب المشى الى الصلاة» يذكر الصفة، ويتبعها بالدليل .

باب صلاة الجماعة

أقلها اثنان فى غير جمعة وعيد، وهى واجبة على الأعيان حضرا وسفرا حتى فى خوف، لقوله تعالى:

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [٥٣]

وتفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وتفضل فى المسجد والعتيق أفضل،

---

(٥٠)،(٥١) الاية ٦ من سورة المائدة والاية ٤٣ من سورة النساء.

(٥٢) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣ ـ

(٥٣) الاية ١٠٢ من سورة النساء

وكذلك الأكثر جماعة، وكذلك الأبعد، ولا يؤم فى مسجد قبل إمامه الراتب إلا بإذنه، إلا أن يتأخر فلا يكره ذلك لفعل أبى بكر وعبدالرحمن بن عوف(٥٤).....

وللشيخ رسالة فى أحكام تمنى الموت، استقصى فيها الأحاديث والآثار والأخبار الواردة فى ذلك.

وأعطى الشيخ رحمه الله عناية خاصة لأحاديث الأحكام فى كتاب اشتمل ستمائة وأربعة آلاف من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وعلى كثير من فتاوى التابعين وأقوال الأئمة المجتهدين، رتبها حسب أبواب الفقه، وهذا له دلالته على المنهج الذى ارتضاه لنفسه فى دعم الأحكام الفقهية بأدلتها.

وتلك هى الشواهد التى تحدد منهج المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى اعتماده على الكتاب والسنة، حتى آتت ثمارها الطيبة لخير الإسلام والمسلمين، والله من وراء القصد.

---

(٥٤) ص ٢٥ المصدر السابق.

اعتماد فقه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ

صالح بن عبد الرحمن الأطرم

أستاذ مشارك في كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« مقدمة البحث »

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. وبعد:

أيها الإخوة الحضور - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

معلوم ما اجتمعنا من أجله.. وهو البحث فى جوانب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من اعتمادها على الكتاب والسنة، وصلتها بالسلف الصالح وتأثيرها فى الفرد والمجتمع، ومهما طال بحثنا فما نرانا نقول إلا معاراً ومعاداً من لفظنا مكروراً، لأن دعوة الشيخ رحمه الله على حد قول القائل: الجواب ما ترى لا ما تسمع.. فتأثيرها فى محيطها وخارجه أكثر مما نقوله،وإنما ما كتبته فى اعتماد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ما هو إلا إسهام منى فى هذه المناسبة التى أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من جمع مؤلفاته وطبعها ونشرها وتوزيعها.. نفعنا الله بها.

أيها الإخوة الحضور - إن أهداف دعوة الشيخ سامية، نابعة من أهداف النبوة، وحاجة الإنسان إليها ماسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،لقيامها بالغرض الذى خلق من أجله الإنسان، وهو عبادة الله وحده.

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ».

(الذاريات ٥٦)

وهذه دعوة الرسل من أولهم نوح - عليه السلام - إلى خاتمهم محمد - عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام.

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ».

(المؤمنون ٢٣)

«وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ».
«وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ».
«وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ». (هود ٥٠، ٦١، العنكبوت ٣٦)

وعلى خاتم الأنبياء ينزل تكليف الله له.

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٧)». المدثر

وهذه الآية نزلت تأمره بالعمل بعد الآية الأولى التى نزلت تعلمه،وهو قوله تعالى:

«ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (العلق ١ ـ ٥)

فوضحت الآيتان أن العلم قبل القول والعمل، وأن العلم متبوع بالعمل.

فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقه فى الدين عقيدة وفروعاً، لذا نجدها جماعية وليست جمعية، وعمومية وليست حزبية، أمر بمعروف ونهى عن منكر قولاً وعملاً وجهاداً، وليست إصلاحية فردية، وليست سرية بل علنية، يبين الحلال والحرام من المعاملات، والصحيح والفاسد من العبادات. ينكر ما يخل بالعقيدة والأخلاق والمعاملات، يعرض قوله فى الأصول والفروع مقروناً بالدليل، يلتمس من يشد عضده لنشر هذه الدعوة وتنفيذها وقمع من يقف ضدها ـ حتى قيض الله له من نوَّر الله بصيرته.. أمير الدرعية/ محمد بن سعود... فتعاهدا وشرعا فى التنفيذ عام ١١٥٧ هـ .. هذا يحمل مشعل النور، وهذا يحمل السيف والسنان لمن وقف وعاند فى سبيل نشر هذا الفقه.

أيها الاخوة الحضور ـ إن هذا العمل من الشيخ رحمه الله كان قدوته فى ذلك محمد صلى الله عليه وسلم،حيث يقف على صناديد كفار قريش ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا

الله فإن أطعتموني فهذا ما أُمرت به، وإلا فبيني وبينكم الله». أو كما قال صلى الله عليه وسلم. وقوله لهم هذه المقالة جواباً لهم لما ساوموه على ترك دعوته.

كما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة الشيخ فى التماس من ينصره حيث قال: «اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين».

وهو يعنى عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام (أبو جهل).. فاستجاب الله دعوته بإسلام عمر بن الخطاب،فكان منه النصر والعزة قولاً وفعلاً،وأصبح غصة فى حلوق أعداء الله وأعداء الرسول عليه الصلاة والسلام.

فمن هذا المنطلق تثبت دعوة الداعى وينتشر فقهه،ويجد له مكانه فى القلوب حيث هدفه وغايته هداية الناس إلى معرفة خالقهم ورازقهم وحقه عليهم. ومعلوم أن مثل هذه الدعوة لابد وأن تجد فى طريقها الكثير من العقبات ابتلاء وامتحاناً لأصحابها ودعاتها.. أيصبرون ويمضون، أم يجزعون فيقفون.

«الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾». (العنكبوت)

أيها الاخوة ... بعد هذه المقدمة السريعة أستعرض معكم نقاط بحثى فى اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة، ثم قراءة مقاطع منه كالمقدمة... ومقدمة بعض الأبواب.... وإن سنحت الفرصة لأستعرض معكم الكثير،فهذه رغبتى على أن أحظى بملاحظة أستنير بها من حضراتكم.

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

وصلى الله وسلم على من أنزل عليه هذا الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى

النور على يده، وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه المستضيئين بنور كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وعلى كل من حذا حذوهم إلى أن تقوم الساعة.

وبعـــــد ...

فإن الله منذ خلق البشرية وحكمته قاضية بالصراع بين الحق والباطل...، فالباطل له إبليس وجنوده من الجن والإنس، حيث أمر بالسجود لآدم فأبى استكباراً وعناداً، فحكم عليه بالطرد والإبعاد من رحمة الله...

قال تعالى:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾»(١).

وطلب إبليس الإنظار من ربه إلى يوم القيامة فأعطى مطلبه، وهو يريد بذلك تحقيق مأربه بأن يضل بنى آدم ويجعلهم من أتباعه حيث عرف أن النار مثواه فى الدار الآخرة.

والنصوص الواردة فى القرآن الكريم والحديث الشريف فى هذا المعنى كثيرة ومتعددة، ولكن من لطف الله ورحمته بعباده أن هذا العدو المصارع للحق لم يستطع الحكم الكامل بعدم الشكر على بنى آدم، بل على أكثرهم.

قال تعالى حكاية عن إبليس:

« قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾»(٢)

ولم يذكر الجهة الفوقية لآن الذى يأتى من الفوق هو النور، والقابلون له هم الشاكرون الذين لا سبيل للشيطان عليهم، وذكره سائر الجهات دليل على أن الشر سفلى.

---

(١) البقرة آية ٣٤ .

(٢) الأعراف ١٦ ـ ١٧ .

وإذا نزل النور من الفوق بدد ظلام الشر وفرقه،وأزهق الباطل، فلم يكن للشيطان على ذلكم الشاكر الذى تلقى النور من ربه عن طريق نبيه سلطان.

«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ»(٣).

«إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ»(٤).

ومن هنا يتضح وجود الحق وثبوته ومصارعة الباطل له، ولكن متى ثبت أهل الحق وعرفوه حق المعرفة دفع الباطل مهما كثر أعوانه وأنصاره.

«إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا»(٥).

«وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ»(٦).

فالحق ثابت مادامت البشرية على وجه المعمورة، وإن.. ضعف حينا قوى أحيانا، وإن خفى فى مكان ظهر فى مكان آخر ـ تلك هى :

«سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ»(٧).

ومتى فقد الحق وأهله قامت الساعة وانتهت الدنيا لإخبار الصادق المصدوق:

---

(٣) الحجر آية ٤٢

(٤) النحل آية (٩٩ ـ ١٠٠)

(٥) الإسراء آية ٨١

(٦) المائدة آية ٥٦

(٧) سورة غافر آية ٨٥ .

«بأنها لا تقوم وعلى وجه الأرض مؤمن، بل على شرار الناس»[٨].

والحديث: لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله، وفى رواية (حتى تقوم الساعة)[٩].

ثم إن الله جل وعلا أثبت هذا الحق بتتابع رسله ووحيه عليهم:

«ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ»[١٠].

ثم ختم هؤلاء الرسل بأشرفهم وإمامهم وسيد البشرية أجمع محمد صلى الله عليه وسلم،فشملت رسالته الثقلين من عرب وعجم، وعمت أرجاء المعمورة، ولم يعد فى الدنيا كلها مكان إلا ووصلته هذه الدعوة الربانية المحمدية،وخاصة فى زمننا الحديث بعد أن عمت أجهزة الإعلام جميع المناطق فى العالم،وأنزل على هذا النبى الكريم كتابا صار إعجاز الفصحاء العرب والعجم، والجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو سورة منه، بل ولا آية. وجعله منهجاً خالداً للناس أجمعين.

والأدلة على إعجاز القرآن وتخليده وشموله لقضايا الحياة فى شتى مجالاتها، وأنواع العقائد والعبادات الصحيح منها والفاسد،واضحة جداً وكثيرة لا تحصى.

ثم إن الله جعل رسالة كل نبى إلى قومه خاصة لعلم الله ببعثه خاتم الرسالات، وإنزاله الكتاب المهيمن على جميع الكتب والرسالات السابقة.

«وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ»[١١].

(٨) أخرجه مسلم راجع جامع الأصول جـ ١٠ ص ٤٠١

(٩) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٥٢٣/٣ فى كتاب الامارة،وأخرجه البخارى بمعناه ١٦٤/١

(١٠) المؤمنون آية ٤٤ .

(١١) المائدة آية ٤٨ .

ولعلم الله بنهاية الرسل وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام،أيقظ الله من أمته من حفظ القرآن منه، وتلقى سنته، وعلى رأس هؤلاء صحابته العدول ـ رضى الله عنهم وأرضاهم-.

وهكذا كل من أراد الله هدايته شرح الله صدره للإسلام،فتعلم علومه وعلمها وفهمها، لذا جاء فى الحديث: (أن العلماء ورثة الأنبياء)[١٢].

والحديث الآخر (من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين)[١٣]، والحديث الآخر (رب مبلغ أوعى من سامع)[١٤]، ومصداق هذه الأحاديث ما دلت على معانى هذه الآيات.

«أولا»

«شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ »[١٥].

فدلت هذه الآية على فضل العلماء من أمه محمد وأنهم الوارثون لسنته، والمتفقهون فى دينه،إذ جعلهم الله فى صف ملائكته وجعلهم أهلا لشهادة ما شهدت به،ولولا ما فى صدورهم من العلم بالله وخشيته لما نزلوا هذه المنزلة.

«إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ »[١٦].

ولما أوتوه من النور الذى ورثوه عن نبيهم محمد وعدهم الله برفع الدرجات.

«يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ»[١٧].

---

(١٢) مختصر سنن أبى داود جـ ٥ ص ٢٤٣. وفى السنن ٣١٧/٣ كتاب العلم،والترمذى جـ ٥ ص ٤٨ ـ ٤٩ فى كتاب العلم.

(١٣) فتح البارى جـ ١ ص ١٤١ . ومسلم ١٥٢٤/٣ فى كتاب الإمارة .

(١٤) أخرجه البخارى جـ٣/٥٧٤ كتاب الحج.

(١٥) آل عمران آية ١٨ .

(١٦) فاطر آية ٢٨ .

(١٧) المجادلة آية ١١ .

وفى الأنفال يذكر الله صفات المؤمنين بقوله تعالى:

«إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (١٨).

وفى سورة الزمر ينوه الله جل شأنه عن فضل المتعلمين على الجاهلين ويبين صفة المتذكرين.

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ» (١٩).

وفى سورة الأنعام يبين الله تعالى أن العلم بالقرآن والسنة هو النور وهو الحياة الحقيقية والأبدية،وأن الجهل بهما هو الموت والظلمة.

«أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (٢٠).

ويصور الشاعر الجهل ومعناه وأنه الموت العاجل.

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله   وأجسامهم قبل القبور قبـــور

وهذا الموضوع واسع وأدلته أكثر من أن تحصر، وإنما المقصود الإشارة بأن شرع محمد صلى الله عليه وسلم خالد لوجود ورثته وبيان مكانتهم ومنزلتهم عند الله، وأنهم إذا قاموا على طريقة نبيهم أثروا فى الناس وغيروا المجتمعات من السئ إلى الحسن، وأظهروا الحق وأزهقوا الباطل.

---

(١٨) الأنفال آية ٢-٤ .

(١٩) الزمر آية ٩ .

(٢٠) الأنعام آية ١٢٢ .

ومن ورثة محمد صلى الله عليه وسلم فى القرن الثانى عشر الهجرى محمد بن عبدالوهاب.. الذى دعا إلى شرع الله عقيدة وقولا وعملاً، وجهاداً لمن وقف ضد هذه الدعوة قامعاً لبدعته، مبطلاً لخرافته بالحجة والبرهان، وهيء له العضد والساعد ليحمل السيف والسنان محمد بن سعود أمير الدرعية الذى شد أزر محمد بن عبدالوهاب على الحق والبر والتقوى، فهذا ينشر النور والضياء، وهذا يزيل الحجب والغطاء والعراقيل التى توضع دون هذه الخطى بدليل من القرآن وحديث من سنة المصطفى، ومن أجاب داعى الله وهذا النداء فله الجنات نزلاً ومأوى والسعادة فى هذه الدنيا والنصر والتأييد من رب الورى.

وحان الشروع فيما قصدناه من اعتماد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الأدلة والهدى من كتاب ربنا وسنة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأقوال صحابته أئمة الهدى، وما فهمه أولى النهى ممن فتح الله عليهم المحبة والرغبة لفهم شرعه،فصاروا سبباً لحفظه الذى تكفل الله به:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ»(٢١).

فحِفظُ الله لكتابه وسنة نبيه هو على أيدى ورثة رسوله.. لذا يكون نزع العلم بموت أهله لا بانتزاعه من صدور الرجال، وإذا انتزع العلم تصدى للمسئولية الجهلة،فأفتوا بغير علم، ونفذوا بغير نور، وحينئذ تنقلب السنة بدعة والبدعة سنة.

وفى الحديث: «فإذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٢٢).

وهذا البحث يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب:

الباب الأول: نبذة عن حياة الشيخ وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ وتتلخص فى النقاط التالية: نسبه/ ولادته/ بيئته/ نشأته/ طلبه للعلم/ بداية دعوته/ رحلاته فى طلب العلم/ مكان بدء نشر دعوته/ وفاته.

---

(٢١) سورة الحجر آية ٩.

(٢٢) عن أبى هريرة فى صحيح البخارى جـ ١ ص ١٤٢/١٤١ فى كتاب العلم،واحمد فى مسنده ٣٦١/٢.

الفصل الثانى : زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
الفصل الثالث : الحالة الاجتماعية فى زمن الشيخ.
الفصل الرابع : سبب قيام دعوة الشيخ.

الباب الثانى : ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة. وفيه مقدمة وأحد عشر فصلاً.

الفصل الأول : القواعد الأربع التى قررها الشيخ لدوران الدين عليها.
الفصل الثانى : فى كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم.
الفصل الثالث : فى كلام الشيخ على قولهم (اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة).
الفصل الرابع : فى كلام الشيخ على من قال: (لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه) ودليله على بطلان هذا القول.
الفصل الخامس : فى كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء وبيان مبدءه وموقفه منها.
الفصل السادس : فى كلام الشيخ لابن معمّر لما هدره.
الفصل السابع : فى كلام الشيخ فى المدينة لما سئل عن الأصوات عند قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ
الفصل الثامن : ما قاله أحفاده عن اعتماده على الكتاب والسنة.
الفصل التاسع : ما قاله غير أحفاده وأبنائه مما يدل على اعتماده فى دعوته على الكتاب والسنة.
الفصل العاشر : فى ثناء العلماء على الشيخ ووجهة نظرى فى إيراد هذا الثناء.
الفصل الحادى عشر : فى الأصول التى دعا إليها الشيخ، وهى أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة.

الباب الثالث : الاستدلال على اعتماده فى مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة.

وفى هذا الباب خمسة عشر فصلاً هي:

الفصل الأول : فى ثلاث مسائل يجب تعلمها.
الفصل الثانى : فى المسألة التى بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك.
الفصل الثالث : فى مراتب الدين.
الفصل الرابع : فى اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة.
الفصل الخامس : القواعد الأربع التى قرر بها توحيد العبادة.
الفصل السادس : ما ورد فى مؤلفه كتاب (فضل الإسلام) على اعتماده على الكتاب والسنة.
الفصل السابع : فيما ألفه فى أصول الايمان .
الفصل الثامن : فى وجوب اعتقاد حق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم واستدلاله على ذلك.
الفصل التاسع : فى لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك.
الفصل العاشر : فى وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك.
الفصل الحادى عشر : من كتابه «مسائل الجاهلية».
الفصل الثانى عشر : ست موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة.
الفصل الثالث عشر : من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب.
الفصل الرابع عشر : فى معنى الطاغوت.
الفصل الخامس عشر : فى كتابه (الكبائر).

الباب الرابع : فى مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد،وفيه تمهيد وعشرون فصلاً:

الفصل الأول : فى مؤلفات الشيخ فى الحديث.
الفصل الثانى : فى فضائل الأعمال.
الفصل الثالث : فى صلاة التطوع.
الفصل الرابع : فى فقه الشيخ فى قراءة القرآن.
الفصل الخامس : فى الزكاة.
الفصل السادس : فى بر الوالدين وصلة الأرحام.
الفصل السابع : فى الصيام.
الفصل الثامن : فى المناسك (أى فى الحج والعمرة).
الفصل التاسع : فى الحج والعمرة.
الفصل العاشر : فى الهدى والأضاحى والعقيقة.
الفصل الحادى عشر : فى الجهاد.
الفصل الثانى عشر : فى البيوع.
الفصل الثالث عشر : فى مؤلفات الشيخ مما عدا الحديث.
الفصل الرابع عشر : فى رسائل الشيخ الشخصية.
الفصل الخامس عشر : فى كتابة الشيخ بالسيرة النبوية.
الفصل السادس عشر : فى التفسير.
الفصل السابع عشر : فى كتابه زاد المعاد.
الفصل الثامن عشر : فى مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
الفصل التاسع عشر : فى مؤلفاته المبتدأة.
الفصل العشرون : فى استنباطات الشيخ وتلخيصاته.
الخاتمـــــة .

الباب الأول

نبذة عن حياة الشيخ

الفصل الأول

ترجمة موجزة وتتلخص فى النقاط التالية:

نسبه، ولادته، بيئته، نشأته، طلبه للعلم، بداية دعوته، رحلاته فى طلب العلم، مكان بدء نشر دعوته، وفاته.

أولاً : هو شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن محمد بن مشرف، ثم إن آل مشرف بيت مشتهر،فمنهم من ينسب الشيخ له، ومنهم من نسبه إلى جد بعده هم الوهبة، ومنهم من ينسبه إلى التميمى، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام نسباً متسلسلاً إلى عدنان فى كتابه «علماء نجد»،وقد أكد ذلك حسب ما اطلع عليه من كتب التراجم والأنساب.

ويقرب من الحقيقة لوجود الصهر بين البسام وجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ أن الشيخ عبدالوهاب أخواله البسام، وهذا المبحث فى المجلد الأول من علماء نجد (٢٥).

ثانياً : ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١١٥هـ.

ثالثاً : إنه من بيت علم كبير، والده وأجداده وأعمامه، ونهج نهجه أحفاده.

رابعاً : نشأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب مولعاً بحب العلم والمعرفة والاطلاع على العلوم الشرعية.

خامساً : درس على والده عبدالوهاب الفقيه المتنقل من روضة سدير إلى العيينة ثم إلى حريملاء، وتوفى عبدالوهاب فيها.

سادساً : بدأ محمد بن عبدالوهاب فى حدود عام ١١٤٠ هـ ينشر آثار علمه وثمرات غرس والده من بيان الصحيح والفاسد من عبادات ومعاملات مجتمعه.

سابعا : أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب امتد باعه إلى بعض العلماء المعاصرين فى المدينة المنورة والبصرة، فرحل إليهم واستفاد من علومهم، ونهل من معينهم.

ثامناً : بدأ بنشر دعوته فى حريملاء ـ البلدة التى توفى فيها والده ـ ولكن لكثرة صدأ القلوب فيها لم تكن عندها قابلية لدعوته،فآذوه أميراً ومأمورين.

فانتقل إلى العيينة أملا منه وغلبة ظن بأن أميرها عثمان بن معمر سيساعده. لعلمه أن الحق لابد له من سلطان وسيف وسنان يقمع به كل مارد وشيطان، لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن كما قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفهم ذلك محمد بن عبدالوهاب من سيرة سيد ولد عدنان،إذ أقام بمكة يدعو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب لدعوته إلا أفراد من الضعفاء والمساكين، وامتنع أهل الأموال والمتغطرسون.

ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة فقوى الإسلام لكثرة المسلمين، فشرع فى صد المعاندين وجهاد الكافرين لما أبوا عن إجابة الداعين إلى رب العالمين، فأذل الله الكفر وأهله وأزهق الباطل وخذله، وبهذا يقول الشاعر:

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب   وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه   له اسلموا واستسلموا وأنابوا

والقرآن مملوء بالنصوص الآمرة بقتال الكفرة والمشركين ،كقوله تعالى:

« قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ »[٢٣].

(٢٣) التوبة أية (٢٩) .

وقولـــه:

« فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »(٢٤).

والمقصود أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى ذهابه إلى العيينة يلتمس نصرة لدعوته وعضداً يشد أزره ذا سلطان، فوعده عثمان بن معمر،ولكنـه خذلـه بتهديد من ابن عريعر أمير الأحساء الذى هو أعلى منه قوة، ثم خرج محمد بن عبدالوهاب مختفياً إلى الدرعية،فشرع يلقى فيها الدروس، فآوى إلى مجلسه أميرها محمد بن سعود.فأنس به وشرح الله صدره لقبول نشر دعوته وحمايتها، وبدأ فى ذلك عام ١١٥٨هـ.

واستمر على ذلك حتى محا الله على يديهما كل بدعة وخرافة، وكل شرك وضلال فى الجزيرة العربية، واستمر أحفادهما على هذا الوعد والعهد حتى وقتنا الحاضر.

نسأل الله لنا ولهم الثبات فى الحياة والمات.

تاسعاً : توفى الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٢٠٦هـ فى بلـدة الـدرعية بعـد أن استقرت وانتشرت دعوته.

وما أحسن ما أوجزه ابن بدران فى كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» صفحتى ٢٢٩، ٢٣٠،فلقد وصف الإمام محمد بن عبدالوهاب وصفاً موجزاً مفيداً متضمناً لبدء دعوته وفقهه ومصدر علمه.. وهذا مما جعلنى أستحسن نقله، وقد كتبه ابن بدران بمناسبة الكلام على مختصر الإنصاف والشرح الكبير حينما تكلم عن كتب الحنابلة.. قال ابن بدران:

« مختصر الشرح الكبير والإنصاف »

«تأليف العالم الأثرى والإمام الكبير محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على، يتصل نسبه بعبد مناة بن تميم التميمى، ولد سنة خمس عشرة ومائة وألف،وقد رحل إلى البصرة

(٢٤) التوبة آية (٥).

والحجاز لطلب العلم،وأخذ عن الشيخ على أفندى الداغستانى وعن المحدث الشيخ إسماعيل العجلونى وغيرهما من العلماء، وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على إصطلاح أهل الحديث من المتأخرين،ولما امتلأ وِطابُه من الآثار وعلم السنة وبرع فى مذهب أحمد أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله الجاهلون فى هذا الدين الحنيفى والشريعة السمحاء،وأعانه قوم أخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التى هى إقامة التوحيد الخالص، والدعاية إليه،وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده،فحبا إلى معارضته أقوام ألفوا الجمود على ما كان عليه الآباء وتدرعوا الكسل على طلب الحق،وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر.وجنود الحق تكافحهم فلا تبقى منهم ولا تزر وما أحقهم بقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها :: فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف هجرية.

ولقد شهدت الأقطار بعلمية محمد بن عبدالوهاب،وتناقلها المسلمون على مر السنين، وحتى كتاب عصرنا تحدثوا عنه وعن فقهه وعزمه فى كتاباتهم سواء أرادوا الكلام عن مواطن حركات الإصلاح أو المصلحين.. ومنها ما قاله الدكتور محمد عمارة فى بحثه الذى نشر بجريدة «الخليج» عدد ١١١٠ يوم ١٤٠٢/٦/٢٨هـ الموافق ١٩٨٢/٤/٢٢م.. حيث قال:

«فى بيئة بدوية بسيطة ، هى «نجد» بشبه الجزيرة العربية، ولد ونشأ محمد بن عبدالوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ).. وكانت السيادة الاسمية والرسمية على موطنه لخلفاء آل عثمان.

وكان ابن عبدالوهاب سليل أسرة من الفقهاء ، أخذ عنهم علوم الدين، كما درس على علماء الحرمين، مكة، والمدينة، وظهر نزوعه منذ فجر حياته إلى النهج السلفى الرافض لما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبدالوهاب، فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله، بل ويتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة فى الملمات.. كما وجد العبادات قد أصابتها البدع بالنقص والزيادة.. فشابت الشوائب كلا من العقائد والعبادات.

بدأ ابن عبدالوهاب يدعو إلى إسلام السلف، ويبشر بفكر ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم،ويركز على إصلاح العقائد، وتصحيح العبادات.. فحكم بالشرك الظاهر والجلى على المتوسلين إلى الله بالأولياء والمشاهد والرموز، بل رأى شركهم أعظم من شرك الجاهلية الأولى «فلقد كان ابن عبدالوهاب أكثر من «شيخ» وأعظم من «فقيه» ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين.. لقد أراد أن تكون لدعوته «دولة» تضمن لها الانتشار والاستمرار.. فالله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن».

وهكذا عاشت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى عقول الناس وأفئدتهم وعبرت به كلماتهم وكتاباتهم جيلاً بعد جيل،لاعتماده على شريعة الدين والدنيا فقها فى العقيدة وفى شتى مجالات الحياة.

الفصل الثانى

زمن الشيخ من ١١١٥ هـ ـ ١٢٠٦ هـ

ويشمل النقاط التالية:

أمضى الشيخ رحمه الله تعالى عمره كله فيما يلى:

أولا : فى التعليم، ثم نشر العلم.

ثانياً : حفظ القرآن لعشر سنين، ثم بدأ بعلومه من تفسير وفقه على والده، ومن هنا يتبين لنا أنه شعلة ضياء من صغره، وبعد أن تكامل بلوغه رغب فى الاطلاع على العلوم الشرعية متنقلاً بين المدينة والبصرة.

ثالثاً : بعد أن نهل من العلم واستبانت له الحقيقة الموصلة إلى الله،لم يهدأ له بال إلا أن يُعلِّـم ما تعلمه من شرع الله، فبدأ شعاع نوره بالبصرة يبين ما عليه الناس من خطأ فى العقيدة والفروع، ولكن لاستحكام الجهل فيهم ورسوخ البدع حدث منهم رد فعل لدعوته بالبصرة،فضيقوا عليه حتى خرج منها عائداً إلى بلده.

رابعاً : استمر يدرس على والده وعلى المشايخ الموجودين بالعيينة وحريملاء، ثم انتقل مع والده إلى حريملاء بعد أن ضاقت بهم العيينة ذرعاً،واستمر معلنا للحق، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حتى توفى والده فى حريملاء سنة ١١٥٣ هـ.

خامساً : أعلن دعوته فى حريملاء وتعليمه التوحيد،ولكنهم لم يتقبلوا منه وضايقوه،فرجع إلى العيينة، واستقبله أميرها عثمان بن معمر وساعده على هدم القبة التى بنيت على قبر زيد بن الخطاب، ورجم المرأة الزانية، ولفشُـوِّ الجهل استنكروا ذلك حتى وشى بعثمان بن معمر عند ابن عريعر فاضطـر إلى إبعـاد الشيخ ابـن عبدالوهاب عن بلده.

سادسا : بعد خروج الشيخ من العيينة اختار الله له الدرعية لتكون مقراً لدعوته.

فنزل على أفراد منها كانوا قد اتصلوا به فى العيينة، ثم بلغ خبره محمد بن سعود أمير الدرعية فبايعه على الجهاد والنصرة، فاستمر زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى نشر دين الغفور التواب.

والمقصود أن زمن حياة الشيخ كلها تعليم وتعلم، وهداية إلى الصراط المستقيم.

الفصل الثالث

الحالة الاجتماعية فى زمن الشيخ

وتتلخص فيما يأتى:

أولاً : تردى السلطة الإسلامية بعد القرن الثامن الهجرى علماً وعملاً وتنفيذاً وخاصة فى قلب الجزيرة.

ثانياً : بسبب هذا التردى لا يلوى أحد على أحد، ولا يقبل أحد من أحد، بل كل ركب رأسه فتحكم فيهم الجهل، وتشتتت بهم السبل، فكانوا فى أمر مريج - أى مضطرب مختلف - لذا تفشت فيهم كل رذيلة وكل مرض ووباء،نمثل بشئ منها: -

١ - خلو المساجد من المصلين إلا ما شاء الله.

٢ - انتشار الخرافات والصوفية الزائفة.

٣ - ادعاء الجهلاء ما ليس لهم، وما ليس لهم به علم.

٤ - حمل التمائم فى رقابهم والتى لا تغنى من الله شيئاً.

٥ - ترغيب فى الحج إلى قبور الأولياء ورجاء الشفاعة منهم.

وهذه الأمور تنافى ما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم.

٦ - تغييب فضائل القرآن عن الناس مما جعلهم لا يعرفون عنها شيئاً.

٧ - لهذا انتهكوا حرماته - أى القرآن - فصاروا إلى ما يلى:

أ - يشربون المسكرات ويتناولون الأفيون، فانتشرت الرذائل.

ب - هتك ستر الحرمات.

جـ - أن ذلك كله بلا خشية ولا استحياء، ومن لم يستح فليصنع ما يشاء.

٨ - أن مكة والمدينة فى زمن الشيخ دب إليهما ما فى المجتمعات الأخرى من الوباء والأمراض الشهوانية والشبهية.

٩ ـ أن هذه الحالة السيئة فى مجتمع نجد وغيره من العالم الإسلامى ليس راجعاً إلى عدم وجود علماء؛ بل هناك الفقهاء ولكنهم سائرون فى الفروع أكثر من البحث فى العقائد، وذلك والله أعلم أن الخطأ فى العقائد بدع ثابتة وراسخة وخرافة طاغية على الفكر والأوهام.

ومتى كانت البدعة هكذا فإن اقتلاعها يصعب ويعسر لتأصلها فى القلوب بمجرد كلام العلماء،فتحتاج إلى معاول تهدمها وأيدى سلطة تقلعها. إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن، والعلماء حينئذٍ لم يوفقوا إلى حاكم إدارى ينفذ ما يقولون ويحكم ما يبرمون.

الفصل الرابع

سبب قيام دعوة الشيخ

ولما تقدم على قلته تصورنا ظلمة «نجد» الاعتقادية والعملية، وإن وجد أفراد متمسكون كالأفراد الذين وجدهم الرسول متشبثين بملة إبراهيم، ولكن الحكم للسلطة والأغلبية، وأيضا بتصور هذه الحالة السيئة للعالم الإسلامى ولعالم الجزيرة ونجد خاصة التى يسكنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يتضح لنا السبب الباعث لقيام الشيخ بهذه الدعوة إلى التوحيد وصرف الناس إلى محبة الله وحده، وتعريفهم بعظم ما أمر الله به ليمتثلوه، وتحذيرهم عن الوقوع فى أعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك.

وهذه سجية كل عالم بالله وبكتابه وبشرع نبيه.

فأنار الله بصيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلم ير السكوت على هذه المنكرات التى هى معصية لله، فدفعته عقيدته وعلمه لإنقاذ هؤلاء الفقراء من اتباع الشيطان والهوى وردهم إلى الصواب وسلوكهم سلوك المصطفى.

والخلاصة أن الباعث إلى قيام الشيخ بهذه الدعوة ما يأتى:-

أولاً : امتثالاً لأمر ربه ولرسوله ولأتباعه:

«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(٢٥).

ثانياً : تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وعظمته على حد قوله تعالى:

« وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »(٢٦).

---

(٢٥) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢٦) سورة يوسف آية ١٠٨ .

ثالثاً : لينجو من الخسران المحكوم به على الإنسان بقوله تعالى:

« وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ »(٢٧)

رابعاً : ليحصل على فضل الدعوة كما قال تعالى:

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ »(٢٨)

خامساً : امتثالاً لقول رسوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢٩).

سادسا : رحمة بهؤلاء القوم من أن يقذف بهم الشيطان معه فى النيران،لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(٣٠).

سابعاً : رغبة فى قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(٣١).

ثامناً : طلباً للخير لقول الرسول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٣٢).

تاسعاً : امتثالاً لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «بلغوا عنى ولو آية»(٣٣).

عاشراً : ليحظى بدعوة عباد الرحمن.

« وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »(٣٤).

---

(٢٧) سورة العصر .

(٢٨) فصلت آية ٣٣ .

(٢٩) رواه البخارى ٥٦/١ ـ ٥٧ فى كتاب الايمان ومسلم ٦٧/١ .

(٣٠) رواه الترمذى ٣٢٤/٤ فى كتاب البر والصلة،وابو داود ٢٨٥/٤ .

(٣١) البخارى ١١١/٦

(٣٢) البخارى ٧٤/٩

(٣٣) البخارى ٤٩٤/٦ فى كتاب الأنبياء .

(٣٤) الفرقان ٧٤ .

الحادى عشر: تنفيذاً لأمر الله:

«ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ »(٣٥).

(٣٥) النحل ١٢٥ .

الباب الثاني

ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة

«المقدمـــة»

من المعلوم أن كل داعية سيدلي بأدلة إما أن تكون صحيحة فمآلها إلى الثبـوت والاستمرار، وإما أن تكون باطلة فيكون مآلها للرد.

إن قبول الناس المنصفين وردهم للدعوة يرجع إلى صدق الداعية وكذبه، وليس كل من يدعي وصلاً يقر له بالوصول، ولا كل من زعم أمراً ثبت له المزعوم.

وكـــل يـــدعـــي وصـــلاً بليـــلى   وليـــلى لا تقـــر لهـــم بـــذاك

قال الله تعالى:

«قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ»(٣٦).

فاليهود زعموا ولاية الله ولكن ليس لهذا الزعم ما يثبته.

«زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ»(٣٧).

---

(٣٦) سورة الجمعة آية (٦).

(٣٧) التغابن آية (٧).

فالكفار زعموا عدم البعث، وحيث أنهم لم يبنوا زعمهم على أسس من الحقيقة،أبطله الله وأثبت ضده وما ينافيه.

وبهذه المقدمة البسيطة يتضح لنا صدق القول بأن فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب معتمد على الكتاب والسنة.

فليس ما قيل في ذلك مجرد زعم أو توهم،بل ما قاله عن نفسه من اعتماد على الأدلة وما قاله غيره،واضح جلي وثابت في مراسلاته وكتاباته ومؤلفاته المنتشرة بين العالم، لا يستطيع أحد إنكارها إلا من أغمض عينيه عن الحقيقة،وتغلب عليه الهوى والتقليد الأعمى والعصبية الممقوتة.

وما انطلت عليه شبه المشبهين من الخرافيين بأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يحب الأنبياء والصالحين، غرس هذه الشبهه الشيطان بأدمغة أوليائه،وأغفلهم عن مراد الداعية ، وهو أنه ينهى عن زيارة القبور البدعية، وإعطاء الأولياء الصالحين فوق حقهم وتشريكهم بحق الله.

وما ثبت من زيارة القبور الشرعية، فمحمد بن عبدالوهاب يأمر بها ولم ينه عنها.

ويعطي الأنبياء والأولياء حقهم من محبتهم التي تجعل من يحبهم يتأسى بأقوالهم وأفعالهم حتى يكون ولياً بما كانوا به أولياء، وصالحاً بما كانوا به صلحاء.

قال تعالى:

«أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ »(٣٨).

فلم يثبت الولاية إلا للمؤمنين المتقين، ولم يقل إن الولاية لمن عظم قبور الصالحين وتبرك بهم وجعل لهم النذور والذبائح. وهذه الحقيقة ثابتة في مؤلفات الشيخ المجدد للقرن الثاني عشر الهجري،والذي مازال إصلاحه مستمراً وتأليفه فيه مستقرا.

فهو بين أيدينا منظوراً ومقروء ، فنسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

فكانت عناية الشيخ بالعقيدة وتصحيحها وتعديل مفاهيم الناس،ولكنه مع ذلك لم

---

(٣٨) سورة يونس آية ٦٢ ، ٦٣ .

يغفل الفروع بل أدى لها جملة من الاهتمام، يتضح ذلك فيما قرره وأنه من أبعد الناس عن التعصب والتقليد.

يدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،يتوخى الدليل ويرى الاقتداء بالأئمة بما لم يقم الدليل على خلاف من اجتهاداتهم.

ومؤلفاته حافلة بذلك سواء ما ألفه ابتداء في التوحيد والفروع، أو ما اختصره من كتب الأئمة والمحققين تقريباً منه إلى الأذهان القاصرة، ونظراً منه بوصل طلابه بالأئمة السابقين ونفعهم العاجل، لأنه ليس كل طالب علم يقوى على قراءة الكتب المطولة،فإذا قرأ المنصف والمحب للفائدة والراغب في الإطلاع والذب عن أئمة الدعوة مؤلفاته التى قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،تجلى للقارىء اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

وقد ألزم نفسه رحمه الله أن يسير في دعوته على الكتاب والسنة بالقول والفعل،وأن يأخذ بما قرره علماء المسلمين الثقاة في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع،وحينما يختلفون حسب مفاهيمهم من النصوص فإنه يأخذ بما ترجح عنده.

وأما التزامه بالفعل فسيظهر جلياً للقارىء من مؤلفاته.

وأما التزامه بالقول فمنه ما يأتي .. وهو الفصل الأول من هذا الباب بما قرره عن نفسه وقرره أحفاده وطلابه من اعتمادهم على الكتاب والسنة.

الفصل الأول

القواعد الأربع التى قررها الشيخ لدوران الدين عليها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التى تدور الأحكام عليها،وهى من أعظم ما أنعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً، وأكمل وأكثر علماً من جميع الأديان، ومن ذلك جمعه لهم فى لفظ قليل، وهذا ما ينبغى التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع،وهو أن تعلم قول النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما خصه الله به على الرسل يريد منا أن نعرف منة الله علينا ونشكرها. قال: لما ذكر الخصائص «وأعطيت جوامع الكلم»[٣٩].. قال إمام الحجاز محمد بن شهاب الزهدى معناه: أن يجمع الله له المسائل الكثيرة فى الألفاظ القليلة.

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم،لقوله تعالى:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[٤٠].

القاعدة الثانية: أن كل شئ سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه،لقوله تعالى:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟

(٣٩) رواه البخارى ٣٩٠/١٢ فى كتاب التعبير رقم الحديث ٦٩٩٨،ورواه مسلم ٣٧١/١ كتاب المساجد.
(٤٠) الأعراف آية ٣٣ .

«... عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ»(41).

قال النبى صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»(42).

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى:

«فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ»(43).

والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه،وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين فى العلم فى قولهم:

«ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا»(44).

القاعدة الرابعة: أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر أن "الحلال بين وأن الحرام بين وبينهما أمور متشابهات"(45)، فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

فهذه أربع قواعد ثلاث ذكرها الله فى كتابه والرابعة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم(46) وهى واضحة فى بيان مسلك الشيخ نحو الكتاب والسنة، فهل يقوى أحد

---

(41) سورة المائدة آية 101 .

(42) أخرجه الدارقطنى 4/297-298. قال النووى فى الأربعين : حديث حسن.

(43) آل عمران آية 7 .

(44) آل عمران آية (7) .

(45) رواه البخارى فى كتاب الايمان 1/126 حديث رقم 52 .

(46) الدرر السنية جـ 4 صفحة 1

بعد هذا أن يرميه بالتعصب والهوى. ثم إن هذه القواعد شاملة لجميع العلوم الشرعية كما لفت رحمه الله نظر القارئ لها بقوله: «اعلم رحمك الله أن هذه الكلمات الأربع مع اختصارها يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم فى علم التفسير، أو فى علم الأصول، أو فى علم أعمال القلوب ـ الذى يسمى علم السلوك ـ ، أو فى علم الحديث، أو فى علم الحلال والحرام، أو الأحكام الذى يسمى الفقه.. أو على علم الوعد والوعيد، أو فى غير ذلك من أنواع علوم الدين»[(٤٧)].

وأنا أُمثل لك مثلاً تعرف به صحة ما قلته، وتحتذى به إن فهمته، وأمثله لك فى فن من فنون الدين وهو علم الفقه ـ وكما قرر إمام الدعوة فى هذه القواعد ما يلزم المتكلم من الاستدلال الصريح، قرر أيضاً أن للشريعة قواعد كلية تستدل بها على الجزئيات، ولا يستغنى طالب العلم عن معرفتها، فالمستدل بقاعدة من الشرع على جزئية فهو كالمستدل بنص صريح فى جزئية ما، لأن الشريعة لم تأت بجزئيات المسائل وتفاصيلها ـ لذا صارت شاملة وكاملة إلى يوم القيامة، وكلما حدثت واقعة جديدة أدخلها من نَـوَّرَ الله بصيرته تحت قواعد الشريعة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومن أعظم ما من الله به عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أعطاه جوامع الكلم)، فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله بالحكمة الجامعة.

ومن فهم هذه المسائل فهما جيداً فهم قول الله تعالى:

«ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»[(٤٨)].

وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكاملِ لا يحتاج إلى زيادة ، فَعُلِم منه بطلان كل مُحْدَث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا به فى قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، وإياكم

---

(٤٧) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١ ـ ٢ .

(٤٨) سورة المائدة آية (٣) .

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار)(٤٩).

ونفهم أيضاً معنى قوله تعالى:

«فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ »(٥٠).

فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله ـ أى إلى كتاب الله ـ وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أى إلى سنته. علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه وجد فيه ما يفصل النزاع)(٥١).

وبعد سياق هذه القواعد التى تبين كمال الدين وشموله لكل جزئية،ووجوب الرد إليه،لم تره خالف ما قرره حتى وافته المنية رحمه الله، لاسيما أنه أتبع ما قرره بقوله هنا وفعله فى مؤلفاته.

(٤٩) رواه ابو داود فى كتاب السنة ج ٤/٢٠٠ ـ ٢٠١ حديث رقم ٤٦٠٧،والترمذى فى كتاب العلم حديث رقم ٢٦٧٦ جزء ٥ صفحة ٤٤.

(٥٠) النساء آية ٥٩ .

(٥١) الدرر السنية ج ٤ صفحة ٤ .

الفصل الثانى
فى كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم

قال رحمه الله: «إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب،فنقول فى محل النزاع التراد إلى الله وإلى رسوله لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام الأصحاب ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً»(٥٢)

ثم أجاب عن قول القائل، ما الموقف إذا استدل كل من المختلفين بأدلة صحيحة؟

قال رحمه الله: «وقولك إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل الصواب يصدق بعضه بعضا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ فى الدليل، إما أنه يستدل بحديث لم يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً خاطئاً.

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإذا لم يتبين لك واحتجت إلى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه»(٥٣).

وقال رحمه الله فى جواب من قال: «لا إنكار فى مسائل الاجتهاد» مما يدلنا على محبته للدليل و رغبته فيه، وأنه لا يعد متعصباً بل هو مجتهد فى التماس الدليل وترجيحه حسب ما وضحه ابنه عبدالله فقال:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد منا يدعيها إلا أنه فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب، وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبهما من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم فى كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم» أ.هـ(٥٤).

(٥٢) الدرر السنية جـ ٤ ص ٤ .

(٥٣) الدرر السنية جـ ٤ ص ١٤

(٥٤) الدرر السنية جـ ٤ ص ٨ .

قال: من قال (لا إنكار فى مسائل الاجتهاد، فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة[٥٥]، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فمازال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم.

وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق،وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطأه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشئ لكونه مخالفا لمذهبه أو لعادة الناس.

فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم.

وهذا كله داخل فى قوله تعالى:

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا »[٥٦].

فما أصلحها من قواعد واضحة فى كلام يدل على اعتماد الشيخ واستناده إلى الكتاب والسنة بأمره ونهيه.

---

(٥٥) القاعدة السابقة فى الصفحة (٢٤٩)

(٥٦) سورة الإسراء آية ٣٦ .

الفصـل الثالث

فى كلام الشيخ على قولهم اتفاق العلماء حجه واختلافهم رحمة

ثم تكلم الشيخ عن قول من قال (اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة)[٥٧] ففصل فى الجملة الأولى وبين متى يكون الاتفاق حجة ـ وهو ما إذا صدر عن العلماء كلهم.. وأبطل الجملة الثانية فى قوله (اختلافهم رحمـة) وذكر أن الرحمـة فى الجماعـة، وأن فى الاختلاف العذاب، إلى أن قال الشيخ: فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف والعمل بذلك فيحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا.

لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله.

هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب عليهم، واتخاذهم أربابا من دون الله.

وشن الشيخ الغارة على من قال: العلماء أعلم منا بذلك، حينما يقال له قال الله وقال الرسول ونسب ذلك للضلال)[٥٨].

فهل ترى الشيخ يقرر هذا ثم لا يعتمد على دليل من كتاب وسنة.

---

(٥٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ ـ ٥ .

(٥٨) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ .

«الفصل الرابع»

ثم تكلم الشيخ على الذين يقولون لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه،واستدل على بطلان قولهم بنصوص من القرآن - تدل على عموم قراءته فى كل زمان ومكان وأن فهمه ممكن لكل إنسان،كقوله تعالى:

«وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا »(٥٩).

وقوله تعالى:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ »(٦٠).

وقوله تعالى:

« وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ »(٦١).

فدل هذا الاستدلال من الشيخ على أن الفهم والاستنباط من الكتاب باق إلى يوم القيامة، وأن كل قول مخالف للكتاب والسنة فهو مطروح مضروباً به الحائط قديماً كان أو حديثاً.

وإذا عرف هذا من الشيخ بقوله فقد أتبعه الفعل حيث استدل على دعوته فى تأليفاته من الكتاب والسنة.

(٥٩) سورة طه آية ٩٩ - ١٠٠ .

(٦٠) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٦ .

(٦١) الزخرف آية ٣٦ .

الفصل الخامس

فى كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء

وبيان مبدءه وموقفه منها

واسمع جواب إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورده على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء ،لأن مبدأه الأخذ بالكتاب والسنة شأنه شأن السابقين من الأئمة، والاستعانة بقولهم على فهم الاستدلال والأخذ بقولهم إذا لم يوجد دليل ولم يخالف قاعدة شرعية.

فهاك تفسير عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمره ونهيه ما صُورته، فأجاب مراده: ما شاع وذاع أن الفقه عندهم هو الاشتغال بكتاب فلان وفلان ـ فمراده التحذير من ذلك.

وقال أيضاً: (كذلك غيركم: إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة).

فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة.

وأكثر الاقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك من عرفه)[٦٢].

فدل جواب الشيخ على ما يأتى:

١ ـ عدم التعصب لمذهب معين.

٢ ـ ذمه للمشتغلين بأقوال العلماء دون استناد إلى الدليل.

٣ ـ أنه ليس متعصباً مقلداً جامداً لمذهب أحمد وحده، وإن درس الفقه على ضوء قواعده.

---

(٦٢) الدرر السنية جـ ٤ ص ٦ .

٤ ـ وضح ذلك بالمثل الذى ضربه بما فى الإقناع والمنتهى من مخالفته لمذهب أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل منه هذا أن الفقهاء لهم اجتهادات فى المفاهيم، ثم أيضا رحمه الله ذكر قاعدة للعمل بما فيه خلاف، مما يدل على محبته للإتفاق وعدم الاختلاف ومحبته للدليل والأخذ به بأى طريق كان ولو انقلب الفاضل مفضولا .

ونقل القواعد الآتية عن الشيخ تقى الدين مما يدل على أنه يراها:

«ذكر الشيخ تقى الدين رحمه الله قواعد»:

الأولى: أن النبى صلى الله عليه وسلم إذا سن أمرين وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا فى آية فقال أحدهما: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبى صلى الله عليه وسلم عليهم وقال: «كل منكما محسن»(٦٣) فأنكر الاختلاف وصوب الجميع فى الآية.

الثانية: إذا أم رجل قوماً وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن ويصير المفضول هو الفاضل(٦٤).

(٦٣) رواه البخارى فى كتاب الخصومات ٥/٧٠ رقم الحديث ٢٤١٠ وأيضاً فى كتاب الأنبياء حديث ٣٤٧٦ ٦/٥١٣ .

(٦٤) الدرر السنية ج ٤ صفحة ٦

«الفصل السادس»

وأيضا مما يدل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة قوله لابن معمر عندما أخبره عن خطة محاولة بن عريعر وتهديده لابن معمر ليمنع الشيخ، قال الشيخ: (إن هذا الذى أنا قمت به ودعوت إليه كله «لا إلـه إلا اللـه» وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله يظهرك على أعدائـك، فلا يزعجك سليان ولا يضرك، فإنى أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها، فاستحيا عثمان وأعرض عنه... الخ(٦٥).

وأيضاً كانت دعوة الشيخ بمجال لابد له من الدليل ، ولا يسعه غيره لأنه ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك والأقوال والأفعال، وكثر منه الإنـكار لذلك ولجميع المحظورات.

وهذه الأمور لابد لها من دليل ولتمكنها من النفوس والقلوب يصعب قلعها بالدليل فما بالك بغيره)(٦٦).

---

(٦٥) عنوان المجد ص ١٧ .

(٦٦) عنوان المجد ص ١٨ .

الفصل السابع

كلامه فى المدينة لما سئل، عن الأصوات عند قبر الرسول

وأيضاً مما يدل على أن الشيخ يستدل بالكتاب والسنة، أنه عندما كان فى المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاءه من دون الله فكاد مرجل غبظه ينفجر، فقال الشيخ محمد حياة السندى: ما تقول يا شيخ فى هؤلاء؟.. فأجابه: «إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»[67] الخ.[68]

وإذا سمعنا ما قبل هذه الآية اتضح لنا استدلال الشيخ وظهوره، والتى قبلها ما حكاه الله عن قوم موسى:

«وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ»[69].

ولقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أصحابه لما مروا بسدرة قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط[70] بمقالة بنى اسرائيل ليدل على بطلان مقالتهم فقال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده قلتم كما قالت بنو اسرائيل لموسى ...

---

(٦٧) الأعراف آية ١٣٦ .

(٦٨) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامى ص ١٨ .

(٦٩) الأعراف آية ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٧٠) رواه الترمذى فى كتاب الفتن ٤/٤٧٥ حديث ٢١٨٠ وأحمد فى مسنده ٥/٢١٨.

«اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ».

وأيضاً عندما كان يدرس العلم بالبصرة نشر علمه النافع حول موضوع البدع.. والخرافات، وإنزال التضرع والحاجات بسكان القبور من عظام نخرة وأوصال ممزقة، وعزز كلامه بالآيات الساطعات والبراهين الواضحات(٧١).

فياترى أيقدر على إنكار مثل هذا من غير آية أو حديث، وألف فى ذلك كتابه المسمى «كتاب التوحيد» وسيأتى إن شاء الله نموذج منه.

(٧١) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامى ص ١٧ .

الفصل الثامن

فيما قاله أحفاد الشيخ

فى اعتماده على الكتاب والسنة

كلام ابنيه حسين وعبدالله فى عقيدة الشيخ وطريقته فى الاستدلال، وطريقتهم، وأنهم سالكون مسلك الأئمة فى التماس الأدلة،وقرر هذان الابنان موقف الشيخ من اختلاف الفقهاء.

وجوزوا الانتقال إذا اتضح الدليل.

وسيتبين لك أخى القارئ من كلامهم الذى سأنقله ما يدل على اتباع الشيخ للدليل على أى مذهب كان:«عقيدة الشيخ رحمه الله التى يدين بها هى عقيدتنا وديننا الذى ندين الله به، وهى عقيدة سلف الأمة وأئمتها والصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعرض أقوال العلماء على ذلك.

فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذى أوصانا به فى كتابه حيث قال تعالى:

«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »(٧٢).

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل فى الكتاب والسنة.

(٧٢) سورة النساء آية ٥٩ .

وإذا تفقه رجل فى مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه،كان هذا مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل.

ولا يكون بذلك مخالفا لإمامه الذى اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل، أبوحنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، رضى الله عنهم أجمعين.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وقال الشافعى لأصحابه: (إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولى الحائط)، وفى لفظ (إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبى).

وقال الإمام أحمد: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان).

والله سبحانه وتعالى يقول:

«فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٧٣)

أتدرى ما الفتنة؟.. الفتنة: الشرك.

لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: (لا تقلدونى ولا تقلدوا مالكا ولا تقلدوا الشافعى وتعلموا كما تعلمنا.

وكلام الأئمة فى هذا كثير جداً ومبسوط فى غير هذا الموضوع)(٧٤).

فاسمع أخى القارئ قاعدة ابنى إمام الدعوة حسين وعبدالله فى موقف طالب العلم من أقوال العلماء السابقين إذا لم يخالف دليل.

وفى بيان ما ينكر من طالب العلم (وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل فى المسألة يخالف القول الذى نص عليه العلماء أصحاب المذاهب،فنرجو أنه يجوز العمل به لأن رأيهم لخير من رأينا لأنفسنا،وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم.

---

(٧٣) سورة النور ـ آية (٦٣)

(٧٤) الدرر السنية جـ ٤ ص ٦ ـ ٧ .

ولكن لا ينبغى الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله حتى يتبين الدليل الذى لا معارض له فى المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً.

والذى ننكره هو التعصب للمذاهب وترك اتباع الدليل[٧٥].

ولهما كلام آخر فى هذا المعنى وبيان المجتهد والمستخرج لمسائل العلم والذى لا يقدر على ذلك كيف يسير وكيف يهتدى؟ بينا موقفه، وهو سؤال العلماء،واستدلوا[٧٦] على ذلك بقوله تعالى:

(.. فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٧٧].

والمقصود من هذا بيان حرص الشيخ وأحفاده على الدليل، والقرب من الشريعة بقواعد أو كلام علماء موثوقين بأن اشتهرت علميتهم وثقتهم بين المجتمعات.

فمن كانت هذه طريقته هل يدعو ويجادل ويناضل بغير دليل؟

وإليك أخى القارئ ما قاله عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فى موقفهم نحو مسائل الفروع.

يريد بذلك طريقتَهم، وطريقة والدهم، وكيف نفى التقليد المذموم وبين التقليد الجائز،وأنه لا مانع أن يدرس الإنسان الفقه على مذهب أحد الأئمة ويعدل إلى قول إمام اخر إذا ترجح له الدليل.

فمن كانت هذه قاعدتهم ومبدأهم ونصوص كلامهم.. هل يرمون بالتعصب المذموم؟ وهل يتهمون بالجمود على مذهب معين؟ أو يتجاهل الدليل؟ .. قال:

«ونحن فى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم،بل لا نقرهم ظاهراً على شئ من مذاهبهم الفاسدة،ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد يدعيها،إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة،أخذنا به وتركنا المذهب،

---

(٧٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٧ .

(٧٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٧ ـ ٨ .

(٧٧) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧.

ومن كلام عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أيضاً ما أوضحه فى رسالته إلى عبدالله بن عبدالله الصنعانى الذى يكشف طريقة أئمة الدعوة بكل وضوح ويبعدهم عن التقليد، ويبين أنهم مع الدليل، إلا أن الصنعانى استشكل قول الشيخ عبدالله «ونحن فى الفروع على مذهب أحمد.. قال الشيخ: «أما بعد فقد وصل جوابكم وسر الخاطر وأقر الناظر حيث أخبرتم أنكم على ما نحن عليه من الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول الأمجد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، وما أوردتم على ذلك من الآيات الواضحات والأحاديث الباهرات، وأن الرد عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم إلى أقوال الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان، فذلك ما نحن عليه فهو ظاهر عندنا لكن كل قول له حقيقة، وحقيقة العلم وثمرته العمل.

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ)[٧٨].

(لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)[٧٩].

وكل يدعى وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات، ونصبنا القضاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكرات، ونصبنا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد، فلله الحمد والمنة»[٨٠].

ثم أجاب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أن استشكال الشيخ الصنعانى على قول الشيخ «ومذهبنا مذهب الإمام أحمد بما يشفى ويكفى ويوضح المراد وهو أنهم يتخذون أقوال أحمد معروضة على الدليل، وينكرون على الذى يأخذ الآراء فقط، ويجعل أقوال العلماء أصولاً للدين، ولطول جواب الشيخ عبدالله أقتصر على نقل هذه الجملة :

«فإن هذا من توهمكم أن قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد، أننا نقلده فيما رأى» وقال: «وإن خالف الكتاب والسنة، والإجماع، فنعوذ بالله من ذلك والله المستعان».

(٧٨) سورة ال عمران اية (٣١) .

(٧٩) سورة الصف آية (٢) .

(٨٠) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ ـ ٩ .

ويحسن بك أيها القارئ في اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة أن ترجع إلى جوابه للشيخ عبدالله الصنعاني»[٨١]. أ . هـ .

ثم استطرد الشيخ عبدالله في بيانه قاعدة الأئمة الأربعة في تقريرهم الأقوال واستنادهم على الدليل، وساق أقوالهم التي تقضي بأنه يقبل منهم ما وافق الدليل، وأن ما خالفه يضرب به الحائط ، ثم اختتم جوابه للصنعاني بقوله:

«انتهى كلامكم فهل أنتم مجتهدون، أم تأخذون عن أقوال المفسرين وشراح الحديث وأتباع الأئمة الأربعة؟.. فإن كان الثاني فأخبروني عن أكثر ما تأخذون عنه وترضون قوله من علماء أهل السنة وفقنا الله وإياكم من العمل ما يرضيه، وجنبنا وإياكم العمل بمناهيه، وسامحنا وإياكم عند الوقوف بين يديه، وجعل أعمالنا مقبولة، والله أعلم»أ.هـ.[٨٢].

وللشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كلام كثير في هذا المعنى يدل على اعتنائهم بالدليل،كما رسمه لعلماء مكة لما دخلوها سنة ١٢١٨ هـ وجمع لهم الأمير علماء مكة ليبين لهم هدفهم.

قال الشيخ : «ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ـ وهو إخلاص التوحيد لله وحده.

وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل عليه الناس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد، وترك الإشراك قبل أن تعرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحى أثره واندثر.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة.

(٨١) الدرر السنية جـ ٤ ص ١٠ .

(٨٢) الدرر السنية جـ ٤ ص ١٣ .

ومما قاله هو وإبراهيم وحسين وعلى وحمد بن ناصر: [وأما قولكم هل يجب على المكلف فى المسائل المختلف فيها، فهذا يحتاج إلى تفصيل وبسط ليس هذا موضعه،لكن الواجب على المكلف أن يتقى الله ما استطاع، كما قال تعالى:

« فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ »(٨٣).

وقال تعالى:

«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »(٨٤).

فإن كان المكلف فيه أهلية لمعرفة دلائل المسائل من كتاب وسنة،وجب عليه ذلك باتفاق العلماء،وإن لم يكن فيه أهلية كحال القوم الذين لا معرفة لهم بأدلة الكتاب والسنة،فهؤلاء يجب عليهم التقليد وسؤال أهل العلم فقط .. كما قال تعالى:

«فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٨٥).

وهذا فى غير أصول الدين، وأما أصول ما بعث به من التوحيد، وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت، والجنة والنار، ومثل وجوب الفرائض من الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم ونحو هذا فلا يجوز فى هذا التقليد، والمقلد فيه معذب فى البرزخ كما ثبت ذلك فى الأحاديث، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«وأما المنافق والمرتاب فيقول: هاه.. هاه ـ لا أدرى ـ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»(٨٦)(٨٧).

فهذه الأقوال ماذا تدل عليه؟ ما هى إلا دلالة واضحة على اعتماد إمام الدعوة وأحفاده على الكتاب والسنة.

وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيمن ترك

(٨٣) سورة التغابن آية ١٦ .

(٨٤) البقرة آية ٢٨٦ .

(٨٥) سورة النحل آية ٤٣ ، والأنبياء آية ٧ .

(٨٦) رواه البخارى ١/١٨٠ كتاب العلم

(٨٧) الدرر السنية جـ ٤ ص ١٣ ـ ١٤

العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب.. هذا من محدثات الأمور التى ما أنزل الله بها من سلطان،قال تعالى:

«ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ»(٨٨).

وقال تعالى:

«فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»(٨٩).

وهذا اصل عظيم من اصول الدين ـ قال العلماء رحمهم الله ـ كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القول الذى يقوله هؤلاء يقضى إلى هجران الكتاب والسنة،وتبديل النصوص،والتقليد الأعمى المفضى إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم:

«ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ»(٩٠).

وقوله تعالى:

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ»(٩١).

وأهل الاجتهاد من العلماء وإن كانوا معذورين باجتهادهم إنما هو فى معنى أدلة الكتاب والسنة وينهون عن تقليدهم.

فالأئمة رحمهم الله اجتهدوا ونصحوا، قال الشافعى رحمه الله: «إذا صح الحديث بخلاف قولى فاضربوا بقولى الحائط فهو مذهبى» أ. هـ (٩٢).

---

(٨٨) سورة الأعراف آية ٣ .

(٨٩) النساء آية ٥٩ .

(٩٠) التوبة آية ٣١ .

(٩١) الشورى آية ٢١ .

(٩٢) الدرر السنية جـ ٤ ص ٣٣ .

فدل هذا الكلام من عبدالرحمن بن حسن على حرصهم على الكتاب والسنة، والاستدلال بهما وتبديع من أخذ بأقوال الناس، وترك الأحاديث الصحيحة، فما بالك بهم وبدعوتهم،فهى معتمدة على الكتاب والسنة.

(وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب فى الرد على من مدح الخلاف، وإنما يلجأ إلى مثل هذا ناقص العلم والدين إذا أفلس من الأدلة والبراهين، إلى أن قال «فصل» فأما مدحه الاختلاف وزعمه أنه رحمة،فالعبارة فيها عموم لا يخفى، وهى متناولة مدح جميع أهل الشقاق والأهواء الذين تواترت النصوص النبوية بذمهم وعيبهم، ودلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى:

«وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ»(٩٣).

وقوله:

«فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»(٩٤)(٩٥).

وقال:الواجب على المكلفين فى كل زمان ومكان الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد أن يَعْدِل عن ذلك إلى غيره، ومن عجز عن ذلك فى شئ من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، فإن لم يدر شيئاً عن ذلك،وصح عنده ما عند أحد الأئمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق فى الأمة، فتقليدهم سائغ حينئذٍ(٩٦) وأى دلالة أصرح من هذا الكلام الذى نقلناه عن الشيخ عبداللطيف حفيد إمام الدعوة فى الاعتماد على الكتاب والسنة،ولا ينكر هذا إلا مكابر.

(وقال أيضاً الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فى بيان أخذ الشيخ محمد بالدليل ونقده بعض كتب المذهب الحنبلى، وهذا من الشيخ يدل على عدم تقليده حينما يجد دليلاً من كتاب وسنة،ولو كان متعصباً لأخذ أقوال العلماء ولو خالفت النصوص.

قال الشيخ عبدالله (ولو كان هنا عناية بما استقر عليه الحال فى زمن الدعوة

(٩٣) البينة آية ٤ .
(٩٤) المؤمنون آية ٥٣ .
(٩٥) الدرر السنية جـ ٤ ص ٣٨ .
(٩٦) الدرر السنية جـ ٤ ص ٥٢ .

الإسلامية وعلمائنا ومشايخنا رحمهم الله كان بهم قدوة لنا وأسوة،خصوصاً بعد ما فهموا من تقريرات شيخهم محمد رحمه الله، وقوله فى رسائله أكثر ما فى الإقناع والمنتهى مخالف لنص أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم».

يعرف ذلك من عَرَفَه ... أ. هـ.

وقال الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رحمهما الله، واختيار بعض المتأخرين لا يقضى بأولويته ولا رجحانه ولو ذهب المخالف إلى الأخذ بكل ما صححوه وإلزام الناس بجميع ما رجحوه لأوقعهم فى شباك، وأفضى بهم إلى مفاوز الهلاك، وهذا على سبيل التنبيه، والإشارة تكفى اللبيب)[٩٧].

(وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمهما الله تعالى: «ونعتقد أن الله أكمل لنا الدين وأتم نعمته على العالمين ببعثه محمد الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

قال تعالى:

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا »[٩٨].

إلى أن قال : «وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بها،ولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم،لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذى نعتقده وندين الله به.)[٩٩].

---

(٩٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٩٨) المائدة آية ٣ .

(٩٩) الدرر السنية ص ٥٥ .

«الفصل التاسع»

فيما قاله غير أحفاد الشيخ مما يدل على اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة..

جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن عدة أسئلة منها هذا السؤال:

«ما قولكم نوَّر الله قلوبكم لفك المعضلات،ووفقكم للأعمال الصالحات، هل يلزم المبتدئين المتعلمين الترقي إلى معرفة الدليل الناص على كل مسألة، ومعرفة طرقه وصحته أم تقليد المخرجين للحديث أنه صحيح أو حسن، ويكفيهم العمل بالفقهيات المجردة عن الدليل ويغنيهم؟

وهذا فيمن طلب العلم وتأهل له، فما حال العوام هل يجزيهم مجرد التقليد؟

وأيضا حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة: أبى حنيفة، ومالك،والشافعى،وأحمد؟ فأفيدونا؟ واحتسبوا فإن الحاجة ماسة إلى هذه المباحث، فإن تفضلتم بطول الجواب، وذكر الدليل ومن قال به،فهو المطلوب؟».

فكان من أجوبته رحمه الله : «لا ريب أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

«ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ»(١٠٠)

إلى أن قال رحمه الله «ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه فى كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال فى جوابه أيضاً «واتفق العلماء على أنه ليس أحد معصوماً إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم فى كل ما يقولون».

«وأما القادر على الاستدلال فقيل يحرم عليه التقليد مطلقاً، وقيل يجوز عند الحاجة، كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال،وهذا القول أعدل الأقوال».

(١٠٠) سورة الأعراف آية ٣ .

ثم رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة رحمهم الله فأشار إلى ما يأتى: -

١ - أن هذه الجملة حكاها الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة،ومن حكاها بعده فنقلاً عنه.

٢ - بين مراد الوزير من حكاية جملة الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة وأنه لا يريد الوجوب، ولا ينفى الاجتهاد عن من بعدهم.

٣ - أن الوزير يحيى بن هبيرة أراد الرد على من اشترط الاجتهاد المطلق فى القاضى.

٤ - أراد الوزير أن يبين أن المقلد ينفذ قضاؤه.

٥ - أوضح الوزير كلام من اشترط فى القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار المذاهب الأربعة.

٦ - أن الوزير بين جواز التقليد بعد استقرار المذاهب الأربعة ولم يوجبه، ووجه الجواز أن كل واحد من الأئمة الأربعة لا يعدم الدليل وإن أخطأ فى الاستدلال، أو خفى عليه الدليل الآخر.

٧ - نقل الشيخ حمد كلام الوزير من الإفصاح.. وما أجمل صنعه فى نقله كلام صاحب الإفصاح ليستوضح القارئ فأنقل عنه.

وبعد هذه المقدمة إليك رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة،ونقله كلام ابن هبيرة فقال: هذا الإجماع حكاه غير واحد من المتأخرين،وكلهم نسبوه إلى الوزير أبى المظفر، يحى بن هبيرة صاحب الإفصاح عن معانى الصحاح فانه ذكر نحوا من هذه العبارة وليس مراده أن الإجماع منعقد على وجوب تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة وأن الاجتهاد بعد استقرار هذه المذاهب لا يجوز، فإن كلامه يأبى ذلك وإنما أراد الرد على من اشترط فى القاضى أن يكون مجتهداً وأن المقلد لا ينفذ قضاؤه، كما هو مذهب كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين،وحمل كلام من اشترط فى القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، وأما بعد استقرار هذه المذاهب،فتجوز تولية المقلد لأهلها،وينفذ قضاؤه،وليس فى كلامه ما يدل على أنه يجب التقليد لهؤلاء الأئمة بحيث أن يلزم الرجل أن يتمذهب بأحد هذه المذاهب الأربعة،ولا يخرج عن مذهب من قلده كما قد يُتوهم، بل كلامه بخلاف ذلك ولا يوافقه،

وعبارته فى الإفصاح: اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد، إلا أبا حنيفة فإنه قال يجوز ذلك، قال الوزير، والصحيح فى هذه المسألة أن قول من قال لا يجوز تولية قاض حتى يكون من أهل الاجتهاد فإنه إنما عنى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة،التى أجمعت الأمة أن كل واحد منها يجوز العمل به ، لأنه مستند إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقاضى الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ولا يسعى فى طلب الأحاديث وابتغاء طرقها، ولا عرف من لغة الناطق بالشريعة صلى الله عليه وسلم مالا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه وغير ذلك من شروط الاجتهاد،فإن ذلك مما قد فرغ منه ودأب له فيه سواه وانتهى له الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين إلى ما أراحوا به من بعدهم، وانحصر الحق فى أقاويلهم، ودونت العلوم ، وانتهت إلى ما اتضح فيه الحق ،فإذا عمل القاضى فى أقضيته بما يأخذ عنهم أو عن الواحد منهم فإنه فى معنى من كان أدّاه اجتهاده إلى قول قاله، وعلى ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه ،كان آخذا بالحزم وعاملاً بالأولى،وكذلك إذا قصد فى مواطن الخلاف وتوخى ما عليه الأكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، مع جواز علمه أن يعمل بقول الواحد، إلا أننى أكره له أن يكون ذلك من حيث أنه قد قرأ مذهب واحد منهم أو نشأ فى بلدة لم يعرف فيها إلى مذهب إمام واحد منهم،أو كان شيخه ومعلمه على مذهب فقيه من الفقهاء فقصر نفسه على إتباع ذلك المذهب حتى أنه إذا حضر عنده خصمان،وكان ما تشاجرا فيه مما يفتى الفقهاء الثلاثة فيه بحكم نحو التوكيل بغير رضا الخصم،وكان الحاكم (حنفيا) ، وقد علم أن مالكا والشافعى وأحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل،وأن أبا حنيفة يمنعه، فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الأئمة الثلاثة إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة بمجرد أنه قاله فقيه هو فى الجملة من فقهاء الاتباع له ومن غير أن يثبت عنده بالدليل ما قاله ولا أدّاه اجتهاده إلا أن أبا حنيفة أولى بالإتباع مما اتفق الجماعة عليه،فإنى أخاف على هذا من الله عز وجل بأنه اتبع فى ذلك هواه وأنه ليس من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، وكذلك إن كان القاضى (مالكيا) فاختصم إليه اثنان فى سؤر الكلب فقضى بطهارته مع علمه بأن الفقهاء كلهم قضوا بنجاسته، فعدل إلى مذهبه، وكذلك إن كان القاضى (شافعياً) فاختصم إليه اثنان فى ترك التسمية عمداً فقال أحدهما هذا منعنى بيع

شاة مذكاة فقال الآخر إنما منعته من بيع الميتة،فقضى عليه بمذهبه وهو يعلم أن الأئمة الثلاثة على خلافه،وكذلك إن كان القاضي (حنبلياً) فاختصم إليه اثنان فقال أحدهما لى عليه مال، فقال الآخر كان له على مال فقضيته، فقضى عليه بالبراءة من إقراره مع علمه بأن الأئمة الثلاثة على خلافه، فإن هذا وأمثاله مما يتوخى اتباع الأكثرين فيه أقرب عندى إلى الإخلاص وأرجح فى العمل، وبمقتضى هذا فإن ولايات الحكام فى وقتنا هذا صحيحة، وأنهم قد سدوا ثغرا من ثغور الإسلام سده فرض كفاية،ولو أهملت هذا القول ولم أذكره،ومشيت على الطريق الذى يمشى عليه الفقهاء الذين يذكر كل منهم فى كتاب إن صنفه أو كلام إن قاله أنه لا يصح أن يكون قاضياً إلا من كان من أهل الاجتهاد، ثم يذكر من شروط الاجتهاد أشياء ليست موجودة فى الحكام، فإن هذا كالإحالة أو التناقض،وكأنه تعطيل للأحكام وسد لباب الحكم وأن لا ينفذ حق ولا يكاتب به ولا يقام بينة إلى غير ذلك من القواعد الشرعية،وهذا غير صحيح، بل الصحيح فى المسألة أن ولايات الحكام جائزة،وأن حكوماتهم اليوم صحيحة نافذة،وولاياتهم جائزة شرعاً. أ. هـ.(١٠١)

ثم أوجز الشيخ حمد آل معمر كلام ابن هبيرة فى النقاط التالية:ـ

١ ـ جواز تولية المقلد إذا تعذرت تولية المجتهد،وبين السبب وهو صعوبة توفر شروط الاجتهاد المطلق،ولربما يؤدى طلب شروط الاجتهاد إلى ترك الأحكام.

٢ ـ أن إجماع الأئمة الأربعة حجة،وأن الحق لا يخرج عن أقوالهم،فلا يخرج القاضى عن ما أجمعوا عليه.

٣ ـ الإجماع على انعقاد تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة دون من عداهم من الأئمة لأن مذاهبهم مدونة قد حررت ونقحها أتباعهم.

٤ ـ أوضح ابن معمر بأن حكاية الإجماع عند ابن هبيرة على جواز التقليد لا على وجوبه.

٥ ـ أوضح أيضاً بأن القاضي ومثله المفتى لا ينبغى له الاقتصار على مذهب واحد منهم بحيث يلتزم الفتوى به، بل عليه أن يتوخى مواطن الاتفاق وإلا توخى ما عليه الأكثر.

---

(١٠١) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦

٦ ـ أن على القاضى والمفتى أن يتوخى ما عليه الدليل من أقوال الأئمة،وحينئذٍ يكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٧ ـ أن على المقلد أن يتنبه وأن يفطن فى أقوال الأئمة،فيأخذ بما عليه الدليل ولو كان مع إمام غير إمامه،وبهذا لا يكون خارجا عن التقليد لأنه لا يعد مجتهداً اجتهاداً مطلقاً، فهو مقلد للإمام باستدلاله ودلالته مع الدليل،فأخذه بهذا القول من أجل دليله.

٨ ـ بين ابن معمر بأن الشخص الذى لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد ففرضه التقليد،قال عبدالله بن الامام أحمد: «سألت أبى عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول الرسول عليه الصلاة والسلام واختلاف الصحابة والتابعين،وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا الإسناد القوى من الضعيف.. أفيجوز أن يعمل بما شاء ويتخير ما أحب منها فيفتى به ويعمل به؟.. قال: لا، لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم»(١٠٢).

٩ ـ بين أيضاً وصف الذى يجد دليلاً عند بعض الأئمة ولم يجد ما يدفعه من الأدلة عند الآخرين،فإنه يكون بذلك مقلداً باتباعه الدليل الذى عرفه من هذا الإمام.

١٠ ـ نقل ابن معمر عن شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذا الصدد ما يشفى ويكفى فى الجزء الرابع من الدرر السنية جمع (ابن قاسم) صفحة ٢٧.

١١ ـ علق ابن معمر على كلام صاحب الإفصاح فى هذا الموضوع قائلاً بما يوضح مقصده ويبطل الكثير من الشبه قائلاً: «وليس فى كلام صاحب الإفصاح ما يقتضى التمذهب بمذهب لا يخرج عنه، بل كلامه صريح فى ضد ذلك، وهذه الشبهه ألقاها الشيطان على كثير ممن يدعى العلم، وصال بها أكثرهم فظنوا أن النظر فى الأدلة أمر صعب لا يقدر عليه إلا المجتهد المطلق، وأن من نظر فى الدليل وخالف إمامه لمخالفة قوله لذلك الدليل فقد خرج عن التقليد، ونسب نفسه إلى الاجتهاد المطلق، واستقرت هذه الشبهة فى قلوب كثير حتى آل الأمر بهم إلى أن (تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)،وزعموا أن هذا هو الواجب

---

(١٠٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٦ ـ ٢٧

عليهم وأن من انتسب إلى مذهب إمام فعليه أن يأخذ بعزائمه ورخصه، وإن خالف نص كتاب أو سنة، فصار إمام المذهب عند أهل مذهبه كالنبى فى أمته، لا يجوز الخروج عن قوله، ولا يجوز مخالفته، فلو رأى واحدا من المقلدين قد خالف مذهبه وقلد إماما آخر فى مسألة لأجل الدليل الذى استدل به قالوا:هذا قد نسب نفسه إلى الاجتهاد ونزل نفسه منزلة الأئمة المجتهدين، وإن كان لم يخرج عن التقليد، وإنما قلد إماما دون إمام آخر لأجل الدليل،وعمل بقوله تعالى:

«فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا»(١٠٣) (١٠٤).

والقصد من استعراض أقوال هؤلاء العلماء الإشارة إلى أن أنصار أئمة الدعوة يؤيدون الدليل ويعتمدون عليه، ويشنون الغارة على من خالفه وقلد أحداً مع وضوح الدليل.

وهذا الفهم تبعاً لإمامهم محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

ومما قاله الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: أن المقلد الذى لم تجتمع فيه الشروط ففرضه التقليد وسؤال أهل العلم.

ثم أوضح رحمه الله الرد على من تعصب لإمام من الأئمة وحاول أن يتملص عن الأخذ بالدليل بما يشفى ويكفى ويحفظ لنا سلامة الأخذ بالدليل وكرامة الأئمة:

(فالمتعصبون للمذاهب إذا وجدوا دليلاً ردوه إلى نص إمامهم،فإن وافق الدليل نص الإمام قبلوه،وإن خالفه ردوه واتبعوا نص الإمام.

واحتالوا فى رد الأحاديث بكل حيلة يهتدون إليها، فإذا قيل لهم هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قالوا: أأنت أعلم بالحديث من الإمام الفلانى؟

مثال ذلك : إذا حكمنا بطهارة بول ما يؤكل لحمه،وحكم الشافعى بنجاسته وقلنا له قد دل على طهارته حديث العرنيين، وهو حديث صحيح، وكذلك حديث أنس فى

(١٠٣) سورة النساء آية ٥٩ .

(١٠٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٧ ـ ٢٨ .

الصلاة فى مرابض الغنم، فقال هذا المنجس لأبوال مأكول اللحم: أأنت أعلم بهذه الأحاديث من الإمام الشافعى؟ فقد سمعها ولم يأخذ بها.

فنقول له: قد خالف الشافعى فى هذه المسألة من هو مثله أو هو أعلم منه،كمالك والإمام أحمد رحمهما الله وغيرهما من كبار الأئمة، فنجعل هؤلاء الأئمة بإزاء الشافعى ونقول: إمام بإمام، وتسلم لنا الأحاديث، ونرد الأمر إلى الله والرسول عند تنازع هؤلاء الأئمة،ونتبع الإمام الذى أخذ بالنص،ونعمل بقوله كما قال تعالى:

«فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ»(١٠٥)

فنمتثل ما أمر الله به، وهذا هو الواجب علينا، ولسنا فى هذا العمل خارجين عن التقليد، بل خرجنا من تقليد إمامهم إلى تقليد إمام آخر لأجل الحجة التى أدلى بها من غير معارض لها ولا ناسخ.

فالانتقال من مذهب إلى مذهب آخر لأمر دينى بأن تبين له رجحان قول على قول، فيرجع إلى القول الذى يرى أنه أقرب إلى الدليل، مثاب على فعله، بل واجب على كل أحدٍ إذا تبين له حكم الله ورسوله فى أمر ألا يعدل عنه ولا يتبع أحدا فى مخالفة أحد فى مخالفة حكم الله ورسوله، فإن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم)(١٠٦).

وللشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين جواب يقضى بوجوب الأخذ بالكتاب والسنة والاعتماد عليها، ورد ما سواهما مما يخالفهما فيقول: (لا ريب أن الله سبحانه وتعالى فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله)،قال تعالى:

«ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ»(١٠٧)

---

(١٠٥) سورة النساء آية ٥٩ .

(١٠٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠٧) الأعراف آية ٣ .

وقال تعالى:

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ»(١٠٨)

وقال تعالى:

«قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ»(١٠٩)

ولم يوجب الله سبحانه وتعالى على الأمة طاعة أحد بعينه فى كل ما يأمر به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عبدالبر: أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله، وقال الشافعى رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس)(١١٠)

وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان حيث قال رحمه الله تعالى: (فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر القول الذى يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها،اتباعا لقوله تعالى:

«فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ»

فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل واحد فى كل حال، وأقوال أهل الإجماع والمفتين والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله،وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته وطاعة الرسول طاعة لله، وهذا حقيقة التوحيد الذى يكون كله لله، وإذا عرف أن القول قد قاله بعض أهل العلم ومعه دلالة الكتاب والسنة

---

(١٠٨) الأنفال آية ٢٠ .

(١٠٩) النور آية ٥٤ .

(١١٠) الدرر السنية جـ ٤ ص ٣٣ ـ ٣٤ .

كان هو الراجح، وإن كان قد قال غيره ممن هو أكبر من قائل ذلك القول، فإن ذلك القول هو الذى ظهر أن فيه طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم)[١١١].

وهؤلاء تلاميذ أئمة الدعوة ينهجون منهج شيخهم محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، ويبينون بأن طريقتهم الاعتماد على الكتاب والسنة، فدل ذلك على أن إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب وأحفاده وتلاميذهم رحمهم الله لا يرون التقليد الجامد ولا الأخذ بأقوال العلماء بدون نظر فى الدليل إلا عند العجز عن معرفة الدليل، أو للعامى الذى لا يعرف النظر فى الدليل وليس له إلا ما قيل له، وهذا أمر لابد منه.

قال تعالى:

«فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»[١١٢].

وفى الحديث الشريف «ألا : سألوا إذا جهلوا فإن شفاء العى السؤال».

وعلم مما تقدم الرد على من قال: إن إمام الدعوة وأحفاده وتلاميذه عندهم تعصب للمذهب كبعض أصحاب المذاهب.

وقال أحمد عبدالغفور عطار فى كتابه محمد بن عبدالوهاب: «نعرض الإسلام عرضا صحيحاً منزهاً من البدع مبرء من الخرافات، والإسلام دين التوحيد، والتوحيد ينافى الشرك، ومن هنا دعا إلى الله وحده، وإلى صرف العبادات كلها له دون سواه.

وبدأ الدعوة كما بدأ الرسل ولم يتجه إلى المجتمع يصلح نظامه وقوانين أعماله ومكاسبه،بل اتجه إلى العقيدة،فأبان للناس عقيدة الإسلام كما يفصح عنها الوحى كتاباً وسنة،لا يتجاوزه إلى ما اتخذه علماء الكلام من فلسفات يعسر معها فهم الإسلام السهل، وأصحب إفصاحه عن عقيدة الإسلام أركانه التى يقوم عليها.

وكان موفقاً فى منهجه الذى اتبعه، فهو مدرك أن إصلاح الظاهر دون الباطن طلاء مغشوش وبريق خادع، أما إصلاح الباطن فهو الذى يهدى إلى أن يكون إصلاح الظاهر إصلاحاً صحيحاً لا فحش فيه ولا خداع، ووفقه الله لما كان يتمنى من الإصلاح.

وبدأ محمد بن عبدالوهاب إصلاحه مع الأمير لأن الناس تبع السلطان،وحذر الناس الاتباع الأعمى وبصرهم بالإسلام، وعلمهم إياه فى أسلوب سهل وإيجاز مستوعب

(١١١) الدرر السنية جـ ٤ ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(١١٢) سورة الأنبياء آية (٧) .

وهداهم إلى الرشد، فإذا الإسلام يعود من جديد إلى الدرعية،ويدوى القرآن فى حجرات البيوت من قصر السلطان إلى أكواخ الفلاح) أ. هـ.(١١٣).

ومعلوم أن اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة فى مؤلفاته،وهذا ما تفيده كتابة العطار لتطابقها مع دعوة الشيخ ومقتضاها،ولعل هذا الكاتب لم يكتب إلا بعد الاطلاع، ولهذا قال فى صفحة ١٥٩ من هذا الكتاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

(ودعوة محمد بن عبدالوهاب ليست دعوة خاصة ولا شخصية من مبتكراته ، بل هى الإسلام فى حقيقته كما جاء به الوحى المقدس من كتاب وسنة، لا يزيد على الوحى شيئاً من عنده، لم يبتدع لأنه خصم البدعة العنيد) أ. هـ .(١١٤)

(لما تكلم على حقيقة الدعوة الوهابية وأشار إلى بطلان أقوال المتقولين عليه وقال: إذا نقدنا أقواله كلها ومحصنا جميع أعماله،فإننا لا نجد فى ذلك كله إلا الحق الذى جاء به الإسلام وقرره وأقره، فهو لم يدع إلى غير الإسلام فى بلاد غيرت عقائده وشعائره ومعالمه، ولم يدع إلا إلى ما دعا إليه الكتاب والسنة، ولم يحكم فى حياته قط غيرهما، ولم يدع إلى منكر أو باطل،ولم يتبع غير سبيل الرشد، وما عمله ليس إلا صلحاً وإصلاحاً،فدعوته إلى الرجوع إلى الإسلام دون أن يأتى بتغيير فى أصوله وفروعه ومبادئه ولا فى نصوص أو تفسيرها تفسيراً جديداً)(١١٥).

وخلط من عاصروا الشيخ بين دعوته ومذهبه ، أو فسروا دعوته على أنها مذهب خارج على الإسلام، وما كان له مذهب خاص به ـ بل له دعوه،وما دعوته إلا الإسلام فى صفائه ونقائه.

ولقد قال له أعداؤه ما لم يقل،ونسبوا إليه قصصاً وروايات وأحاديثا وأقوالاً وأفعالاً لم تصدر منه، فكتبه ورسائله بين أيدى الناس ليس فيها شئ مما زعموا، بل نقيض ما زعموا، وهو لا يحاسب على الأباطيل والأكاذيب المنسوبة إليه، وليس عليه وزر ما لم يقل أو لم يفعل، ومن خصومه العلماء الذين حرفوا أقواله».

هذه مقالات أحفاد الشيخ وغيرهم فى الاعتماد على الكتاب والسنة والواقع يصدق ذلك.

---

(١١٣) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٢٠ .

(١١٤) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٥٩ .

(١١٥) كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٦٨ .

« الفصل العاشر »

فى ثناء العلماء على الشيخ..

أَكْثَرَ العلماء السلفيون والمؤرخون المحققون من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة، من ذلكم قصيدة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعانى مؤلف سبل السلام..

سلامى على نجد ومن حل فى نجـــــد :: وإن كان تسليمى على البعد لا يجـــدى

إلى أن قال:

قفـــى واسألى عـــن عالم حل سوحهـــا :: به يهتدى من ضل عن منهج الرشـــــد
محمـــد الهـادى لســنة أحمـــــــــــد :: فياحبذا الهادى وياحبذا المهـــــــــدى
لقد أنكرت كل الطوائف قولـــــــــــه :: بلا صَدْرٍ فى الحق منهـــــــم ولا وِردِ
وما كل قول بالقبول مقابـــــــــــل :: وما كل قول واجب الرد والطـــــــرد
سوى ما أتى عـــن ربنا ورسولـــــــه :: فـذلك قـول جل، يـاذا عـن الـــــرد
وأمـا أقـاويل الـرجال فإنهـــــــــــا :: تـدور على قـدر الأدلة فى النقـــــد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنـــــــــه :: يعيد لنا الشرع الشريف بما يبــــدى
وينشر جهراً ما طوى كل جاهـــــل :: ومبتدع منه فوافق ما عنــــــــــدى

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظى صاحب دوجال من قرى عسير.

قال الشيخ:

الحمـد حقـاً مستحقـاً أبـــــــدا :: للـــه رب العاليـــن سرمــــــدا

إلى أن قال:

مصليـــاً على الرسـول الشـــــارع :: وأهلــه وصحبــه والتابـــــــــع

لما دعا الداعى من المشارق :: بأمر رب العالمين الخالق
وبعثه الله لنا مجددا :: من أرض نجد عالما مجتهدا
شيخ الهدى محمد المحمدى :: الحنبلى الأثرى الأحمدى
فقام والشرك الصريح قد سرى :: بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا :: وطرق الإسلام والسبيلا
إلا أساميها وباق الرسم :: والأرض لا تخلو من أهل العلم

وكذلك رثاء الشيخ العلامة محمد بن على الشوكانى مؤلف نيل الأوطار للشيخ محمد ابن عبدالوهاب مثنياً عليه.. ومما قاله:

مصاب دها قلبى فأذكى غلائلى :: وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلى

إلى أن قال:

لقد مات طود العلم قطب رحا العلا :: ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرا بموته :: وغيب وجه الحق تحت الجنادل

وممن أثنوا على الشيخ، حسين بن غنام الإحسائى مؤلف «روضة الأفكار والأفهام» قائلاً:

إلى الله فى كشف الشدائد نفزع :: وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى :: فسالت دماء فى الخدود وأدمع
أمام أصيب الناس طرا بفقده :: وطاف بهم خطب من البين موجع

وقال الشيخ عمران بن على بن رضوان من سكان لنجة، من البلدان الفارسية مثنياً على الشيخ..

جاءت قصيدتهم تروح وتغدو :: فى سب دين الهاشمى محمد
لقد زخرفوها للطغام بقولهم :: ان الكتاب هو الهدى فيه اقتدى

إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة :: بدعوة أصحاب القبور الهمد

ورأى العتـاد القبـور تقربـــــاً :: بالـذبح والنـذر والصنيـع المفسـد
فأتـاهم الشيخ المشـار إليـــه :: بالنصـح المبـين وبالكـلام الجيـد
يدعـوهم للـه أن لا يعبـــدوا إلا :: المهيـمن ذا الجـلال السرمـد

كذلك قال العلامة السيد/محمود شكرى الألوسى رحمه الله فى آخر تاريخه لنجد.

كان الشيخ محمد من بيت علم فى نواحى نجد، وكان أبوه الشيخ عبدالوهاب عالماً فقيهاً على مذهب الإمام أحمد، ومما قاله: كان الشيخ شديد التعصب للسنة، كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء.

وقال عنه شكيب أرسلان فى الجزء الرابع من حاضر العالم الإسلامى تحت عنوان «تاريخ نجد الحديث» بعد أن ذكر ولادة الشيخ ونشأته:

وأخذ يفكر فى إعادة الإسلام لنقاوته الأولى.. إلى أن قال: ولا أظنه أورد ثمة شيئا غير ما أورده ابن تيمية.

وممن قال عن الشيخ «حامد الفقى» رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية فى كتابه «أثر الدعوة الوهابية» حيث قال:

كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن فى توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً، ودعاء، ونذراً، وحلفاً، وتوكلاً، وطاعة لشرائعه.

وفى كتاب «المجددون فى الإسلام» للشيخ عبدالمتعال الصعيدى،قال عنه بعد ذكر ولادته ونشأته.. وأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه ابن تيمية قبله من التوحيد بالعبادة لله وحده، وإنكار التوجه إلى أصحاب القباب والقبور، وإنكار التوسل بالأولياء والأنبياء إلى الله فى قضاء الحاجات».

وقال عنه أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا فى التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد أن ذكر فشو البدع بعد ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة.

«ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه فى كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين، وترك البدع والمعاصى ، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة،وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

قال عنه أحمد عبدالغفور الحجازى فى كتابه «محمد بن عبدالوهاب».

كان محمد بن عبدالوهاب الشاب الناهض من أكبر أنصار الحرية الفكرية المتمشى على نهج الإسلام، يدعو إليها فى إخلاص وحماس، واستطاع أن يتحرر من قيود البيئة، ويخرج على تقاليد قومه البالية».

كذلك قال عنه الدكتور/طه حسين ..

«والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم فى حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القومية إلى الإسلام الخالص النقى، المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم خالصاً لله، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس».

قال عنه أيضاً حافظ وهبه.. فى كتابه «جزيرة العرب»..

ولكنه مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ولا آراء خاصة، وكل ما يطبق فى نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وأما فى العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم»

ومما قاله الأستاذ/ منح هارون فى الرد على الكاتب الإنجليزى (كونت ويلز) قال:

.. «وكل ما قاله الشيخ إبن عبدالوهاب قال به غيره ممن سبقه من الأئمة الأعلام، ومن الصحابة الكرام، ولم يخرج فى شئ عما قاله الإمام أحمد وابن تيمية ـ رحمهما الله».

وقال محمد كرد على فى «القديم والحديث» بعد حديثه عن أصل الوهابية..

«وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم».

كذلك قال الزركلى فى الأعلام «الجزء السابع»:

«وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة فى العالم الإسلامى كله، تأثر بها رجال الإصلاح فى الهند ومصر والعراق والشام وغيرها».

وضمن كتاب «حاضر العالم الإسلامى» للدكتور محمد عبدالله ماضى وتحت عنوان «النهضة العربية السعودية» قال:

«.. أخذ المصلح الدينى، والزعيم الإسلامى محمد بن عبدالوهاب فى منتصف القرن

الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة، واعتناقها من جديد بين النجديين، وكانوا قد فسدت عقيدتهم، وضلت سيرتهم».

وفى مجلة الإرشاد الكويتية التى كانت تصدر عام ١٣٧٣ هـ وبعددها السادس تحت عنوان: «الحركة الوهابية» قال الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة.

«والمبادئ الأساسية للدعوة الوهابية هى تنقية معنى التوحيد من شوائب الشرك، ظاهره وخفيه، وإخلاص الدين لله، وعدم الالتجاء إلى غير الله، وعدم الغلو فى تمجيد الرسول تمجيداً يخرجه عن حدود الطبيعة البشرية وتحديد معنى الرسالة التى كلف بإبلاغها».

قال عنه أيضاً عبدالكريم الخطيب فى كتابه «محمد بن عبدالوهاب» العقل الحر فى الفصل الخامس.

«قام محمد بن عبدالوهاب يدعو إلى الله لا يبغى بهذا جاهاً، ولا يطلب سلطاناً، وإنما يضئ للناس معالم الطريق، ويكشف لهم المعاثر والمزالق التى أقامها الشيطان وأعوان الشيطان».

وفى كتاب «الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب» قال محمد جميل بيهم تحت عنوان (آل سعود فى حكم آل عثمان):

«دعا محمد بن عبدالوهاب معتمداً على القرآن، إلى شريعة بيضاء نقية، كما تركها محمد صلى الله عليه وسلم، ونهى عن الغلو فى تقديس الأنبياء والأولياء».

وتعليقاً على كتاب «حاضر العالم الإسلامى» تأليف الأمريكى ستودارد.. قال الأمير شكيب أرسلان ضمن ما قاله:

«فكان الصاروخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذى أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامى، ثم أخذ هذا الداعى يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامى القديم والعز التليد».

كذلك قال المستشرق «سيديو» فى تاريخ العرب العام:

«ولم يكن للإصلاح الذى بدا زعيماً له هدف سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة

إلى سابق عهدها»... إلى أن قال «خلع الشيخ محمد بن عبدالوهاب على دين محمد رونقاً جديداً، وبدد الخرافات التى زالت مع الزمن، فأظهر القرآن خالياً من جميع ما عزى إليه من الشوائب».

كما أثنى على الشيخ محمد بن عبدالوهاب الشيخ على الطنطاوى فى كتابه «محمد بن عبدالوهاب» بعد ذكره فشو البدع قبل ولادة الشيخ والاعتقادات الفاسدة.. قال:

«فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق، والألفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الانقسام، ولا أقول إن الرجل كامل، فالكمال لله، ولا أقول إنه معصوم فالعصمة للأنبياء، ولا أقول إنه عار عن العيوب والأخطاء ولكن أقول: إن هذه اليقظة التى عمت نجدا، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة، ثم إلى ما حولها، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام،ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله».

قال العالم الفرنسى «برناد لوسى» فى كتابه العرب فى التاريخ ما يلى:

وباسم الإسلام الخالى من الشوائب الذى ساد فى القرن الماضى، نادى محمد بن عبدالوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدع خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح».

كما قال شيخ المستشرقين «جولد سيهر» فى كتابه العقيدة والشريعة ما يلى:

«إن الوهابيين أنصار للديانة الإسلامية على الصورة التى وضعها النبى وأصحابه، فغاية الوهابية هى إعادة الإسلام كما كان».

وأثنى الشيخ محمد عبده على الشيخ،فكان مما قاله لتلاميذه فى الأزهر عن حياة الشيخ ودعوته:

إنه المصلح العظيم ـ ويلقى بالتبعة على الأتراك وعلى محمد على لجهلهم بحقيقة دعوته».

قال عنه أمين سعيد فى كتابه «سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب»:

«إنه مصلح من كرام المصلحين، ومجاهد من كبار المجاهدين، وعالم من خيرة العلماء ـ أنار الله بصيرته وهداه سبله وألهمه التقوى، فدعا أمته إلى الرجوع إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله، ونبذ الشرك، وعبادة القبور».

وبعد هذا الثناء الموجز من بعض العلماء على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هل يا ترى يصدر مثل هذا الثناء على مبتدع ضال، أو جاهل أو قائل بالرأى أو الهوى، إن مثل هذا لا يصدر إلا لمن كشف حقيقة ثابتة كاد ظلام الجهل يغطيها ويموهها.

وهؤلاء الذين أثنوا على الشيخ إما علماء ثبتت علميتهم وثقتهم، أو أدباء ومؤرخون يتابعون الحركات والحقائق، أو أعداء، والحق ما شهدت به الأعداء.

الفصل الحادى عشر

الأصول التى دعا إليها الشيخ

وهى أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة

وبها يتجلى أن دعوة الشيخ مبناها الكتاب والسنة:

قال ابن حجر آل بوطامى «المسائل التى دعا إليها الشيخ ووقع فيها الخلاف بينه وبين الأكثرين»:

١ ـ توحيد العبودية:

ويقال له توحيد الألوهية، وهو الذى بعث الله من أجله الرسل، من نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ »(١١٦).

وحيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها كما سبق قد ألهوا قبور الأنبياء والصالحين وبعض الأحجار والأشجار، وصرفوا بعض العبادات إليها، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة، والاستغاثة إلى غير ذلك مما لا ينبغى صرفه إلا لله. أنكر عليهم وبين لهم أن العبادة هى طاعة لله بامتثال ما أمر، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال.

وأفراد العبادة كثير منها:-

الصلاة والصيام والصدقة والنذر والذبح والطواف والاستعانة والاستغاثة. فمن نذر منها شيئاً لغير الله يكون مشركاً، قال الله تعالى:

---

(١١٦) سورة النحل آية (٣٦) .

«وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ» (١١٧)

فاتبعه بعضهم واعتنق مبدأه رغبة واختياراً، وأبى الأكثرون متمسكين بتقليد الآباء والخضوع للعادات،وفشو هذه الأعمال فى سائر الأمصار والقرى. وسكوت الكثيرين من العلماء.

٢ ـ التوسل:

التوسل قسمان: قسم مطلوب ومرغوب فيه، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وبالأعمال الصالحة، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم.

والثانى: التوسل المبتدع؛وهو التوسل بالذوات الصالحة،كأن يقول الشخص: اللهم إنى أسألك بجاه الرسول،أو بحرمة فلان الصالح،أو بحق الأنبياء والمرسلين، أو بحق الأولياء الصالحين.

فنهاهم الشيخ عن القسم الثانى، إذ لم يرد عن الرسول ولا أصحابه رضى الله عنهم، وهو دعاء ـ والدعاء عبادة، ومبناها على التوقيف، ويعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

وتمسك المجوزون بآيات لا تمت إلى دعواهم بصلة كقوله تعالى:

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ » (١١٨)

إن التفسير الوارد عن السلف وأجلاء المفسرين أن ابتغاء الوسيلة يكون بالأعمال الصالحة، كما تمسكوا ببعض أحاديث موضوعة ،كحديث توسل آدم بالنبى لما اقترف الخطيئة، وضعيفه كحديث الأعمى، وحديث فاطمة بنت أسد، ولا حجة فى موضوع ولا ضعيف.

---

(١١٧) سورة المؤمنون اية (١١٧) .

(١١٨) سورة المائدة أية ٣٥ .

٣ ـ منعه شد الرحال:

منع من شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة،كما جاء في الحديث الصحيح «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[١١٩].

ولم يلتفت الشيخ إلى تأويل المؤولين والمخالفين، كما أن شد الرحال لزيارة الأرحام، أو للسعى وراء الكسب خارج عن دائرة النزاع لأن هذه الأشياء وردت بها أوامر شرعية، وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرحال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وابن القيم، والجوينى، ولد إمام الحرمين من الشافعية، والقاضى عياض.

وليس للمجوز أية حجة يصح الاعتماد عليها.

٤ ـ البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك:

حرم الشيخ البناء على القبور وكسوتها،وتعليق الستور عليها وإسراجها،والكتابة عليها،وإقامة السدنة حولها،وزيارتها الزيارة الشركية التى تنجم منها مفاسد عديدة، كالتمسح بالقبور فى جلب نفع أو دفع ضر، واستند الشيخ فى منعه وتحريمه إلى أدلة صحيحة من الأحاديث كحديث:

«لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها مساجد»[١٢٠].

وحديث «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»...الخ.

وأمر الشيخ بهدم تلك القبب المشيدة اتباعاً بالأحاديث الصحيحة،كحديث أبى الهيَّاج الأسدى لما قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه:

«ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[١٢١].

وفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها قد سبقوا الشيخ بمنع هذه الأمور وتحريمها،وإن عبر بعضهم بالكراهة فى بعض منها، فإنما القصد كراهة التحريم لا التنزيه،والكراهة فى القرآن والسنة وعلى لسان السلف تطلق على التحريم.

(١١٩) رواه البخارى جـ ٣ ص ٦٣ فى كتاب فضل الصلاة، ورواه مسلم فى كتاب الحج جـ ٢ ص ٩٧٥.

(١٢٠) رواه الترمذى فى أبواب الصلاة ١٣٦/٢ وابو داود فى كتاب الجنائز ٢١٨/٣.

(١٢١) أخرجه مسلم فى كتاب الجنائز ٦٦٦/٢ فى باب الأمر بتسوية القبر.

(والكراهية بمعنى أنه لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها) اصطلاح حادث... لا عبرة له، كما لا عبرة بقول بعض الفقهاء بتحريم البناء على القبر، إن كان فى أرض مسبلة لئلا تضيق الأرض على الموتى، وإن كان فى ملكه بل يكره، وإنما قلنا لا عبرة به لأن الأحاديث مانعة من البناء، والأمر بهدمها عامة. وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخصصها.

وليست علة التحريم تضييق الأرض كما زعم أولئك ، بل العلة أن البناء يفضى إلى تعظيم المقبور ودعائه من دون الله، وهذا أمر شاهد وملموس لا يقبل الجدل أو النزاع.

٥ ـ توحيد الأسماء والصفات:

قد سبق ما جاء فى رسائل الشيخ، أنه فى المعتقد على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم من الأئمة الأربعة وغيرهم وهو إثبات الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تكييف، ولم يرق للمخالفين هذا الاعتقاد، حيث كانوا مؤولين ومقلدين للجهم بن صفوان والجعد بن درهم، مستمسكين بشبه فلسفية لا تتفق مع آى القرآن،والأحاديث الصحيحة،ومعتقد الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين،رضوان الله عليهم أجمعين.

٦ ـ إنكار البدع:

أنكر الشيخ البدع والمحدثات فى الفروع، كالاحتفال بالمولد، والتذكير قبل الآذان، والصلاة على الرسول بعد الآذان جهراً، والتلفظ بالنيه، وقراءة حديث أبى هريرة عند صعود الخطيب إلى المنبر.

كما أنكر طرائق الصوفية المبتدعة، وما إلى ذلك من المبتدعات التى لم يرد فى استحبابها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.

وقد ألَّف العلماء قبل الشيخ فى إنكار البدع والمحدثات،كابن وضاح،والطرطوشى ، والشاطبى.

الباب الثالث

الاستدلال على اعتماده فى مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة

وحان الآن الشروع فى الاستدلال من مؤلفات الشيخ فى اعتماده على الكتاب والسنة، ونبدأ بالأهم،وهو ما ألفه فى العقائد وأصول الدين والايمان،وفى هذا خمسة عشر فصلاً:

«الفصل الأول»
«فى ثلاث مسائل يجب تعلمها»

قال رحمه الله تعالى فيا يجب تعلمه ومعرفته على كل مسلم ومسلمة،وهو ضروري من ضروريات الدين،فذكر ثلاث مسائل:

١ ـ أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولاً،فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

٢ ـ أن الله لا يرضى أن يشرك معه فى عبادته أحد .

٣ ـ أن من وحد الله وأطاع الرسول وجبت عليه موالاة الله ورسوله، ووجب عليه بغض أعداء الله وأعداء رسوله.

ثم استدل على الأولى بقوله تعالى:

«إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا» (١٢٢)

(١٢٢) المزمل آية ١٥ .

واستدل على الثانية بقوله تعالى:

«وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا» (١٢٣).

ومعلوم أن الدعاء عبادة ،كما قال تعالى:

«وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (١٢٤).

فجعل العبادة هى الدعاء.

واستدل على الثالثة بقوله تعالى:

« لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (١٢٥).

نزلت فى أبى عبيدة رضى الله عنه لما قتل أباه فى بدر.

فمن أنصف من نفسه وجد الأمر واضحاً، حيث استدل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالقرآن الكريم فلم يوجب شيئاً من بنات أفكاره، ولا مقتبساً من إعداده.

---

(١٢٣) الجن آية ١٨ .

(١٢٤) غافر آية ٦٠ .

(١٢٥) المجادلة آية ٢٢ .

«الفصل الثانى»

«فى المسألة التى بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك»

وأرشد إلى ما به الفلاح والنجاح، وجعل ذلك فى أربع مسائل تعلمها من مقتضى الإسلام.

١ ـ العلم ثم بين المراد به بأنه معرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

٢ ـ العمل به.

٣ ـ الدعوة إليه.

٤ ـ الصبر على الأذى فيه.

ثم استدل على هذه المسائل الأربع بسورة من سور القرآن وهى قوله تعالى:

«وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ »(١٢٦).

والاستدلال من هذه السورة واضح (فآمنوا) أى عملوا، وهذا التفسير لاقتران العمل بالإيمان،وحيث أطلق الإيمان شمل العلم والقول والعمل، (وعملوا الصالحات) دلت على وجوب العمل بالعلم ، و (تواصوا بالحق) دلت على وجوب الدعوة إليه، و (تواصوا بالصبر) دلت على وجوب الصبر على الأذى فيه.

فهل ينكر هذا الاستدلال ومطابقته بما استدل عليه إلا مكابر معاند، وهذا غير معتبر.

وقد سبق إلى هذا الاستدلال الإمام الشافعى رحمه الله بقوله: (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

---

(١٢٦) سورة العصر آية ١ ـ ٣ .

«الفصل الثالث»

«مراتب الدين»

أنه جعل الدين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى أعم من الثانية، والثانية أعم من الثالثة.
المرتبة الأولى: الإسلام.
المرتبة الثانية: الإيمان.
المرتبة الثالثة: الإحسان.

وبعد أن بين معنى الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، وأن الإيمان هو التصديق بالباطن،إذ ذكر مقروناً مع الإسلام ـ لأن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان فالمراد به الأعمال الظاهرة، وإذا أفرد كل واحد منهما شمل الآخر.

وأن الإحسان أخص منهما،وهو لا يحتاج إلى تفسير أوضح مما فسر به الحديث، ثم استدل رحمه الله على هذه الأصول بحديث عمر بن الخطاب الذى رواه مسلم فى صحيحه،وفيه:أن جبريل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر له الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره، ثم سأل عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه،فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الخ الحديث(١٢٧)

ثم استدل رحمه الله على كل مسألة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان التى ذكرت فى الحديث وذلك فى آية من القرآن، ومن شك فى ذلك فليراجع ثلاثة الأصول من المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ والتى طبعتها الجامعة.

(١٢٧) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان جـ ١ ص ٣٧

وهذا نموذج مما استدل به على معنى لا إله إلا الله بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »(١٢٨).

ثم بين معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »(١٢٩)

واستدل على وجوب التوحيد والصلاة والزكاة، بقوله تعالى:

«وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ »(١٣٠)

واستدل على ركنية الصيام، بقوله تعالى :

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ »(١٣١).

واستدل على ركنية الحج، بقوله تعالى:

« وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ »(١٣٢).

---

(١٢٨) الزخرف آية ٢٦ـ ٢٨.

(١٢٩) التوبة اية ١٢٨ .

(١٣٠) البينة آية ٥ .

(١٣١) البقرة آية ١٨٣ ـ ١٨٤.

(١٣٢) ال عمران اية ٩٧ .

وأركان الإسلام الخمسة المتقدمة وهى شهادة أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة،وإيتاء الزكاة،وصوم رمضان،وحج البيت الحرام.. بين الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مبنى الإسلام وجمعها بقوله:

«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله،وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام».

من حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى رواه البخارى ومسلم.

فهل يمكن لأحد لديه مسكة من عقل أن ينكر اعتماد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الكتاب والسنة بعد استعراض هذه الأدلة على أركان الإسلام؟!

واستدل على بعث الناس بعد الموت،بقوله تعالى:

«مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ» (١٣٣).

وفى قوله تعالى:

«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» (١٣٤)

وحكم بالكفر على من أنكر البعث،واستدل بقوله تعالى:

«زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (١٣٥).

فعقيدة الايمان باليوم الآخر ركن من أركان الايمان.

فهل يستطيع إنكار هذه الأدلة إلا كافر معاند لوضوحها ومطابقتها للمستدل عليه،

وحكم بوجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

---

(١٣٣) طه آية ٥٥ .

(١٣٤) الزمر آية ٣٠ ـ ٣١

(١٣٥) التغابن اية ٧ .

واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا»(١٣٦).

والمقصود ببلد الشرك الذى لا يستطيع المسلم أن يظهر فيه شعائر دينه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الهجرة واضح، وذلك أن الله توعده بسوء المصير، ووصفهم بظلم أنفسهم ـ لأن المسلم لا يصح أن يبقى بين المشركين ذليلاً إلا إذا كان غير قادر، كما قال الله تعالى:

«إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا»(١٣٧).

كما استدل رحمه الله على أن أعظم ما أمر به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، قال تعالى:

«وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا»(١٣٨).

وبقوله جل وعلا:

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ»(١٣٩).

(١٣٦) النساء آية ٩٧ .
(١٣٧) النساء آية ٩٨.
(١٣٨) النساء آية ٣٦ .
(١٣٩) الذاريات آية ٥٦ ـ ٥٧ .

وبقوله تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ...» [140]

وقوله تعالى:

«قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ» [141].

وما استدل به من هذه الآيات واضح جلى، وإذا يثبت عند العاقل أن هذه المسألة هى أساس الدين، وأصل دعوة محمد بن عبدالوهاب.

ويتبين له أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يدع إلى شئ مجهول، ولم يأت بشئ من عنده لاتباع ما يقول بالأدلة.

وبين رحمه الله أن أساس دعوته هى التى من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ثم استدل بقوله تعالى:

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ» [142].

---

(١٤٠) الإسراء آية ٢٣ .

(١٤١) الأنعام آية ١٥١ .

(١٤٢) النحل آية ٣٦ .

الفصل الرابع

فى اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة

واعتنى الشيخ رحمه الله فى تحقيق توحيد العبادة وبيان ما ينافيه أو ينافى كماله، وألف فى ذلك كتابا عظيماً أسماه «كتاب التوحيد»،جعله سبعة وستين باباً، وكل باب منها ليس له فيه إلا مجرد العنوان والترجمة المتضمنة للحكم، ثم يستدل على هذا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وأعقب كل باب بمسائل عظيمة تستفاد منه،وقد صدر هذا الكتاب بوجوب توحيد العبادة، فاستدل على وجوب التوحيد بقوله تعالى:

«وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا»(١٤٣).

ونظائرها من الآيات ومن الأحاديث النبوية ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له:

«أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله.. فقال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال عليه السلام: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»(١٤٤).

فدل هذا الحديث أن لله حق على العباد،وهو عبادته وعدم الشرك به، وبعد أن بين الشيخ وجوب التوحيد بين فضله.

قال الشيخ: باب فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، ثم استدل بآية الأنعام:

«ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ»(١٤٥)

---

(١٤٣) النساء اية ٣٦ .

(١٤٤) أخرجه البخارى فى كتاب اللباس. باب إرداف الرجل خلف الرجل حديث رقم ٥٩٦٧، جـ١٠ ص ٣٩٧، ومسلم فى كتاب الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث ٣٠ جـ١ ص ٥٨.

(١٤٥) الأنعام ٨٢ .

وبجملة أحاديث كلها تدل على فضل التوحيد دلالة واضحة، منها ما أخرجاه فى الصحيحين عن عتبان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله حرّم الله وجهه على النار»(١٤٦)

فانظر إلى هذا الاستدلال ووضوحه من الآيات والأحاديث.

ثم قال : باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لا يستطيع أحد أن ينكر الاستدلال بها، ثم قال: باب الخوف من الشرك.. واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ»(١٤٧).

فإذا حكم على المشرك بعدم المغفرة وجب الخوف من الشرك، واستدل بآيات أخرى وأحاديث نبوية كلها واضح فيها وجه الاستدلال، واستدل على وجوب الدعوة إلى التوحيد بقوله تعالى:

«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى»(١٤٨).

وحديث ابن عباس فى بعث معاذ إلى اليمن، وتعليمه كيف تكون الدعوة،واستدل أيضاً على وجوب الدعوة وفضلها فى حديث سهل فى فتح خيبر،والشاهد منه قول الرسول لعلى بن أبى طالب «ثم ادعهم إلى الإسلام» مبيناً فضل هذه الدعوة لقوله: «فوالله لأنْ يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(١٤٩).

ثم قال رحمه الله: باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»(١٥٠).

(١٤٦) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة حديث رقم ٤٢٥ جـ١/٥١٩.

(١٤٧) النساء ٤٨ .

(١٤٨) يوسف ١٠٨ .

(١٤٩) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد. باب دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. حديث رقم ٢٩٤٢ جـ ١١١/٦ .

(١٥٠) الزخرف آية ٢٦ ـ ٢٨

وبحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل»[151].

ثم ابتدأ بجزئيات تنافى التوحيد وتنافى كماله، منها: لبس الحلقة لجلب النفع أو لدفع الضر، وأبطل ذلك بقوله تعالى:

«قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ»[152].

وبقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى رأى عليه حلقة من صفر وأخبره بأنها عن الواهنة فقال له: «انزعها لا تزيدك إلا وهنا» واستدل على بطلان التمائم بقوله عليه الصلاة والسلام: «من علق تميمة لا أتم الله له»[153] وغير ذلك من الأحاديث.

واستدل رحمه الله على بطلان التبرك بالأشجار والأحجار بآية

«أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ»[153م]

وبحديث فيه، أن الصحابة طلبوا من الرسول أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها.فأنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الإنكار، واستدل على صرف الذبح لله وتحريمه لغير الله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

وهكذا فى سائر أبواب مؤلفه رحمه الله المسمى بكتاب التوحيد.

ومن شك فى ذلك فليراجع هذا المؤلف،فإنه سيجد ما يشفيه ويكفيه من الأدلة ويطمئنه ويؤكد له أن الشيخ يعتمد اعتماداً كلياً على الكتاب والسنة لاسيما فى باب التوحيد والعقائد وكشف الشبهات.

---

(١٥١) أخرجه البخارى فى كتاب الايمان حديث رقم ٢٥ جـ١/٧٥ ومسلم فى الايمان حديث ٢٠ جـ١/٥١.

(١٥٢) الزمر ٣٨ .

(١٥٣) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الطب ـ باب تعليق التمائم حديث رقم ٣٥٣١ جـ ٢ ص ١١٦٧ ·

(١٥٣م)النجم ١٩-٢٠.

من مؤلفات الشيخ

كشف الشبهات بأدلتها

وهاك نموذجا مما قاله واستدل عليه فى هذا المؤلف، ولعلك تراجع بقيته، فيتضح لك استدلال الشيخ على كل مسألة وشبهة إن كنت شاكاً فى اعتماد الشيخ فى دعوته على الكتاب والسنة.

ذكر إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، وذكر أنه لم يدخلهم فى الإسلام بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقروا بتوحيد العبادة، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ »(١٥٤).

وقولـــه:

«قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ »(١٥٥).

---

(١٥٤) يونس اية ٣١ .

(١٥٥) المؤمنون من آية ٨٦ ـ ٨٩

وغير ذلك من الآيات، فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعرف أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلا صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك،ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى:

«فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (١٥٦).

وقـــال:

«لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ» (١٥٧).

وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله،والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسـلام،وأن قصدهـم الملائـكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم.

عرفت حينئذٍ التوحيد الذى دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك «لا إله إلا الله».

فدل هذا الكلام المتقدم والذى سننقله لك عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب،وقد فهمه من نصوص القرآن على ما يأتى:

١ ـ أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية.

٢ ـ أنه لم يدخلهم فى الإسلام.

---

(١٥٦) سورة الجن اية ١٨ .

(١٥٧) الرعـد اية ١٤ .

٣ ـ أن معنى «لا إله إلا الله» يشمل النوعين.

٤ ـ أن الكفار الذين قاتلهم الرسول ﷺ يفهمون معناها، ولهذا قالوا كما حكى الله عنهم:

«أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ »(١٥٨).

٥ ـ أن كفار أهل زماننا لا يفهمون معناها لأنهم يقولونها، ومع ذلك تخالفه أفعالهم، فيعبدون القبور، ويدعون الأولياء والصالحين، ولو عرفوا معناها حقيقة لما عبدوهم وما استغاثوا بهم، وأما الكفار لم ينطقوا بها لأنهم لم يعملوا بمعناها، وكل هذا ساق الشيخ عليه الأدلة، وبين أن الشرك لا يغفر لصاحبه، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ»(١٥٩).

وبين أن من عرف دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد دينا سواه، أنه يستفيد فائدتين.

الأولى : فضل الله ورحمته، ثم استدل بقول الله:

« قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ»(١٦٠)

الثانية : الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، ثم استدل بطلب قوم موسى مع صلاحهم.

«ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ»(١٦١).

(١٥٨) سوره ص آية ٥ .

(١٥٩) النساء آية ٤٨ .

(١٦٠) سورة يونس آية ٥٨ .

(١٦١) الأعراف ١٣٨ .

فاستدلال الشيخ على هاتين الفائدتين بهاتين الآيتين واضح لا يستطيع أحد إنكاره.

وفي سياق كشف الشبهات بين رحمه الله بأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء.

ثم استدل على ما قاله بقوله تعالى:

«وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ» (١٦٢)

واستدل أيضاً رحمه الله بأن هؤلاء الأعداء قد يكون لهم حجج وعلوم، يقول تعالى:

«فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ» (١٦٣).

ثم بين أن الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقاتل به الأعداء الذين قعدوا له على الطريق، كما قال إمامهم ومقدمهم:

«لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ» (١٦٤).

ثم بين أن هؤلاء الأعداء يضعفون أمام من تسلح بدين الله، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا» (١٦٥).

ثم بين أن العامي من الموحدين يغلب الألف من غيرهم، وأنه لا خوف عليه إذا سلك الطريق وإنما الخوف على ضعيف التوحيد، واستدل بقوله تعالى:

«وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ» (١٦٦).

---

(١٦٢) الأنعام ١١٢ .

(١٦٣) غافر ٨٣ .

(١٦٤) الأعراف ١٦ ـ ١٧ .

(١٦٥) النساء ٧٦ .

(١٦٦) الصافات ١٧٣ .

ثم استدل رحمه الله على أنه مهما جاء أهل الباطل بشبهة ففى القرآن ما يبطلها، واستدل بقوله تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا»(١٦٧).

وهذه الآيات عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

ثم ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بأنه سيكشف هذه الشبه بآيات قرآنية، وأن لهم جوابين مجمل ومفصل، أما المجمل - فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ»(١٦٨)

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله - فاحذروهم»(١٦٩).

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين:

«أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»(١٧٠)

وأن الشفاعة حق - وأن الأنبياء لهم جاه عند الله.

وذكر كلاماً للنبى عليه الصلاة والسلام يستدل به على شئ من باطله - وأنت لا تفهم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر فى كتابه أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه .

وهكذا استمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى إيراد الشبه وجوابها، والاستدلال على بطلانها من القرآن والسنة، يجد ذلك واضحاً من أحب الحقيقة واطلع على كشف الشبهات، والمقصود ذكر نموذج منه كما تقدم.

---

(١٦٧) الفرقان اية ٣٣ .

(١٦٨) ال عمران اية ٧ .

(١٦٩) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير. باب منه أيات محكمات. حديث رقم ٤٥٤٧ جـ٨/٢٠٩.

(١٧٠) يونس ٦٢ .

الفصل الخامس

القواعد الأربع التى قرر بها توحيد العبادة

من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب : القواعد الأربع التى قرر بها توحيد العبادة وأنه لا يكون خالصاً إلا بنفى الشرك، وأن الشرك مع العبادة كالحدث مع الطهارة ضدان لا يجتمعان، فكما لا تصح الصلاة مع الحدث فإنها لا تصح عبادة مع الشرك.

وأوضح ذلك بهذه القواعد الأربع التى تدل على اعتماد دعوته وفقهه على الكتاب والسنة:

«القاعدة الأولى»:

أن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لا يدخل فى الإسلام، ثم استدل بقوله تعالى:

« قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ »[١٧١].

فأقروا بهذه الآيات الخلقية الكونية وأن القادر عليها هو الله، ومع ذلك قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام،فلو كان كافيا لما قاتلهم، ولما طلب منهم توحيد العبادة ـ فاستدلال الشيخ واضح واعتماده على الكتاب والسنة صريح.

«القاعدة الثانية»:

أنهم يتوسلون بمعبوداتهم إلى الله ويتشفعون بهم ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر، فدل على أن المطلوب أن يعبدوا الله مباشرة دون واسطة، وأن يطلبوا منه شفاعة نبيهم لهم.

---

(١٧١) يونس آية ٣١.

واستدل على أن شفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة لا تطلب إلا من الله، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم استدل على ذلك كله بآيات قرآنية منها قوله تعالى:

«وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ» (١٧١م)

ووجه الاستدلال أنه حكم على من اتخذ الواسطة بالكفر(١٧٢).

«القاعدة الثالثة»:

أن النبى صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين فى عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

ومقصود الشيخ أن عبادة ما سوى الله على حد سواء بالكفر وبالمقاتلة للرجوع عن ذلك، ثم استدل على بطلان عبادة أى نوع من هذه المخلوقات بدليل من القرآن.

«القاعدة الرابعة»:

فيها أن الشيخ حكم على أن شرك أهل زمانه أشد وأغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة، وأهل زمانه يشركون فى الرخاء والشدة، بل كلما اشتد عليهم الأمر ازدادوا لجوء وتضرعاً ودعاء لمعبوداتهم، ثم استدل بقوله تعالى:

«فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (١٧٣).

فهل ينكر وجه الاستدلال واعتماد الشيخ على الكتاب والسنة إلا مكابر ومعاند.

(١٧١م) سورة الزمر اية ٣ .

(١٧٢) راجع القواعد الأربع فى القسم الأول من مطبوعات الجامعة من مؤلفات الشيخ فى العقائد ص ١٩٧ تجد ذلك واضحا جليا وأن الشيخ لم يأت بشيء من بنات أفكاره ولا استوردها من غيره.

(١٧٣) سورة العنكبوت اية ٦٥ .

الفصل السادس

ما ورد فى مؤلفه كتاب

« فضل الإسلام » من اعتماده على الكتاب والسنة

ومن الأمثلة على اعتماد الشيخ فى دعوته على الكتاب والسنة ما جاء فى مؤلفة «فضل الإسلام»:

١ ـ استدل على فضل الإسلام بقوله تعالى:

« ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا »(١٧٤)

ووجه الاستدلال على فضل الإسلام أن الله رضيه لنا دينا ندين الله به، ونتقرب به إليه، فلو كان هناك وسيلة أفضل من الإسلام لرضيها لنا.

ثم استدل الشيخ رحمه الله على فضل هذا الإسلام الذى رضيه لأمة محمد ديناً، أن ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم ليكون لهم عيد الأسبوع ـ لذا قال عليه الصلاة والسلام «نحن الآخرون السابقون» من حديث أبى هريرة الذى أخرجه البخارى(١٧٥).

---

(١٧٤) المائدة اية (٣) .

(١٧٥) أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء حديث رقم ٢٣٨ جـ١/٣٤٥.

٢ ـ قال رحمه الله ـ باب وجوب الإسلام ـ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى:
(١٧٦)، (١٧٧)

« وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »

فلو لم يكن الإسلام واجباً لما حكم بالخسران على من ابتغى غيره، ولا نفى قبول غيره، ومن السنة استدل بحديث عائشة رضى الله عنها عن رسول الله قال:
«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه..[١٧٨]

فدل على وجوب الإسلام حيث حكم عليه الصلاة والسلام برد الأعمال التى ليست على أمره ـ راجع وجوب الإسلام ص ٢٠٧ من كتاب فضل الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٣ ـ قال: باب تفسير الإسلام.. ثم استدل بقوله تعالى:

« فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ »[١٧٩].

فدلت الآية على أن الإسلام معناه..

الاستسلام والانقياد كما قال تعالى:

«بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ »[١٨٠]

---

(١٧٦) ال عمران ٨٥ .

(١٧٧) راجع القسم الأول فى العقائد من مؤلفات الشيخ ص ٢٠٦ .

(١٧٨) رواه مسلم بهذا اللفظ فى كتاب الاقضية حديث رقم ١٧١٨ جـ٣/١٣٤٣، ورواه البخارى فى كتاب الاعتصام معلقاً حديث ٢٠ جـ١٣/٣١٧.

(١٧٩) ال عمران ٢٠ .

(١٨٠) البقرة ١١٢ .

ومن السنة من حديث عمر رضى الله عنه أن السائل قال للرسول: ما الإسلام: فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله،وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة،وتؤتى الزكاة،وتصوم رمضان،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا».

ففسر الإسلام بهذه الأعمال، وهكذا إذا قرأ المنصف هذا المؤلف ـ أعنى فضل الإسلام ـ وجد وضوح الاستدلال ومطابقته للترجمة وأن استدلاله بالكتاب والسنة،

الفصل السابع

فيما ألفه فى أصول الإيمان

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله «أصول الإيمان»، عنون لكل أصل واستدل عليه، وهاك نموذجاً من استدلالاته على تراجمه وعناوينه، وإن أردت المزيد فراجع القسم الأول فى العقائد من مؤلفات الشيخ التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١ ـ قال رحمه الله: باب معرفة الله والإيمان به، ثم ساق حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم، وفيه أن الله يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً وأشرك معى فيه غيرى تركته وشركه»(١٨١).

فمن عرف الله حق المعرفة وآمن به أخلص فى عبادته، ولم يشرك معه غيره، وعلى هذا فاستدلال الشيخ بالحديث واضح، وهكذا استمر فى سرد الأدلة على وجوب معرفة الله والإيمان به، راجع قسم العقائد من مؤلفاته ص ٢٢٩.

٢ ـ قال: باب الإيمان بالقدر، ثم استدل بجملة آيات منها:

« وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا »(١٨٢)

فإذا كان مقضياً وجب الإيمان به، كما قال تعالى:

« إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ »(١٨٣).

والأدلة على هذا المعنى ـ أى الإيمان بالقدر كثيرة ـ ساق الشيخ منها جملة

---

(١٨١) رواه مسلم فى كتاب الزهد والرقائق حديث رقم ٢٩٨٥ جـ٤/٢٢٨٩.

(١٨٢) الأحزاب آية ٣٨ .

(١٨٣) الأنبياء آية ١٠١ .

يستنير بها العاقل المنصف ويقوى بها إيمان المؤمن، ويعرف من خلالها أن عدم الايمان بالقدر مخل فى أصول الإيمان، بل ومناف له.

٣ - الايمان بالملائكة من أصول الايمان كما ترجم الشيخ لذلك ص ٢٤٨ من القسم الأول «العقائد» من مؤلفات الشيخ، استدل رحمه الله بقوله تعالى:

«لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ»(١٨٤).

والاستدلال من الآية واضح على وجود ملائكة ، والايمان بهم إذ لو لم يوجدوا لما وجب الايمان بهم.

٤ - من أصول الايمان «الايمان بالقرآن وسائر الكتب المنزلة» ولما كان الأخذ بالقرآن واجباً، عنون الشيخ بهذا العنوان «باب الوصية بكتاب الله» لأنه المهيمن على الكتب السابقة، فهى وإن وجب الايمان بها فالعمل بالقرآن لهيمنته عليها.

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى:

«ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ»(١٨٥).

ووجه الاستدلال واضح حيث أمر باتباع الكتاب، والأمر للوجوب ونهى عن اتباع غيره، والنهى للتحريم.

وهكذا كلما استمر القارى مع هذا المؤلف للشيخ - أعنى - أصول الايمان- وجد الأدلة مطابقة للتراجم، وهى من الكتاب والسنة،فلا حجة لمن أنكر اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

(١٨٤) البقرة اية ١٧٧ .

(١٨٥) الأعراف اية ٣ .

الفصل الثامن

وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم

واستدلاله على ذلك

ومن أصول الايمان وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم، واستدل الشيخ رحمه الله على ذلك بعدة أدلة منها:

ما يدل على طاعته بأسلوب الأمر، ومنها أن جعل طاعته سبباً للرحمة، أما الأولى فقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»(١٨٦).

وأما الثاني ففى قوله تعالى:

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»(١٨٧).

واستدل أيضاً بقوله تعالى:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ»(١٨٨).

---

(١٨٦) النساء اية ٥٩ . (١٨٧) النور اية ٥٦ . (١٨٨) الحشر اية ٧ .

فمن حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بما جاء فى هذه الآيات، وكما فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به».

فجعل من حقه الإيمان بما جاء به، وهذا أكبر دليل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع

فى لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك

ومن أصول الايمان لزوم السنة والترغيب فى ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك، كما ترجم الشيخ بهذا اللفظ،ثم استدل بأدلة واضحة على ما ترجم له، منها قوله تعالى:

«لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا»(١٨٩).

وحديث العرباض بن سارية قال:

«وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وفيه وإياكم ومحدثات الأمور».

راجع أصول الايمان ـ القسم الأول من مؤلفات الشيخ طبعة الجامعة ص ٢٦٢ .

---

(١٨٩) الأحزاب اية ٢١ .

الفصل العاشر

فى وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك

قال رحمه الله: باب فى وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين، قول الله تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ»[190]

وقوله تعالى:

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ»[191].

وساق رحمه الله نصوصاً كثيرة فى هذا الموضوع، واستدلالاته من هاتين الآيتين واضح فى اعتماده على الأدلة.

---

(١٩٠) النساء آية ١٤٠ .

(١٩١) الممتحنة آية ١ .

الفصل الحادى عشر

من كتابه «مسائل الجاهلية»

ومن تأليفاته رحمه الله «مسائل الجاهلية» التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، عما لا غنى للمسلم عن معرفتها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء. فأهم ما فيها وأشدها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم،فإن أضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية،لحقت الخسارة، كما قال تعالى:

« وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ »(١٩٢).

ونتقل لك أيها القارئ نموذجاً من هذه المسائل لتتأكد من اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة فى جميع مؤلفاته:

المسألة الأولى: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادتهم لهم،يريدون بها شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه،كما قال تعالى:

« وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ »(١٩٣).

---

(١٩٢) العنكبوت اية ٥٣ .

(١٩٣) يونس اية (١٨) .

وقال تعالى:

«وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ »(١٩٤)

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

وهذه المسألة تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة ،ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى:

« وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ »(١٩٥).

المسألة الثانية : أنهم متفرقون فى دينهم، كما قال تعالى:

« كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ »(١٩٦).

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولى الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة،والسمع والطاعة له ذل ومهانة.

فخالفهم رسول الله وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لهم،وغلظ فى ذلك وأبدى فيه وأعاد.

وهذه الثلاث جمع بينها الرسول فى الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً:

---

(١٩٤) سورة الزمر اية ٣ .

(١٩٥) سورة البقرة اية ١٩٣ .

(١٩٦) الروم اية ٣٢ .

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»(١٩٧).

ولم يقع خلل فى دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها، فهذه المسائل الثلاث من مائة وثمان وعشرين مسألة كلها على هذا النمط من حيث الاستدلال بالكتاب والسنة.

---

(١٩٧) أخرجه مسلم فى كتاب الأقضية حديث رقم ١٧١٥ جـ٣/١٣٤٠ وليس فيه (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). وأخرجه مالك فى الموطأ بهذا اللفظ فى كتاب الكلام حديث ٢٠ جـ٢/٩٩٠.

الفصل الثانى عشر

ستة موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ستة موضوعات من السيرة كلها باستناد من الكتاب والسنة، وأنقل لك موضوعاً من هذه الموضوعات «قال رحمه الله ـ الموضوع الثانى ـ أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده وهو التوحيد، لم يكرهوا ذلك، واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلا أنه لما صرح بنبذ دينهم، وتجهيل علمائهم، حينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا:

سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وسب آلهتنا، ومعلوم أن الرسول لم يسب عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين، ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون، جعلوا ذلك سباً وشتماً ـ فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى:

«لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ»(١٩٨).

(١٩٨) المجادلة آية ٢٢ .

الفصل الثالث عشر

من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب

ومن مؤلفاته رحمه الله (تلقين) أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعنى، وهذه الرسالة توجد فى المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ التى طبعتها الجامعة ص ٣٧٠،وهى رسالة عظيمة وقواعد ثابتة لا مدخل للتقليد ولا للاجتهاد، بل كل سؤال وجواب مصحوب بالاستدلال، وهاك نموذجا منها:

المثال الأول: أولا قال رحمه الله (إذا قيل لك من ربك؟ فقل ربى الله، فإذا قيل لك: ما أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض، فإذا قيل بماذا تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، وإذا قيل لك ما أعظم ما فى آياته؟ فقل: الليل والنهار،والدليل على ذلك..

«إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ»(١٩٩).

المثال الثانى: فإذا قيل لك: لأى شئ خلقك؟ فقل: لعبادته، فإذا قيل لك ما الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»(٢٠٠).

(١٩٩) الأعراف اية ٥٤ .

(٢٠٠) الذاريات اية ٥٦ .

المثال الثالث: وإذا قيل لك: أى شيء فرض أولا عليك؟ فقل: كفر بالطاغوت وإيمان بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى:

«لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»[٢٠١].

وهكذا استوفى الشيخ رحمه الله الأصول الثلاثة وهى: معرفة الرب - ومعرفة الإسلام - ومعرفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، بهذه الطريقة وبطريقة السؤال والجواب، وبعد قراءتها يتضح لنا أن الشيخ بين دعوته وفقهها للخاص والعام، وأنها قائمة على الكتاب والسنة.

---

(٢٠١) البقرة اية ٢٥٦ .

الفصل الرابع عشر

فى معنى الطاغوت

وقال رحمه الله: (معنى الطاغوت ورءوس أنواعه).

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله،والدليل قوله تعالى:

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ» (٢٠٢)

ثم استمر رحمه الله يشرح معنى الكفر بالطاغوت - ومعنى الطاغوت - والدليل على كل معنى، ومن شك فى هذا الاستدلال فليراجع ص ٣٧٦ من قسم العقيدة من مؤلفاته. ومؤلفاته ورسائله كثيرة جداً ومصحوبة بالأدلة، ولعلنا نكتفى منها بهذا المقدار، وجزى الله من تسبب فى جمعها وطبعها خير الجزاء.

(٢٠٢) النحل آية ٣٦ .

الفصل الخامس عشر

فى كتابه « الكبائر »

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ما أسماه «بالكبائر»، وشمل بذلك كبائر القلوب واللسان والأعمال، فنص على كل كبيرة بعنوانها ودليلها، والمراد بها عند جمهور العلماء ما تنقص الإيمان ولا تخرج منه، وفى الآخرة تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها فى النار، وإليك الأمثلة من هذه الكبائر لتعرف أن الشيخ رحمه الله يعتمد فى مؤلفاته على الكتاب والسنة.

المثال الأول: استدل على وجود الكبائر وأنها غير الشرك والكفر بقوله تعالى:

«ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ»(٢٠٣).

وقوله تعالى:

«إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ»(٢٠٤)

فدلت هاتان الآيتان على أن فى الذنوب كبائر غير الشرك، لأن الشرك لا يغفر لصاحبه إن مات عليه.

المثال الثانى: كبائر الأعمال - قال الشيخ - باب أكبر الكبائر - ثم استدل بحديث أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(٢٠٥) ودلالة هذا الحديث واضحة على ما عنون له الشيخ وهو أكبر الكبائر.

(٢٠٣) النجم ٣٢ (٢٠٤) النساء ٣١

(٢٠٥) رواه البخارى فى كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٤ جـ٥/٢٦١، ومسلم فى كتاب الإيمان حديث ٨٧ جـ١/٩١.

المثال الثالث: على كبائر القلب،واستدل رحمه الله بحديث أبى هريرة الذى أخرجه مسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[٢٠٦] وحديث النعمان بن بشير «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »[٢٠٧].

فدل هذان الحديثان على أن القلب أساس الأعمال والأقوال وأنه مبنى على المؤاخذة والمجازاة.

وهكذا استمر الشيخ فى بيان الكبائر وجمعها،وإن دل هذا فإنما يؤكد على أنه كاشف وموضح ما جاء فى الكتاب والسنة[٢٠٨].

---

(٢٠٦) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة حديث [٢٥٦٤]،واحمد فى المسند ٢/٢٨٥

(٢٠٧) رواه البخارى فى كتاب الايمان حديث رقم [٥٢] ١/١٢٦

(٢٠٨) راجع كتاب الكبائر ـ المجلد الأول فى العقائد والآداب والأخلاق من مؤلفات الشيخ

الباب الرابع

فى مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد
وفيه تمهيد وعشرون فصلاً

التمهيد:

الغرض من هذا الباب ما يأتى:

١ ـ لفت نظر المسلم إلى فقه هذا الإمام فى العقيدة والفروع.
٢ ـ إيقاف القارئ على بعض مؤلفاته فى غير العقيدة ليتضح له صلتها بالكتاب والسنة .

٣ ـ الإشارة إلى الفنون الشرعية التى خاض فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأن كل فن قد ألبسه حليته من الكتاب والسنة أو ما هو مستمد منهما.

الفصل الأول

فى مؤلفات الشيخ فى الحديث

لقد اعتنى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجمع الأحاديث وتبويبها فى موضوعات شتى، منها ما هو عام كنصيحة المسلمين وبيان فضل الإسلام، ومنها ما هو خاص فى العقائد كأصول الايمان، أو خاص بالكبائر لاسيما الكبائر التى هى من أعمال القلوب، وقد تقدم الإشارة إلى هذه المؤلفات فى هذه الفنون فى الباب الثالث، ومنها ما هو خاص فى الأحكام ومنها ما هو خاص فى الفتن والحوادث.

واشتدت عناية الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجمع أحاديث الأحكام على أبواب الفقه كما سبقه غيره من الأئمة، وهذا دليل واضح على أن الفقه لا يستغنى عن الحديث. فسار على أبواب الفقه، وجمع فى كل باب من أبوابه جملة أحاديث من الأحكام.

والهدف من كتابة هذا إيضاح عناية الشيخ بالكتاب والسنة عقيدة وفقها، فبدأ بكتاب الطهارة إلى آخر موضوعات الفقه مما يتعلق بالقضاء ووسائل الإثبات، ثم ختم ما جمعه من أحاديث الأحكام بمجموعة أحاديث فى الطب، وهذا المجموع فى أحاديث الأحكام كان مخطوطاً، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى أربع مجلدات، بلغ مجموع الأحاديث (٤٥٥١) أربعة آلاف وخمسمائة وواحد وخمسين حديثاً. فاستوفى جميع أبواب الفقه على ترتيب الفقهاء فى العبادات والمعاملات.

وإليك يا أخى القارئ أمثلة توضح طريقة الشيخ فى جمع أحاديث الأحكام مما يبرهن اعتماد فقهه دائماً فى العبادات والمعاملات على السنة.

أولاً: ذكر فى الطهارة فى باب المياه جملة أحاديث دلت على ما ينجس به الماء الطاهر وطهارة البحر، وأن الماء المستعمل لا ينجس، والنهى عن تنجيس الماء الراكد أو تقذيره حسب القلة أو الكثرة، وحكم استعمال الرجل لفضلة المرأة، وغسل اليدين بعد نوم الليل

قبل غمسهما فى الإناء، وجواز الوضوء من ماء زمزم، واستعمال الماء الحار.

وهذه الأحكام الفقهية كثيراً ما يذكرها الفقهاء عارية عن الدليل،ومنهم من يذكرها ثم يذكر الدليل، فالشيخ عمد إلى أدلة الفقهاء فجمعها فى هذا الباب، ثم استوعب جميع أبواب الطهارة سالكاً هذه الطريقة وهى باب الآنية، باب التخلى، باب السواك، باب الوضوء، باب المسح على الخفين، باب نواقض الوضوء، باب التيمم، باب إزالة النجاسة، وباب الحيض.

فهل ترى تصويب من رماه بالتعصب وهو على هذه الطريقة، إن المتعصب هو الذى يأخذ أقوال الإمام بغض النظر عن الدليل.

وهذا أبعد ما يكون عن إمامنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ثانياً: وذكر فى الصلاة الأدلة على وجوبها وفرضيتها، ومتى فرضت، وأنه لا يتم الإسلام إلا بإقامتها.

وذكر أن من صلى عصم دمه وماله ظاهراً وأن الباطن إلى الله، وذكر ما يدل على حكم تاركها وأنه كفر، واستدل على أهميتها وأنها أول ما يحاسب عنها يوم القيامة، واستدل الشيخ على ما يسقط وجوب الصلاة أو يسقط صحتها، كما استدل على وقت إبتداء الأمر بالصلاة مما يدل على أنها آكد الأعمال فى الإسلام وأهمها.

واستدل على حكم من فوت وقت الصلاة بعذر أو بغير عذر، ومتى تقضى ومتى لا تقضى.

فما أعظمه من فقه.

كما استمر فى سائر موضوعات الصلاة على أبواب الفقه، وأذكر لك عناوين الموضوعات التى ذكرها واستدل عليها وهى عناوين الفقهاء.

باب الآذان، باب المواقيت، باب ستر العورة، باب اجتناب النجاسة، باب استقبال القبلة، باب النية، باب صفة الصلاة، وباب سجود السهو.

الفصل الثانى

فى فضائل الأعمال

مما يدل على فقه هذا الإمام أنه ذكر جملة أحاديث بلغت (٢٩) تسعة وعشرون حديثاً فى فضائل الأعمال،وجعل موضعها بعد ذكر حكم الصلاة وما يشترط لها، وصفتها وسجود السهو لها، وصنيعه هذا لم يسبقه أحد ممن اطلعت على مؤلفاتهم فى جميع أحاديث الأحكام.

وأشار فى هذا الباب إلى ما يتصل بفضل أركان الإسلام والإيمان بالله وما يتصل بالمخلوقين، وما يتصل بالأموال، وما فعله فضيل، وما تركه فضيل، وما يؤجر به على نيته إذا فاته عمله.

ففقه إمامنا فى هذا الموضوع مما يدل على الرغبة الأكيدة والفقه العميق،وذلك لما يأتى:

١ ـ اختياره للأحاديث الصحيحة والمحتج بها.

٢ ـ إيمانه الواضح بوعد الله ووعد رسوله.

٣ ـ انه أراد بذلك أن يرغب المسلم فى الأعمال الصالحة بحيث أنه لا يعملها لمجرد أنها لازمة فقط ، فاللازم لا محيد عنه، ولكن من قام بهارغبة فى الثواب المرتب عليها، نال رضى الله وأدى الواجب،وتحصل على الثواب،وسلم من العقاب.

٤ ـ مما يدل على فقه الشيخ فى هذا الباب شمول هذه الأحاديث التى ساقها لشتى مجالات الأعمال فعلاً وكفاً،حقاً للخالق أو للمخلوق أو للنفس.

«انظر المجلد الأول فى الحديث صفحة ٥٥٣»

الفصل الثالث

فى صلاة التطوع

ومن فقه هذا الإمام أن جمع أحاديث فى الصلاة غير المفروضة يبلغ عددها (٦٨) ثمانية وستون حديثاً اشتملت على النقاط التالية:ـ

١ ـ ما تأكد التطوع به من الصلوات، كرواتب الفرائض والوتر.

٢ ـ ما هو مستحب فى بعض الأوقات كصلاة الضحى والتنفل قبل العصر وصلاة الليل.

٣ ـ بيان أوقات المؤكد من صلوات التطوع.

٤ ـ بيان ما استحبت قراءته فى بعض صلوات التطوع.

٥ ـ صفة التنفل المطلق فى الليل أو النهار.

٦ ـ بيان فضل التراويح فى رمضان، وفضل الاجتماع فيها، وعدد ركعاتها، ومن أول من جمع الناس على إمام واحد لها.. وغير ذلك.

وهذه وتلك مما يدل على فقه هذا الإمام .

«راجع المجلد الأول فى الحديث صفحة ٥٦٨»

الفصل الرابع

فى فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى قراءة القرآن

وبعد أن ساق شيخنا محمد بن عبدالوهاب أحاديث الأحكام فى صلاة التطوع،أعقبه بمجموعة أحاديث تتضمن الفقه فى قراءة القرآن، منها ما يدل على جواز القراءة مع ملامسة الحائض، ومنها ما يدل على ترتيل القرآن وكراهية الهذ له كهذ الشعر وأنه لا ينفع إلا إذا رسخ فى القلب، ومنها ما يدل على التسبيح فى القرآن فيسبح عند آية التسبيح ويتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل الله من فضله عند آية الوعد، ومنها أن قارئ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ومنها ما يدل على فضل القراءة ومقدار هذا الفضل، ومنها ما يدل على فضل سماع القرآن من غيره، ومنها ما يدل على كراهية التطريب للقرآن، ومنها ما يبين كيفية القراءة جهراً وإخفاء ونطقاً وتكراراً عندما تقتضى الحال ذلك.

كما ردد صلى الله عليه وسلم قوله: «إن تعذبهم فإنهم عبادك» حتى أصبح.

وذكر المؤلف آثاراً تدل على قراءة الناس بصوت واحد، ونهى من نسى شيئاً من القرآن لا يقول نسيت بل يقول أنسيتها.

ومنها ما يدل على تحريم القول فى القرآن بغير علم،وأنه لا يقرب بعضه لبعض.وأن ما علم منه يقال وما جهل فيرد إلى عالمه.

ومنها ما يدل على عدم الغلو فى القرآن وعدم جفوته وعدم التأكل به والاستكثار به، ومنها ما يدل على توقيت لقراءة القرآن كله بحيث يُفهم من هذا التوقيت عدم الغلو وعدم الجفوة.

ومن آداب قراءة القرآن عدم الإحداث والتثاؤب وهو يقرأ،واستدل الشيخ على ذلك من السنة.

ومن فقه هذا الباب أن ذكر شيخنا أنه يكره تأول شئ من القرآن بأمر من أمور الدنيا.

ومن فقهه أيضاً التأدب بطريقة السؤال عن الآية بحيث يقرأ السائل الآية ويقف عند ما أشكل عليه ولا يقل هل هذه الآية كذا وكذا فإنه يلبس على المسئول.

فما أعظمها من دلالة على فقه شيخنا لهذه الأحاديث.

وساق شيخنا آثاراً تدل على فضل ختم القرآن والدعاء عند ختمه.

ولسجود التلاوة وسجود الشكر فقه وآداب،ذكر عليها المؤلف جملة من الأحاديث كبيان مواضع سجود التلاوة فى القرآن، وسجود القارئ والسامع والمصلى وغير المصلى وأن غير القاصد للاستماع لا يسجد، وأن سجود التلاوة ليس بلازم، وأنه يقوم ثم يخر ساجداً.

والدعاء أثناء سجود التلاوة،وأنهم إذا كانوا جماعة فالقارئ هو الإمام وأن حكمها حكم النفل فى السفر، ومن هذه الآثار ما يدل على أنها ليست صلاة.

وبين سجود الشكر متى يكون وما يدل على مشروعيته.

ثم بين شيخنا أوقات النهى عن الصلاة وما يكره فيه دفن الموتى.

فمثل هذه الأحاديث فى هذه الموضوعات يعز على غير الفقيه جمعها، ثم استمر الشيخ يجمع أحاديث صلاة الجماعة والإمامة وأهل الأعذار، والخوف، والجمعة،والعيدين، والكسوف، والاستسقاء، وصلاة الجنائز.

ولم أتعرض لفقه هذه الأبواب كبعض الأبواب السابقة فى الطهارة وأول الصلاة مثل ما عرضت فقه فضل الأعمال، وصلاة التطوع وقراءة القرآن، لكون منهجه فى هذه الأبواب الأخيرة فيه شئ من المغايرة عن منهج الفقهاء.

الفصل الخامس

فى الزكاة

لما أنهى الشيخ جمعه لأحاديث الأحكام والصلاة فى الجملة،شرع يجمع أحـاديث أحكام الزكاة على منهج الفقهاء، ولم يكد يهمل مسألة من مسائل الفقهاء إلا ذكر دليلها.

وعناوين الأبواب توضح لك هذا المنهج، ويتضح لك أكثر حينما تقرأ الأحاديث تحت هذه العناوين،وهى كالتالى:ـ

١ ـ ابتدأ بما يدل على وجوب الزكاة.

٢ ـ زكاة بهيمة الأنعام؛وهى أحد الأموال الزكوية،ثم فصل فى بهيمة الأنعام،وهى الإبل والبقر والغنم.

٣ ـ زكاة الخارج من الأرض.

٤ ـ زكاة الأثمان.

٥ ـ زكاة العروض.

٦ ـ زكاة الفطر.

٧ ـ باب الصدقة.

الفصل السادس

فى بر الوالدين وصلة الأرحام

مما غاير به الشيخ محمد بن عبدالوهاب سائر العلماء الذين جمعوا أحاديث الأحكام أنه يذكر بعض الموضوعات عقب ما يناسبها من أركان الإسلام، فمثلاً فضائل الأعمال وقراءة القرآن ذكرهما فى الصلاة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ذكرهما عقب الزكاة، لأن البر والصلة غالباً ما تكون فى الأموال.

فناسب ذكر ذلك تلو هذه العبادة المالية وهى الزكاة.

وهذا فقه فى محله ودلالة واضحة على عنايته بالنصوص سواء فيما يتصل بحق الله أو ما يتصل بحق المخلوقين.

والمنصف يراجع هذا المؤلف للشيخ يجد هذا الفقه واضحاً من خلال جمع هذه الأحاديث.

الفصل السابع

فى الصيام

ومن فقه إمامنا أنه جمع أحاديث أحكام الصيام تحت عناوين أبواب الفقه، وسلك منهجاً لم يسلكه من اطلعت عليه من مؤلفى أحاديث الأحكام، حيث صدَّر كتاب الصيام بذكر شيء من فضائله وخصائصه، وخصائص شهر رمضان.

وإذا استقرأت هذا المؤلف بعين البصيرة وطلباً للحقيقة، وجدت العناية الشديدة بأحاديث الأحكام التى يستدل بها الفقهاء.

وعناية الشيخ بجمعها أكبر دليل على حبه للسنُّة، فهل يرمى بالتعصب بعد ذلك؟!

الفصل الثامن

فى المناسك (أى فى الحج والعمرة)

منهج شيخنا فى جمع الأحاديث المتعلقة بالحج والعمرة كالآتى : ـ

١ ـ جاء بما يفيد فضل الحج والعمرة .

٢ ـ جاء بما يدل على الوجوب .

٣ ـ جاء بما يدل على اكتفاء النساء بحجة الفرض .

٤ ـ جاء بما يدل على جواز الحج عن الغير إذا عجز.

٥ ـ جاء بما يدل على صحة الحج من الصغير وثواب من قام بمساعدته .

٦ ـ جاء بما يشير إلى أن الرقيق لا يجزئه حجه عن حجة الإسلام بل يحج إذا أعتق.

٧ ـ جاء بما يدل على شرط وجوب الحج وهو استطاعة السبيل وبيان المراد به .

٨ ـ جاء بما يدل على فضل العمرة فى رمضان،وعدد عمر النبى صلى الله عليه وسلم .

٩ ـ جاء بما يدل على اشتراط المحرم لوجوب الحج على المرأة.

١٠ ـ جاء بما يدل على المبادرة بأداء فريضة الحج.

١١ ـ جاء بما يدل على رمى الجمرات عن الصبيان.

١٢ ـ جاء بما يدل على تجريد الصبى من المخيط إذا حج به وليه،وأنه يطوف به محمولاً إذا لم يقدر على المشى.

١٣ ـ جاء بما يدل على أن المسلم يحج عن نفسه أولاً ثم عن غيره ثانياً.

١٤ ـ جاء بما يدل على صحة حج المكارى،وبما يدل عليه من القرآن والسنة،وهو قوله تعالى:

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ » (البقرة ١٩٨)

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلاها أو قرأها على السائل.

١٥ ـ جاء بما يدل على الاكتفاء بحجة الإسلام عن النذر عن من نذر أن يحج .

١٦ ـ جاء بما يدل على عدم دخول ديار المعذبين الذين ظلموا أنفسهم مخافة أن يصيبهم ما أصابهم إلا أن يكونوا باكين.

[ولعل مناسبة هذا الموضوع للحج للتنبيه على الحجاج، حيث أنهم قد يمروا بديار الذين ظلموا أنفسهم فعذبوا].

١٧ ـ جاء بما يدل على حمل الزاد فى الحج وأنه لا يكفى التوكل ـ كما صنع أهل اليمن، فإذا وصلوا مكة أخذوا بسؤال الناس، فنزل قوله تعالى:

« وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ » (البقرة ١٩٧)

١٨ ـ جاء بما يدل على الاقتصاد فى راحلة الحج وأثاثه وأنه لا يدل على الشح وإنما يدل على التواضع، وعدم المباهاه فى الحج وأن يتخذه نزهة وترفهاً.

١٩ ـ جاء بما يبين أشهر الحج، ويوم الحج الأكبر، وأن الإحرام قبل أشهر الحج ليس من السنة، وكذلك بين كراهية الإحرام قبل المواقيت المكانية.

٢٠ ـ جاء بما يدل على المواقيت المكانية.

٢١ ـ جاء بما يدل على سنية الاغتسال عند الإحرام.

ثم استمر شيخنا يجمع الأحاديث فى أحكام الحج كمنهج من سبقه من الذين جمعوا أحاديث الحج.

ولقد أشرت إلى موضوعات الباب الأول لكونه منهج شيخنا اختلف عن غيره وعن منهج الفقه، حيث ذكر موضوعات فى الباب الأول لم يتطرق إليها بعض الفقهاء ولا بعض من جمع أحاديث الأحكام.

الفصل التاسع

فى الحج والعمرة

استوفى شيخنا جميع الموضوعات المتعلقة بالحج من حيث الإحرام ومحظوراته وما يتصل بالحرم والمدينة وما يزار فيها، وحينما ينظر المنصف إلى الأحاديث والآثار التى جمعها الإمام محمد بن عبدالوهاب فإنه يكاد يحكم أن شيخنا لم يفلت حكماً فقهياً إلا وأورد له دليلا من حديث أو أثر.

وهذا بلا شك يدل على عنايته بالأدلة وسعة فقهه وبعد نظره.ورحمة الله عليه وسائر المسلمين ونفعنا الله بعلومهم.

ثم بوب الشيخ لدخول مكة كغيره،ولكنه تتبع أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجته، فذكر ما يدل على سنية الاغتسال عند الدخول، ومن أين وصل، وأين أناخ راحلته، وبأى شىء بدأ فى مكة وهو الطواف، وذكر ما يدل على صفة وعدد أشواطه وتقبيل الحجر أو استلامه، وما يدل على الطواف وجوازه، وبيان ما يستلم من الكعبة، وما يدل على فضل الحجر الأسود.

واستمر شيخنا فى جمع أدلة صفة الحج منذ دخل الرسول مكة حتى آخر خطبه فى أيام منى.

تضمنت هذه الأدلة جميع ما حصل من عمرة وحج وتمتع وقران وحل الإحرام بعد العمرة، والإحرام من مكة لمن حل وإقامته بمكة حتى اليوم الثامن الذى سار فيه إلى منى، وإقامته بمنى حتى سار إلى عرفة، ثم استدل على كل ما حصل بعرفة، وانصرافه منها، وصفة سيره أثناء الانصراف، ومبيته بمزدلفة وإفاضته إلى منى.

واستدل على كل ما حصل فى يوم النحر، وفى أيام منى.

وحقاً إن هذه الأحاديث التى جمعها الشيخ مستوفية لأحكام الحج. وهذا مما يدل على فقه الشيخ رحمه الله.

الفصل العاشر

فى الهدى والأضاحى والعقيقة

كل باب جمع فيه شيخنا أحاديث أحكامه يكاد القارئ أن يستوفى مسائل الفقه فيه،لاستقصائه أحاديثه وآثاره وتطرقه لحكاية الإجماع عن ابن المنذر أحياناً.

وهذا الصنيع يدرك المنصف أنه لا يصدر إلا من فقيه بدأ بالأضاحى من رقم ٥٤٠ إلى ٦٤٦ من آخر العقيقة.

جاء بالأدلة على مشروعية الهدى،وصفته،وأسعاره،ونوعيته.وصفة نحره وذبحه وتوزيعه، وبيان وقته، وكذا الأضحية استوفى فقهها فى الأحاديث والآثار ثم العقيقة، وكذلك بيان ما يستحب من الأسماء ومايكره. وما يستحب لغيره ، وما غيره الرسول عليه الصلاة والسلام.. لايكاد القارئ يفقد حكماً فقهياً فى هذه الأبواب المفصلة بالذبائح ، ومن أحب التأكد فليراجعه فى مجموعة.هذه الأحاديث التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفصل الحادى عشر

فى الجهاد

مما يدل على فقه الشيخ سياقه أدلة الجهاد فى شتى أحكامه، فذكر فضله ومتى استحب الجهاد، وتفضيل بر الوالدين على جهاد التطوع، وعناية الإمام بالجيش عند تجهيزه، وحكم الإغارة على العدو وهو غافل، وبيان وقت ابتداء القتال ،وحكم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وحكم نصيحة الأمير للرعية، وبيان أين يمشى الأمير من الجيش، وحكم الاستعانة بالمشرك.

وذكر وصية الإمام لرعيته ،كوصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان،وهى عشر أولها حكم المبارزة.

وبين معنى قوله تعالى:

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»

وبين حكم قطع النخيل والتحريق بالنار.

وهكذا استمر شيخنا فى سياق أدلة أحكام الجهاد حينما ذكر باب الجزية والهدنة، وأحكام الذمة. ولم يترك شيئاً مما ذكره الفقهاء إلا وجاء بدليله من السنة النبوية.

وبهذا تمت العبادات وعدد ما ذكر فيها من الأحاديث (٣٢٤٠) ثلاثة آلاف ومائتين وأربعين حديثاً كلها تدل على أحكام فقهية.

فلا دلالة أكبر من هذا على فقهه.

الفصل الثانى عشر

فى البيوع

ولما انتهى شيخنا من جمع أحاديث أحكام العبادات: شرع فى أدلة أحكام المعاملات وصدرها بالبيع،وهو عبارة عن طريق من طرق كسب الرجل عملاً كان أو مبيعاً، ثم نوع أدلة أعمال اليد فذكر دليل تأجير النفس، والوظيفة لعمل المسلمين، والأكل من كسب الولد، ثم استدل على فضل التجارة وفضل الصدق فيها،والأدلة على أسباب محق البركة. منها كثرة الحلف، وذكر الأدلة على أفضل الأمكنة وهى المساجد،وما يدل على ذم الأسواق والاستعداد لدخولها والتحذير بما يحدث فيها، وأن التجارة لا بأس بها فى البحر، حيث أن ركوبه لغير مصلحة منهى عنه.

وجاء بما يدل على أفضلية أوقات البيع والشراء، وما يدل على السماحة فى البيع والشراء، وما يدل على الحلال الواضح والحرام الواضح، ليفعل هذا ويجتنب هذا، وأن الأفضل اجتناب الشبهة، ومخافة الوقوع فى الحرام، وبعض هذه النقاط التى تقدمت معظمها لم يشر إليها أكثر مؤلفى الفقه.

وشيخنا قدمها على أدلة أحكام البيع مما يحرم ويجوز لأهميتها .

ثم استمر يسرد أدلة البيوع المحرمة ، ثم استوفى موضوعات أبواب الفقه .

وهكذا استمر يذكر أدلة الأحكام الفقهية فى الوقف، والوصايا، والنكاح والطلاق وما يتعلق بهما، والنفقات، والجنايات، والحدود، والقضاء وما يتعلق به.

ثم ختم كتابه بأحاديث تتعلق بالطب.

والمقصود أن مجموعة هذه الأحاديث مستوفية لأدلة أحكام الفقه، ثم أن طباعة هذه المجموعة حظيت بتخريج الأحاديث والآثار وشرح الكلمات الغريبة، وكل موضوع فيه يدل على فقه شيخنا ومحبته للدليل ورغبته فيه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

الفصل الثالث عشر

من مؤلفات الشيخ

ومن مؤلفات الشيخ فى الحديث «أحاديث الفتن والحوادث» صدَّرها بالأحاديث التى تحث على المبادرة إلى أداء الأعمال الصالحة، ثم استمر فى ذكر ما سيقع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الفتن وأشراط الساعة وأخبارها بما يتصل بالدجال وعيسى عليه السلام والدابة وغير ذلك.

جمع فى هذه المعانى مائتى حديث،طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحظيت بالتخريج والتعليق والدلالة الواضحة للقارئ بأنها مأخوذة من الصحاح والسنن والمسانيد، وكل ذلك يوضح لنا اعتماد شيخنا بفقهه على الكتاب والسنة،والعناية بهما،فجزاه الله خيراً، وجزى القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خير الجزاء،وأثابهم على جمعهم لمؤلفات الشيخ، وطبع ما لم يكن مطبوعا، ووفق الله دولتنا إذ وافقت على ذلك.

الفصل الرابع عشر

فى رسائل الشيخ الشخصية

ويمكن للقارئ المنصف الاطلاع على رسائل هذا الإمام، ليتضح له محبته للدليل وإنكاره على من استشهد بالموضوعات أو الضعيف الذى لا أصل له، وإليك أخى القارئ نموذجا من أجوبته فى الرسائل الشخصية، لعله يدعوك إلى قراءتها كى تتأكد من الحقيقة، ولاسيما لما تيسرت بسبب جمع الجامعة لها وطبعها، قال فى صفحة ١٨ من مجلد الرسائل الشخصية فى الرسالة الثانية:

«جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو من الصين» فلا ينبغى أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت وروى، أو ذكر فلان، أو ذكر فى الكتاب الفلانى لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التى لم تصح فلا يجوز فتفطن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها».

فيا ترى من هذا كلامه يقل اعتناؤه بالدليل ويذهب إلى التقليد.

الفصل الخامس عشر

فى كتابة الشيخ بالسيرة النبوية

واختصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما كتبه قبله فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كابن هشام، واعتنى بالشئ الثابت الذى يعرفه القارئ من خلال هذا المختصر، ويلمح الطابع العام لمنهج محمد بن عبدالوهاب فى محبته الدليل فى أى مؤلف كان، وقد قدم لكتابه «مختصر السيرة» مقدمة عظيمة موجزة مفيدة يُفهم منها الالتـزام والتقيد بالشئ الصحيح والمحتج به.

وإليك يا أخى المسلم جزء من هذه المقدمة لعله يشوقك إلى قراءة هذا المختصر لتجد الأدلة الواضحة والساطعة على اعتماد الشيخ دائماً وفى جميع موضوعاته على الكتاب والسنة،حيث قال صفحة ٧، ٨:

(اعلم رحمك الله: أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك. الذى معرفته والعمل به ـ سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته ـ سبب لدخول النار.

ومن أوضح ما يكون لذوى الفهم: قصص الأولين والآخرين: قصص من أطاع الله وما فعل بهم، وقصص من عصاه، وما فعل بهم.

فمن لم يفهم ذلك، ولم ينتفع به فلا حيلة فيه. كما قال تعالى:

«وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ». (ق ٣٦)

وقال بعض السلف: «القصص جنود الله» يعنى أن المعاند لا يقدر أن يردها.

فأول ذلك: ما قص الله سبحانه عن آدم، وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض. ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله. وآخر القصة قوله تعالى:

«قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

(البقرة ٣٨ ـ ٣٩)

وفى الآية الأخرى:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا»

(طه ١٢٣ ـ ١٢٤)

الى قوله:

«وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ».

(طه ١٢٧)

وهداه الذى وعدنا به: هو إرساله الرسل. وقد وفىً بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

فأولهم: نوح. وآخرهم: نبينا صلى الله عليه وسلم.

فاحرص ياعبدالله على معرفة هذا الحبل، الذى بين الله وبين عباده، الذى من استمسك به سلم، ومن ضيعه عطب).

الفصل السادس عشر

في التفسير

ويتضح اجتهاد الشيخ في فتاواه لمن أمعن النظر فيها، وقوة فهمه لكتاب الله لمن قرأ الآيات التي فسرها، وجمعت هذه التفاسير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورتبتها حسب السور، ولتيسر مؤلفات الشيخ بعد طبعها لم أنقل شيئاً من ذلك لعل المشكك في اجتهاد الشيخ ينهل بنفسه ليجد الماء الزلال.

الفصل السابع عشر

فى كتابه زاد المعاد

إنه الاختصار الجميل، فيه الفائدة العظيمة لرءوس المسائل لمن قصرت همته عن قراءة أصل الكتاب، وفى هذا المختصر اتضح لنا ميول الشيخ إلى الدليل وترك أقوال المذهب المرجوحة، يظهر هذا جلياً فى مسائل التيمم صفحتى ١٥، ١٦ حيث أثبت أن التيمم رافع لا مبيح،وأنه يكفى ضربة واحدة للوجه والكفين وعلى ظهر الأرض مطلقاً، أى أنه لا يشترط التراب الذى له غبار، وهذا ظاهر النصوص كما أشار إليه.

فما أعظمه من منهج واضح،لاعتماد الشيخ فى فقهه على الكتاب والسنة.

الفصل الثامن عشر

فى مختصر الشرح الكبير والإنصاف

وأما منهجه فى مختصره لهذين الكتابين فهو يلمح منه النقاط التالية:ـ

١ ـ الأدب مع العلماء عند ذكر أقوالهم.

٢ ـ حكاية الأقوال وبيان الوجهه.

٣ ـ ذكر الدليل لما يرجحه.

فأى دليل أعظم من هذا المنهج لمحبة الكتاب والسنة:

الفصل التاسع عشر

في مؤلفاته المبتدأة

أما مؤلفاته المبتدأة التى جمعها فى القسم الثانى من الفقه فى مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤلفات الشيخ تنبئ عن نفسها،ولانتشارها قديماً، ودراستها فى أوساط الناس،وفى الدراسات النظامية، كشروط الصلاة، وآداب المشى إلى الصلاة، لم أذكر منها مثالا لاستدلاله على كل مسألة.

نعم اللهم إلا كتاب الطهارة فإنه لم يظهر إلا فى مطبعة الجامعة.

والمؤلفات المبتدأة أشير إليها فى هذا الكتاب،لعل القارئ يتشوق للإطلاع عليها فى القسم الثانى من الفقه (قواعد تدور عليها الأحكام- مبحث الاجتهاد والخلاف- كتاب الطهارة- شروط الصلاة وأركانها وواجباتها- كتاب آداب المشى إلى الصلاة- كتاب الزكاة- كتاب الصيام- أحكام الصيام- أحكام تمنى الموت).

الفصل العشرون

فى استنباطات الشيخ وتلخيصاته

وإذا أمعنت النظر فى تجوال شيخنا فى أنحاء العلوم، وجدت له الفكر الواسع والمدى الطويل، فتارة يؤلف،وتارة يختصر،وتارة يجمع،وتارة يلخص ويستنبط، كل هذا يحمل على القناعة باعتماده على الكتاب والسنة،وعلى فهمه وحسن فقهه، فهذه مسائل لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تلخيصاً مقتضباً وافياً،أذكر لك مسألتين منها لتدعوك إلى الاطلاع عليها فى ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبدالوهاب،التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (قوله فى العزل «لا عليكم» ثم ذكر القدر: أن هذا لا حجة فيه على ترك السبب لأن الحمل يحصل مع العزل).

والمسألة الثانية (قوله):

«لا يصيب المؤمن قضاء إلا كان خيراً له».

وردت عليه المعاصى فأجاب بأن المراد ما أصاب العبد لا ما فعله، وأنه يصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة).

وهل يحصل مثل هذا إلا من فاهم بالكتاب والسنة.

وكذلك اختصاره فى تفسير سورة الأنفال،وذكره لبعض فوائد صلح الحديبية،وخطبه التى ملئت بالموعظة متضمنة الدليل واختتامها بقراءة آية.

خاتمة

فهل مثل هذا يصدر من غير عارف بالكتاب والسنة، بل لا يصدر إلا من عارف عامل،والذى عنده أدنى شك أو ريب،فليرجع إلى هذه المؤلفات التى طبعتها الجامعة فأوجدتها و يسرتها لكل طالب علم رائده الحقيقة،فلم يبق عذر لمن انطلت عليه وهميات ودعايات حاقدة،أو مقلدة تقليداً أعمى،أو كاذبة على هذا الشيخ الذى امتزج حب الكتاب والسنة بلحمه ودمه،وخلف أثره فى مؤلفاته.

فنسأل الله أن ينفعنا بعلومه وسائر علماء المسلمين.. وهذا ما تيسر من الكتابة حول اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى دعوته على الكتاب والسُنة، والذى سلكت فيه بيان شئ من القواعد التى سار عليها فى الفروع، واكتفيت فيها عن التمثيل بالجزئيات من مؤلفاته الفقهيه تلافيا للإطالة. وإنما استرسلت قليلاً فى التمثيل من مؤلفاته فى العقائد والأخلاق والآداب لكونها الأصل وأساس الدعوة، ومحط الأنظار، ولفت النظر فى الباب الرابع إلى مؤلفاته ومصنفاته فيما عدا ذلك، معتذراً للقارئ عن قصور فى التعبير،أو تقديم ما حقه التأخير،أو العكس أو تخريج بعض الأحاديث. وإمامنا غنى عن التعريف،فمؤلفاته واضحة تنبئ عن نفسها لاسيما وأن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جمعتها ورتبتها ونسقتها،لتيسر للقارئ الاطلاع على ما يريد من مؤلفات الشيخ فى العقائد والأخلاق والآداب وأحاديث الأحكام، والفقه الذى اختصره أو ابتدأ تأليفه تسهيلاً وتيسيراً على القارئ، وما كتبته إسهاماً فيما عزمت عليه جامعة الإمام محمد بن سعود على إقامة أسبوع عن الشيخ ودعوته.

والله ولى التوفيق.. وصلى الله على محمد..

خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور

عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أهمية الدعوة السلفية التى نهض بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب،والتى تركت آثاراً فكرية واضحة فى كثير من المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر، استقطبت الباحثين ووجهت أنظار المفكرين ، فاستقلت بدراسات موسعة وبحوث علمية مختلفة ، والجانب العقدى منها والمتمثل فى حياة الشيخ نفسه وانتاجه العلمى فيها كان له منها النصيب الأوفى، وهذا عائد إلى طبيعة دعوته والأولوية التى تصدى لها وركز عليها فى دعوته،وهو تصحيح العقيدة الإسلامية لدى المسلمين . فبسلامتها يسلم للمرء كل شيء ، وبفسادها يضيع كل شيء .

وإذا كان هذا هو الجانب الأهم فى دعوته ، فالجانب الثانى المهم هو تصحيح المسار الفقهى التشريعى بين المسلمين،والجوانب الإصلاحية التى نادى بها فى هذا المجال، وخصائص تفكيره تجاه مسائله ، وهذا لم يتجه اليه أكثر الباحثين،وهذه الدراسة تهتم بصورة خاصة بالخصائص الفكرية فى اتجاهه الفقهى للتعرف على طبيعة دعوته واتجاهاته .

وهذه بمثابة مقدمة من شأنها أن تجلى حقيقة هذه الدعوة فى المجال الفقهى والتشريعى .

ويركز البحث هنا على :-

أولا : الحالة الفقهية فى العالم الإسلامى بعامة ونجد بخاصة .

ثانيا : الروافد الفكرية فى تكوين الشخصية العلمية فى الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ثالثا : الخصائص والمميزات الفقهية عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ويعتمد البحث فى هذا الجانب منه على فحص وبحث التراث العلمى الذى ورثنا عنه بطريقة استقرائية واستنتاجية فى نفس الوقت ، مهتما بالخصائص والموضوعات الرئيسية دون الوقوف لدى المسائل الجزئية إلا بالقدر الذى توضح فيه الفكرة الأساسية.

الحالة الفقهية فى العالم الإسلامى بعامة ونجد بخاصة:

إن الباحثين فى الفقه الإسلامى يختلفون فى تسمية المراحل التى مر بها الفقه الاسلامى تطوراً وركوداً،إلا أنهم يجمعون على أن الفقه الاسلامى دخل طور الشيخوخة والهرم منذ القرن الخامس الهجرى،حيث بدأ فى التدهور والضعف والاعتماد الكلى على ما خلفه الفقهاء قبلهم من تراث فقهى وثروة علمية دون أن تكون لهم فيه مساهمة بزيادة أو تجديد .

يعنون العلامة محمد بن الحسن الحجرى الثعالبى الفاسى هذه الفترة فى تاريخ الفقه الإسلامى بقوله :
« القسم الرابع : فى الطور الرابع للفقه وهو طور الشيخوخة والهرم القريب من العدم » .

ثم يذكر الظواهر العلمية الفقهية والأسباب التى أدت اليها بقوله : « هذا الطور مبدأه من أول القرن الخامس الهجرى إلى وقتنا هذا الذى هو القرن الرابع عشر ، وذلك أنه وصل إلى منتهى قوته فى القرون الأربعة السابقة وتم نضجه فزاد بعد حتى احترق وذهبت عينه ، ولم يبق إلا مرقه فى القرن الخامس وما بعده إلى أن صار الآن أثراً بعد عين ، ذلك لأسباب منها :

قصور الهمم عن الاجتهاد الى الاقتصار على الترجيح فى الأقوال المذهبية والاختيار منها... ثم قصروا عن ذلك فى هذه الأزمان واقتصروا على النقل عمن تقدم فقط ، وانصرفت همتهم بشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها، وفكرة الاختصار ثم التبارى فيه مع جميع الفروع الكثيرة فى اللفظ القليل هو الذى أوجب الهرم وأفسد الفقه بل العلوم كلها... إذ صاروا قراء كتب لا محصلى علوم، ثم فى الأخير قصروا عن الشرح، واقتصروا على التحشية والقشور ومن اشتغل بالحواشى ما حوى شيئا»(١).

والفقه، أصبح يعنى فى العصور المتأخرة تعلما وتعليما،حفظ متون معينة وترديد

---

(١) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى،خرج أحاديثه وعلق عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى (المدينة المنورة المكتبة العلمية١٣٩٧/١٩٧٧م ص ١٦٣)

عباراتها دون مجاوزة لها إلى غيرها من كتب الفقه فضلا عن الكتاب والسنة.

عكف الحنفية على كنز الدقائق، لحافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى المتوفى سنة ٧١٠هـ.

وعكف المالكية على مختصر خليل، تأليف العلامة الشيخ خليل بن اسحاق المالكى، المتوفى سنة ٧٦٧هـ.

وعكف الشافعية على متن منهاج الطالبين، تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

وعكف الحنابلة على كتاب المقنع فى فقه الامام أحمد، من تأليف موفق الدين أبى عبدالله محمد بن أحمد بن قدامة، المتوفى سنة ٦٢٠هـ.

هذه الكتب وما يدور فى فلكها هى محور الدراسة والتعليم والتأليف، وكثيراً ما يعنى استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة الزيغ والانحراف، فيتصدى لأى محاولة من هذا القبيل بالنقد الشديد ، نظراً لسد الفقهاء باب الاجتهاد وإصرارهم على قفله ، ومن لم يتبين منهم هذا المبدأ كفقهاء الحنابلة وقولهم باستمرار الاجتهاد وفتح بابه لمن أوتى القدرة العلمية المؤهلة . فقد كان هذا منهم نظرياً أكثر منه عمليا ، يبرز هذا المعنى ما ذكره أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى فى أقسام المجتهدين فى عبارته التالية :

« والمجتهد أربعة أقسام: مجتهد مطلق، ومجتهد فى مذهب إمامه أو فى مذهب إمام غيره، ومجتهد فى نوع من العلم، ومجتهد فى مسألة منه أو مسائل». وفى معرض حديثه عن المجتهد المطلق وتعريفه له يقول :

« وهو الذى اذا استقل بإدراكه للأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية العامة والخاصة ، وأحكام الحوادث منها مع حفظه لأكثر الفقه ولا يقلد أحداً ولا يتقيد بمذهب أحد .. ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق ، مع أنه الآن أيسر منه فى الزمن الأول لأن الحديث والفقه قد دونا ، وكذا ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات والآثار ، وأصول الفقه، والعربية وغير ذلك ، لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة ، ونار الجد والحذر خامدة اكتفاء بالتقليد ، واستعفاء من التعب الوكيد، وهربا من الأثقال ، وأربا فى تمشية الحال وبلوغ

الآمال، ولو بأقل الأعمال، وهو فرض كفاية قد أهملوه وملوه ولم يعقلوه ليفعلوه»[٢].

هذه هى الحالة العلمية الفقهية التى كانت تعيشها البلاد الإسلامية عموما .

وهنا نريد من خلال هذه الصورة أن نتلمس ما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية فى مسقط رأس شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب خصوصاً لندرك مدى تأثره بها .

من الطبيعى أن تكون تلك الصورة للحالة العلمية والفقهية فى العالم الإسلامى صادقة تماماً على نجد، فتعيش التخلف الفكرى الفقهى الذى يعيشه العالم الإسلامى صورة مطابقة ، وهذا الجانب العلمى وان لم يتعرض له الكثير من الدارسين لهذا الجزء فى جزيرة العرب، فقد تعرض له البحاثة الفقيه الشيخ عبدالله البسام،وأعطى صورة وافية لما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية فيها بقوله : « منذ عرفنا علماء نجد حتى قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فإن علمهم يكاد ينحصر فى الفقه،أى:فى المسائل الفروعية الفقهية،والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ فعلمهم لا يكاد يخرج عن تحقيق هذا النوع من العلم ؛ فعلوم التفسير والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً ، وعلوم اللسان لا يهتمون منها إلا بعلم النحو فى مختصرات كتبه التى يتعلمون فيها ما يقوم ألسنتهم عن اللحن،وماعدا هذا فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه ، ويندر منهم من يتعدى الفقه إلى غيره من العلوم فيشارك فى تحصيله مشاركة قليلة .

أما فقه الإمام أحمد فهم يجيدونه إجادة تامة،ويعنون به عناية فائقة،حيث يدرسون كتبه دراسة إمعان ، ويبحثونها بحث تحقيق وتدقيق[٣] .

وفيما يتصل بالوسط العائلى للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنه عاش وسطاً علمياً متشبعاً بالفقه فى عائلة توارثت القضاء ، فوالده الشيخ عبدالوهاب تولى قضاء العيينة

---

(٢) صفة الفتوى والمستفتى، الطبعة الأولى (بيروت: منشورات المكتب الاسلامى ١٣٨٠) ص ١٦، ١٧

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى (مكة المكرمة ـ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٩٨ ج ١ ص ١٧)

ثم حريملاء، وكذلك جده من قبل الشيخ سليمان بن على،انتهت اليهم الرئاسة فى العلم والفقه فى نجد[٤] .

فى هذا الوسط العلمى العام والخاص المتميز بمظهر فقهى معين يدور فى آفاق تقليدية محدودة وإطارات فكرية ملتزمة،عاش الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته العلمية الأولى وتدرج فى مراحلها .

وفى مثل هذه الأجواء التى تحكم فيها الانغلاق التام،ليس بالوسع أن يتكون بين أحضانها فقيه يتمتع بحرية فكرية واجتهاد محلق ، بل سيكون بالضرورة وقانون الحياة صورة عصره ومرآة جيله،فقيهاً تقليدياً متمسكاً بحرفية النصوص لا يتجاوزها ولا إلى الكتاب والسنة .

والشيخ محمد بن عبدالوهاب عضو فى ذلك المجتمع وجزء من تلك البيئة،يتأثر بها ويتجاوب فكراً وشعوراً بإيجابياتها وسلبياتها .

ولكن إلى أى مدى كان منه هذا التجاوب استقبالا أو رفضا ؟

إن التاريخ يثبت أنه لم يكن هناك أى صدى وتأثير لتلك البيئة العلمية والاجتماعية على تفكير الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، بل كان أقوى من أن يتأثر بسلبياتها أو يخضع لمؤثراتها، فأفلت منها ومن أغلالها وأثقالها، فتميز بتفكير منطلق وعقلية مستقلة بدأت تتبين ملامحها فى مرحلة شبابه .

الروافد الفكرية فى تكوين الشخصية العلمية للشيخ محمد بن عبدالوهاب:

إن أول ما يثير فضول الباحث قبل أى شئ آخر، هو التعرف على المصادر العلمية والروافد الفكرية التى أسهمت فى تكوين شخصيته العلمية والفقهية بصورة متباينة عن أبناء جيله وفقهاء عصره.

إننا لا نجده بين مشائخه الذين تتلمذ عليهم فى صباه ومدارج شبابه،غير أن العلاقة والتأثر بشيخ الإسلام عبدالحليم بن تيمية، وتلميذه شمس الدين أبى عبدالله بن أبى بكر، المعروف بابن قيم الجوزية واضح قوى.

---

(٤) عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد الطبعة الثانية (الرياض: وزارة المعارف السعودية، ١٣٩١ جـ ١ ص ١١٤)

وإذا كانت كافة الدلائل تشير إلى هذا فإنه مما يستحق البحث تحديد الفترة التى تعرف بها على فكر هذين العالمين الجليلين، هل حدث له هذا أيام طلبه العلم ببلدته العيينة وقبل رحيله إلى الحجاز والبصرة،أم أن اهتمامه بفكرهما جاء صدى ونتيجة تنقله واحتكاكه بالعلماء فى تلك البلاد ؟

إن هذه التساؤلات تبدو للوهلة الأولى غير ذات جدوى ، ولكن الباحث كما يهمه أن يعرف مصدر هذا الاستقلال الفكرى الجديد،يهمه أن يعرف متى وكيف ظهر،وهل هو ذاتى صادر من داخل رغبة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ؟ أم هو بعامل خارجى شجعه على تبنيه والتحمس له ؟

إن المؤرخين للشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يحققوا هذه النقطة كما ينبغى ولهذا جاءت رواياتهم متضاربة .

١ ـ ففريق لم ينوه عن هذه الصلة قصداً ولا استطراداً :
ويتبين هذا من عرض نصوصهم لحياته العلمية .

يذكر المؤرخ عثمان بن بشر فى معرض حديثه عن نشأته وحياته العلمية قوله :

« وكان رحمه الله فى صغره كثير المطالعة فى كتب التفسير والحديث وكلام العلماء فى أصل الإسلام، فشرح الله صدره فى معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه،وكان الشرك إذ ذاك قد مشى فى نجد وغيرها .. فلما تحقق الشيخ ـ رحمه الله ـ معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة،صار ينكر هذه الأشياء.. ولما رأى أنه لا يغنى القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول، تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام،فلما قضى حجه سار الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلما وصلها وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن سيف من رؤساء بلد المجمعة،القرية المعروفة فى ناحية سدير من نجد ... فأخذ الشيخ عنه،قال الشيخ : كنت عنده يوماً فقال لى : أتريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة ، قلت : نعم فأدخلنى منزلاً فيه كتب كثيرة فقال : هذا الذى أعددت لها،ثم انه مضى به إلى الشيخ العلامة محمد حياة السندى المدنى فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله،فأخذ عنه ،

وحكى أن الشيخ وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فرآه محمد حياة السندى فأتى إلى الشيخ وقال ما تقول ، قال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، فأقام فى المدينة ما شاء ، ثم خرج منها إلى نجد(٥) .

وهنا لم يحدد هذا المؤرخ الجليل تأثر الشيخ بكتاب أو عالم معين ، وإنما شمل وعمم دون الإشارة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ومن الكتاب والمؤرخين الذين تتجه كتاباتهم هذا الاتجاه الأستاذ أحمد عبدالغفور العطار فيقول:

« ولما تجاوز محمد سن الطفولة زاد شغفه بالعلم،واستظهر أحاديث من الصحيحين والأمهات،وكلما تقدمت به السن تقدم فى علمه وربا عقله، وما كاد يتم العشرين من عمره حتى صار عالما مرموقا فى بلده..»(٦).

٢ ـ وفريق آخر أثبت تعرفه وتعلقه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم منذ صباه وقبل مغادرته مسقط رأسه تحديداً وتعييناً ، ومن هؤلاء عبدالله بن سعد الرويشد ، ففى معرض حديثه عن نشأة الإمام العلمية يقول :

« تعلم على والده فدرس القرآن وحفظه على يديه،وعليه تعلم علوم العربية والفقه الحنبلى ، وهكذا نشأ نشأة صالحة وظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة منذ صباه،وأكثر من قراءة القرآن والاطلاع على الكتب المتداولة ، وظهرت بوادر ألمعيته واتقاد ذهنه ، وأعجب بكتب ابن تيمية وابن القيم ومال اليها ، ورأى كثيراً مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات ماثلا أمام عينيه فى معتقدات وأعمال أهل عصره وبخاصة العامة منهم ، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رآه والده أهلا للإمامة فى الصلاة،فقدمه إماماً للناس فى المسجد»(٧).

فى هذا الاتجاه يسير أحمد بن حجر بن محمد آل أبوطامى فيقول:

«درس على والده الفقه الحنبلى والتفسير والحديث، وكان فى صغره مكباً على كتب

---

(٥) عنوان المجد جـ ١ ص ١٩، ٢٠، ٢١

(٦) محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الرابعة ـ بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢/١٩٧٢م ص ٣٢

(٧) الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى التاريخ: مصر مكتبة عيسى البابى الحلبى جـ١ ص١١.

التفسير والحديث والعقائد، فكان يعتنى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ويكثر من مطالعة كتبهما.. ولما آب الشيخ من رحلته الطويلة وراء العلم والتحصيل لازم أباه واشتغل عليه فى علم التفسير والحديث وغيرهما ، وعكف على كتب الشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية والعلاّمة ابن القيم رحمهما الله، فزادته تلك الكتب القيمة علماً ونوراً وبصيرة ونفخت فيه روح العزيمة، ورأى الشيخ بثاقب نظره ما بنجد وبالأقطار التى رحل اليها من العقائد الضالة والعادات الفاسدة، فصمم على القيام بالدعوة »(٧م).

٣ ـ وممن يذهبون إلى أن لرحلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى البلاد الحجازية والبصرة دوراً كبيراً فى دعوته الاصلاحية، وأن احتكاكه بالعلماء السلفيين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة أثر فى اتجاهه العلمى، إذ أثار فيه نوازع الإصلاح الدينى والاجتماعى، فعاد إلى بلاده وهو ممتلئ حماسا لإعادة أهل بلاده الى الدين الإسلامى الصحيح، وكان هذا أحد الآثار المباركة لارتحاله خارج نجد.

وممن تبنى هذا الموقف الدكتور عبدالله صالح العثيمين إذ يقول فى هذا الصدد:

«وبالرغم من أن محمد بن عبدالوهاب كان قد حضر ـ بدون شك ـ دروس عدة من العلماء فى المسجد النبوى، فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة كانت أوثق من صلته بسواهما من العلماء، وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمى فقط إنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحى أيضا، وقد أتت صلته بهما فى مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه، وكانت معرفته بابن سيف أسبق من معرفته بالسندى، وإن كان تأثير هذا الأخير عليه أعمق ـ فيما يبدو ـ من الأول.

وكان ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلى والحديث الشريف، وقد أجاز محمد بن عبدالوهاب فى كل ما حواه ثبت الشيخ عبدالباقى أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلما وتعليما، وكان من المعجبين بالإمام المشهور ابن تيمية، ولاشك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب هذا العالم الجليل، وكان أيضا مدركاً للحالة التى وصلت اليها الأوضاع فى نجد من الناحيتين الدينية والاجتماعية، وكان يرى أن إصلاحها لا يتم إلا بالتعليم.

(٧م) الشيخ محمد بن عبدالوهاب-عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه (مكة المكرمة. مطبعة الحكومة، ١٣٩٥) ص ١٥، ١٨.

أما محمد حياة السندى فكان حجة فى الحديث وعلومه،وصاحب مؤلفات مشهورة فى هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة فى مناطق إسلامية مختلفة،وكان من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية، ومن الداعين للاجتهاد فى ميدان الشريعة، وبالإضافة الى ذلك كان من أشد المحاربين للبدع فى الدين والأعمال التى قد تؤدى إلى الشرك...» ويستمر الدكتور العثيمين فى تأكيده هذه النقطة فيقول:

«وحين اقتنع الشيخ محمد بكفاية المدة التى قضاها متعلما فى المدينة،عاد الى العيينة، ومن الممكن ملاحظة أمور كان لها تأثير فى نفسه فى أثناء إقامته فى المدينة، منها:المناخ التعليمى الذي كان حافزاً على الدراسة ومهيئاً لمعرفة أنواع من العلوم، ومنها: بدءه قراءة كتب ابن تيمية المهمة وتتلمذه على محمد حياة السندى المحارب للبدع والتعصب المذهبى والداعى إلى الاجتهاد، وكان ذلك فى مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكرى»[٨].

والذى يبدو أن هذا التضارب بين الروايات السابقة هو نتيجة الاجتهاد الفردى حول هذه النقطة،دون أن يؤيد أحد من أولئك الكتاب والمؤرخين ما دونه بشئ من التوثيق العلمى التاريخى.

إلا أنه من الممكن اعتبار ما كتبه المؤرخ عثمان بن بشر الرواية المعتمدة الموثقة لاعتبارات متعددة أهمها:

أنه أقدم المصادر التاريخية وأقربها تاريخاً لحياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى قيل عن تاريخه بـــ «أنه المصدر الوحيد لما وقع فى نجد من الحوادث منذ فجر النهضة الإصلاحية وظهور الدعوة السلفية إلى ما قبل وفاة الإمام فيصل بن تركى بن عبدالله ابن محمد بن سعود بخمس عشرة سنة»[٩] أى من سنة ألف ومائة وثمان وخمسين من الهجرة إلى سنة ألف ومائتين وسبع وستين ، كما أنه اعتنى فى سوابقه بذكر حوادث ما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من منتصف القرن التاسع الهجرى إلى نهاية سنة ألف ومائة وست وخمسين من الهجرة[١٠]. فهو كتاب متخصص ووثيقة تاريخية صحيحة

(٨) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره (الرياض: دار العلوم) ص ٣٣، ٣٤، ٣٥.

(٩) عنوان المجد تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ج ١، ص ٧

(١٠) انظر المصدر نفسه جـ١، ص ٢.

فى تاريخ الدعوة السلفية، ومن ثم ستكون رواية ابن بشر موضع الفحص والدراسة فى تعرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب على فكر ابن تيمية .

لم يرد فى رواية ابن بشر فى تاريخ نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يشير إلى توجيه خاص من أحد ممن تلقى العلم على أيديهم إلى دراسة كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإنما تشير الى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدافع شخصى ورغبة ذاتية تولدت عنده الى إعادة الإسلام إلى صفائه ونقائه كما عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان هذا نتيجة انكبابه على كتب التفسير والحديث وكثرة ملازمته لهما وتأمله لمعانيهما، والمقارنة بين ما جاء فيهما من عقيدة وتشريع،وبين ما عليه العمل بين المسلمين من انحراف عن جادة الإسلام عقيدة وتشريعا. وهذا هو الذى تشير إليه عبارة المؤرخ عثمان بن بشر فى قوله السابق.

«.. وكان رحمه الله فى صغره كثير المطالعة فى كتب التفسير-والحديث وكلام العلماء فى أصل الإسلام، فشرح الله صدره فى معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه..»[١١] الخ عبارته، وهو فى هذا المنحى والاتجاه يختلف عن الكثيرين من بنى جيله وعصره، اذ كانت الأهمية القصوى والتركيز الشديد على دراسة الفقه المذهبى وحفظ نصوصه، وبذلك يكون قد فتح الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنفسه آفاقاً أوسع هيأته بالفعل لدعوته الإصلاحية التى انتدب نفسه لها.

وأما تعرفه على فكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة، فمن المهم عرض الحقائق التالية بين يدى هذا الموضوع:

أولا: إن الصلة بين نجد والشام كانت قوية،حيث كانت الأخيرة بالنسبة لبلاد نجد مركزاً تجارياً وعلمياً فى آن واحد،وكان لهذا أثره العلمى الكبير، فالعدد الكبير من علماء نجد تلقوا علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة بالشام، «وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار كالشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة تلميذ مؤلف الإنصاف الشيخ على ابن سليمان المرداوى، وصاحب جمع الجوامع الشيخ يوسف بن عبدالهادى، ومن العلماء النجديين الذين تلقوا العلم على حنابلة الشام الشيخ أبونمى بن راجح تلميذ الشيخ مرعى

(١١) المصدر نفسه، ج ١ ، ص ١٩

ابن يوسف مؤلف الغاية (غاية المنتهى فى الجمع بين الإقناع والمنتهى)، وكذلك الشيخ زامل بن سلطان تلميذ الشيخ موسى الحجاوى مؤلف الإقناع. فأمثال هؤلاء العلماء النجديين الكبار بلغوا فى العلم مبلغاً كبيراً،وانتهت اليهم الرئاسة العلمية فى بلدان نجد، وهم قد اعتنقوا المذهب الحنبلى، فأثروا فى أهل بلادهم، فصار جمهور النجديين حنابلة»[١٢].

ثانيا: إن ابن تيمية وابن القيم أعلام مشهورون وفقهاء نابهون فى المذهب الحنبلى،لهم اجتهاداتهم وترجيحاتهم المشهورة، فالتعرف على فكرهم من قبل طالب العلم والتمذهب بالمذهب الحنبلى أمر بديهى وحقيقة ميسورة.

ثالثا: إن الاتصال الفكرى بين الحنابلة فى الشام والحنابلة فى نجد قوى ووثيق، اذ كانت مؤلفات الشاميين تصل إلى نجد بصورة مستمرة،وكان لهؤلاء تآليف عن شيخ الإسلام ابن تيمية فى اجتهاداته وجهاده للبدع والخرافات، مما جعله رمزاً لبطولة العلماء وكفاح المخلصين فى وسط الحنابلة أين كانوا، ولعل فى (سابقة) التى ذكرها ابن بشر ما يشير الى هذا المعنى إذ يقول: «وفى سنة ثلاث وثلاثين وألف توفى الشيخ العالم العلامة مرعى بن يوسف الحنبلى المقدسى الأزهرى. كانت له اليد الطولى فى معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة فى فنون من العلوم.. فمنها دليل الطالب.. وصنف غاية المنتهى فى جمع الإقناع والمنتهى.. وذكر لى شيخنا عثمان بن منصور أنه بيضها مرتين، واحدة أرسلها إلى نجد وواحدة أرسلها الى الشام،فلهذا نجد فى بعض النسخ منها زيادة ونقصانا عن الأخرى..وصنف مرعى غير ذلك مصنفات كثيرة منها: كتاب بهجة الناظرين فى العالم العلوى والسفلى، وصفة الجنة والنار، وكتاب المرجان فى الناسخ والمنسوخ من القرآن، وكتاب الدرة المضيئة فى مناقب ابن تيمية..»[١٣].

ونخلص من هذا إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تعرف على فكر ابن تيمية وابن القيم من قبل رحلته إلى الحجاز والشام، إذ أن هذين العلمين كانا من أشهر أعلام

---

(١٢) عبدالله البسام، ج ، ص ١٩ ـ ٢٠

(١٣) السوابق، ص ١٩٧، ١٩٨

الحنابلة فى الوسط العلمى للحنابلة، ولم تكن شهرتهم لدى علماء الحنابلة بنجد بأقل من أى وسط حنبلى آخر.

الا أن انتماء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودراسته للمذهب الحنبلى،سهل له التعرف على فكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى وقت مبكر جداً أثناء طلبه للعلم فى بلاده مسقط رأسه، ووقوفه على جهادهما ما قوى فيه العزيمة للدعوة إلى الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة، فرحل الى ما رحل من أقطار وهو متشبع بفكر الدعوة الإصلاحية التى أصبح يعيشها فكراً،ووطن نفسه للدعوة لها جهراً، وأن احتكاكه بعلماء السلف بمكة المكرمة والمدينة المنورة زاد من حماسه لها وتفانيه فى سبيلها. فأعطته دفعة قوية للاستمرار فى اتجاهاته الفكرية العقدية والفقهية،وضاعفت من ملازمته وعكوفه على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فتشبع بمنهجهما أسلوباً وفكراً، فورث عنهما خصائصهما العلمية واتجاهاتهما المنهجية والنزعة الاجتهادية .

يتفق السلف والخلف من فقهاء الحنابلة على وجوب الاجتهاد فى من تحققت فيه شروط. يقول القاضى أبويعلى الفراء من متقدمى الحنابلة فى كتابه العدة «مسألة فى صفة المفتى فى الأحكام الذى يحرم عليه التقليد»، ثم يذكر هذه الصفة بقوله: «الذى يحرم عليه التقليد فيها أن يكون عارفاً بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومجمله ومحكمه، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، وهو المعرفة بما قصد به بيان الأحكام الحلال والحرام، فأما ما قصد به أخبار الأولين وقصص النبيين والوعد والوعيد فلا حاجة به إليه... ويعرف أيضاً المتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والعام والخاص للمعنى الذى ذكرناه، ويحتاج أن يعرف إجماع أهل الأعصار عصراً بعد عصر، لأنه يكون الأصل ما أجمعوا عليه فيرد الفرع اليه، ويحتاج أن يعرف من لغة العرب والإعراب ما يفهم عن الله تعالى وعن رسوله معنى خطابهما، وأن يكون عارفاً باستنباط معانى الأصول والطرق الموصلة اليها،ليحكم فى الفروع بحكم أصولها،ويكون عارفا بمراتب الأدلة، وما يجب تقديمه منها. فإذا كان بهذه الصفة وجب عليه أن يعمل فى الأحكام باجتهاده وحرام عليه تقليد غيره»[١٤].

---

(١٤) أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد الفرا، العمدة فى أصول الفقه. مصور.

ويأتى شيخ الإسلام إبن تيمية ليقرر هذا المبدأ ويؤكده فى أكثر من مؤلف فينقل نص القاضى أبى يعلى فيقره لفظاً ومضموناً[١٥]، ويعرض هذا الموضوع فى فتاويه بأسلوبه وطريقته الخاصة فيقول:

«نقل عن غير واحد الإجماع أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذى جاء به الرسول، فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع»[١٦].

كما يقرر هذا المبدأ من الحنابلة المتأخرين: أبوالعباس أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى فيقول:

«ويحرم تقليد على مجتهد أداه اجتهاده الى حكم»[١٧]. وهكذا فإن نصوص الحنابلة متواترة على وجوب الاجتهاد ممن استوفى شروطه وتحققت فيه مؤهلاته.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو المؤهلين من الفقهاء إلى الاجتهاد وتحريم التقليد، فقد مارسه تأسيساً وترجيحاً، بل إن اجتهاداته الفقهية معروفة لدى فقهاء المذاهب الأخرى، وترجيحاته فى إطار المذهب الحنبلى مشهورة بين فقهائه معلومة لديهم. ولاشك أن الاجتهاد الفقهى إحدى خصائص التفكير الفقهى عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والتى كان لها تأثير كبير على فكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يدع الاجتهاد، ولكنه يدعو إليه عندما تختلف الآراء وتتعارض الأقوال، فحينئذ يتوجب الرجوع إلى الكتاب والسنة يستخلص منها الحكم الذى تطمئن اليه نفسه.

ففى جوابه عن سؤال وُجِّه إليه بخصوص الروايات المختلفة عن الإمام أحمد أو تعدد الأقوال عن أصحابه واستدلال كل بدليل يقول:

«اذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول: فى محل النزاع التراد الى الله والرسول

---

(١٥) المسودة، تحقيق محيى الدين عبدالحميد (مصر: مطبعة المدنى) ص ٥١٤

(١٦) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، جـ ١٩ ص ٢٦٢.

(١٧) شرح الكوكب المنير، الطبعة الأولى (مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣)، ص ٤٠٦

لا الى كلام أصحابه، ولا الى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعا[١٨]، وقد يكون صوابا، وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا، لكن قد يكون أحدهما أخطأ الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطأ .

وبالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه..»[١٩].

والشيخ محمد بن عبدالوهاب وإن لم يؤثر عنه اجتهادات لم يسبق اليها إلا أن منحاه منحى اجتهادي، بمعنى أنه يسلم بالرأى اذا كان يعتمد على استدلال قوى مبنى على فهم سليم، وهذا هو الموقف الذى أعلنه ونشره فى مؤلفاته ومراسلاته الى كل من يرغب الوقوف على حقيقة أمره.

فمن ذلك كتابه الى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الذى جاء فيه:

«ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن اذا اختلفوا، هل يجب على أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة الى الله والرسول مقتديا بأهل العلم؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله؟ فأنتم على هذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسماه شركا وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو اليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بالمناظرة التى فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وان ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدل بها ليس هذا معناها فاضرع الى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد الى الله ناظراً أو مناظراً واطلب كلام أهل العلم فى زمانه»[٢٠]. وعلى أساس هذا المبدأ كان اختيار الشيخ محمد بن عبدالوهاب وترجيحه لاختيارات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فى أكثر الأحيان، وترجيحه لغيرها أحياناً أخرى.

على أن ما خلفه من تراث علمى يشير الى معرفته بعلم أصول الفقه الذى يعتبر

---

(١٨) هذا هو نص العبارة ولعل ثمة سقط

(١٩) مؤلفات محمد بن عبدالوهاب، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، ص ٢٧، ٣٢ ـ ٣٣

(٢٠) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرسائل الشخصية القسم الخاص، ص ٢٥٤

شرطاً أساسياً فى بلوغ درجة الاجتهاد حتى قيل (لا ثقة بفقه لا يعتمد على أصول)، ومظاهر هذا عنده تتجلى فى أمرين اثنين:

الأول: مناقشته لأهم المسائل والقواعد الأصولية.

الثاني: تلخيصه وعرضه لبعض المسائل الأصولية من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولا يستطيع الخوض فيها إلا عالم متمرس بمسائله عارف بقوانينه، وفى كلا الحالين لا يمكن أن يقتحم أسوار هذا العلم إلا عالم ذو دراية وممارسة له.

ففى مناقشته لنسخ القرآن بالسنة يتعرض لهذا الموضوع من خلال الأمثلة التى يوردها العلماء فى هذا الصدد،فيقول:

«ثبت أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وأن يجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فقال طائفة هذا نسخ للقرآن، فإن أرادوا النسخ العام الذى هو تقييد المطلق فصحيح، وإن أرادوا النسخ الذى هو رفع الحكم فضعيف، فإنه لم يثبت أن الله أراد بقوله:

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ (النساء ٢٤)

تحليل ذلك، فإن قيل هو عام بين الدليل المخصص أن الله لم يرد تلك الصورة كقوله: (الزانية والزانى) الآية لم يرد به الأمة، وقوله: (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) لم يرد الحامل ولا التى لم يدخل بها، ولم يثبت أن السنة نسخت القرآن ، قال تعالى: (ما ننسخ من آية) الآية،فالقرآن لا ينسخه إلا مثله، وقال كثير: السنة خصصت القرآن وهم أكثر وأفضل من أولئك، وقد يقال: السنة فسرت القرآن، ولهذا فى حديث معاذ وكلام عمر وابن مسعود وغيرهما أن يحكم بكتاب الله فإن لم يوجد فبسنة رسول الله، فلو كان فى السنة ما يقدم على دلالة القرآن لم يكن كذلك بل السنة تفسر المراد منه..»[٢١].

وفى موضوع التعارض والتعادل والترجيح الذى هو ثمرة أصول الفقه ونقطة

(٢١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ملحق المصنفات، ص ٧٥ ـ ٧٦

الارتكاز فيه، يلخص موقف ابن القيم فى معضلة من معضلاته بتقرير الفاهم وأسلوب العالم فيقول:

«قال ابن القيم فى أعلام الموقعين: اذا قال الصحابى قولا فإما أن يخالفه صحابى آخر أولا، فإن خالفه مثله لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر، وإن خالفه أعلم منه كالخلفاء الراشدين أو بعضهم، فهل يكون الشق الذى فيه الخلفاء أو بعضهم حجة على الآخرين؟ فيه قولان للعلماء. هما روايتان عن أحمد،والصحيح أنه أرجح، فإن كان الأربعة فى شق فلاشك أنه الصواب، وإن كان أكثرهم فى شق،فالصواب فيه أغلب، وإن كانوا اثنين واثنين،فشق أبى بكر وعمر أقرب الى الصواب، فإن اختلفا،فالصواب مع أبى بكر..»[٢٢]. وقد استغرق هذا البحث خمسا وثلاثين صفحة،وقدم لإثباته والاستدلال له ستة وأربعين وجها. كما نفذ من هذا البحث الى بحث الاحتجاج بفتوى التابعى[٢٣].

النزعة المذهبية:

وهذا الجزء من البحث يقودنا إلى التعرف على موقفه من قضيتين هامتين هما: اختلاف المذاهب الفقهية أولا، والتقيد بها ثانيا.

والحقيقة المسلمة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ينتمى إلى أسرة عريقة فى المذهب الحنبلى، اذ غالب أفرادها من الفقهاء والقضاة الحنابلة، ولكنه يتميز عنها بأنه أضاف إلى حنبليته عنصراً جديداً: هو ما اكتسبه من دراسته وعكوفه على التراث العلمى لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم،فأمدته بخصائص فكرية وفقهية خاصة برزت بنتائجها وآثارها على مواقفه من كثير من القضايا الفقهية.

وقبل التعرف على موقفه خاصة من تلك القضيتين اللتين كانتا ولاتزالان مثار جدل وخصومة يحسن أن نتعرف قبل ذلك على موقف سلفه أعنى شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة حتى يتضح مدى عمقها وتأثره بها فى نفسه.

أما فيما يتصل بالقضية الأولى: اختلاف المذاهب الفقهية فقد ألف ابن تيمية كتاب

---

(٢٢) المصدر نفسه القسم الثانى (الفقه)، جـ ٢ ص ٥

(٢٣) المصدر نفسه، القسم الثانى (الفقه)، جـ ٢ ص ٣٥

(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وهذا الكتاب بهذا العنوان يعتبر فريدا فى صياغته فريدا فى موضوعه، فلئن شاركته كتب أخرى موضوعا إلا أنه مؤلف أساسا وبالذات للدفاع عن الأئمة، وعرض الأسباب التى أدت الى اختلافهم، ليلتمس لدى القارئ الدارس الأعذار عما قد تحدثه نفسه من إدانتهم فى التفرق والاختلاف، وفى نفس الوقت يعرفنا قدر هؤلاء الأئمة والجهد المخلص الذى بذلوه فى فهم الكتاب والسنة، وأقتبس هنا جزء من مقدمة هذا الكتاب لندرك مدى إنصاف ابن تيمية للأئمة الفقهاء وتقديره للتراث العلمى الذى تركوه،فيقول:

«.. وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عن الأمة قبولا عاما،يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ من سنته دقيق ولا جليل.

فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم،وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولكن اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه،فلابد أن يكون له من عذر فى تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله.
والثانى: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .
والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ[٢٤].

وهذا اعتراف بفضل الأئمة وإنصاف لهم وتقدير لجهودهم العلمية، وهو أقصى المطلوب، ومن ثم فلم يؤثر عن الإمام ابن تيمية قول أو تأليف يمس جانب الأئمة أو يعرض بهم، بل انه عند الاختلاف يناقش الدليل مناقشة علمية هادئة.

ويؤكد ابن تيمية هذا المبدأ فى مؤلفاته وكتاباته فى أكثر من موضع من هذا قوله:

«وقد اتفق الصحابة على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم فى مسائل تنازعوا فيها كمسائل فى العبادات، والمناكح، والمواريث، والعطاء، والسياسة وغير ذلك.. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل

---

(٢٤) رفع الملام عن الأعلام بنهاية الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف، الطبعة الأولى، جـ ١٢ ـ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم،وتنازعوا فى مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحى، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة.. ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ..

فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام هى لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به من شرعة رسوله ومنهاجه،كما يثاب كل نبى على طاعة الله فى شرعه ومنهاجه.

ثم يتحدث فى عبارة واضحة عن الموقف الذى يجب أن يتخذه المسلم بالنسبة للأئمة ومذاهبهم فيقول:

«فمن ذمهم ولامهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى،فقد اعتدى واتبع هواه بغير هدى من الله، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك فى تقليده مسلك العدل فهو مقتصد، اذ الأمر مشروط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)[٢٥].

ولقد جاء موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب متطابقا مع موقف شيخه ابن تيمية فى هذه القضية،مقدرا لجهود الأئمة الفقهاء، ومعتزا بانتسابه اليهم وانتمائه الى جمهورهم. هذا ما أعلنه صراحة وأعرض هنا له بعض هذه المواقف التى تكشف عن هذا الجانب فى تفكيره.

فى ختام إجابته على عبدالعزيز الحصين عن مسائل شرعية يقول:
«فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف

---

(٢٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية، جـ ١٩، ص ١٢٢.

والعمل بذلك،ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، ولكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم..)[٢٦].

كما جاء فى افتتاحية خطابه الى علماء مكة:

«إلى العلماء الأعلام فى بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام وتابعى الأئمة الأعلام...» الى أن يقول:

« وأنا أخبركم بما نحن عليه خبرا لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البهتان الذى أشاع الأعداء أنى أدعى الاجتهاد ولا أتبع الأئمة،فإن بان لكم أن هدم البناء على القبور،والأمر يترك دعوة الصالحين لما أظهرناه،وتعلمون أعزكم الله أن المطاع فى كثير من البلدان لو تبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وإياهم على ضد ذلك،فإن كان الأمر كذلك فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة مثل (الإقناع) و(غاية المنتهى) و(الإنصاف) التى عليها اعتماد المتأخرين وهو عند الحنابلة (كالتحفة) و(النهاية) عند الشافعية،وهم ذكروا فى باب الجنايز هدم البنا على القبور... وبعضهم يحكى الإجماع على ذلك، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام،وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد،فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لا ينكر عليه...»[٢٧].

وفى رسالة له إلى أحمد بن محمد العديلى البكبكى، صاحب اليمن جاء فى افتتاحيته قوله:

«... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

لفانا (وافانا) كتابكم وسر الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم وسؤالكم عما نحن عليه وما دعونا الناس اليه،فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل ونوضح لكم القول الراجح بالدليل،ونسأل الله أن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وسبيل...» إلى أن يقول:

---

(٢٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، (فتاوى ومسائل)، ص ٩٧

(٢٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٤٠

«وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون .الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن ادريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى..»(٢٨).

كما بعث الى اسماعيل الجراعى باليمن خطابا يوضح فيه موقفه من كتب المتأخرين فيقول :

«وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا،فنعمل بما وافق النص منها وما لايوافق النص لا نعمل به».

وفى كتابه إلى عبدالله بن عبدالله الصنعانى يقول:

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة. ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة اذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها..»(٢٩).

ولقد دلل الشيخ محمد بن عبدالوهاب على هذا عمليا بمؤلفاته الفقهية التى تنتمى معنى ومضمونا إلى المذهب الحنبلى.

وينفرد المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر(٣٠) برواية تحمل الكثير من الدلالات للباحث فى هذا الصدد، فقد جاء فى معرض الحديث عن مؤلفاته العلمية قوله:

«واختصر من الشرح الكبير والإنصاف مجلدًا لبيان الخلاف وأمر بالقراءة فيه ، فلما سمع بذلك المنتسبون للعلم من أهل نجد كذبوا عليه أنه طعن فى كتب المذهب كالإقناع والمنتهى التى على قول واحد،فأخذ من شرح الإقناع نبذة فى أحكام الصلاة والزكاة والصيام من باب آداب المشى الى الصلاة الى باب ما يفسد الصوم،وأمر بالقراءة فيها

---

(٢٨) المصدر نفسه

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧

(٣٠) هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدى الحنبلى،ولد فى بلدة جلاجل من بلدان سدير بنجد سنة ١٢١٠،وتوفى بها سنة ١٢٩٠ هـ . صنف مؤلفات عديدة هى: سهيل فى ذكر الخيل، الاشارة فى منازل السبع السيارة، بغية الحاسب، الخصائص ومبدأ النقائص فى الطفيليين، والثقلاء ، وفهرس طبقات الحنابلة لابن رجب على حروف المعجم، وكتاب عنوان المجد فى تاريخ نجد. انظر ترجمته للشيخ عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ فى تصديره لكتاب بعنوان المجد فى تاريخ نجد، ص١١ طبعة وزارة المعارف السعودية عام ١٣٩١هـ.

وتعليم العامة ما يلزمهم معرفته من أحكام صلاتهم وصيامهم وتكذيبا لأولئك فيما قالوه...»[٣١].

ومن جملة هذه الوثائق والمواقف تتحدد مبادئ الشيخ محمد بن عبدالوهاب نحو المذهبية واختلاف الفقهاء فى العبارات التالية:

أولا: اتباعه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى.

ثانيا: اعتبار اجتهادات الفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ما لم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

ثالثا: اذا تعارضت أقوالهم وتباينت أحكامهم فالمرجع فى ذلك هو الكتاب والسنة.

ونستطيع فى عبارة موجزة أن نطلق على هذا الموقف المعتدل المنصف بأنه (الاجتهاد فى التقليد).

وهذه المبادئ والأسس أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب بها نفسه فى فتاواه ومؤلفاته.

ومن النماذج الكثيرة المتعددة التى تبين التزامه هذه الأسس والمبادئ سؤاله عن العروض وإجزائها فى الزكاة إذا أخرجت بقيمتها.

والمسألة الثانية عن صحة المضاربة بها فى الشركة.

وفى الجواب عن هاتين المسألتين يقول:

«فأما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما: المنع لقوله: فى كل أربعين شاة شاة، وفى مائتى درهم خمسة دراهم وأشباهه.

والثانية: يجوز قال أبوداود: سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة فقال: عشره على الذى باعه فهل يخرج تمراً، أو ثمنه؟ قال: إن شاء أخرج تمراً وإن شاء أخرج من الثمن.

وإذا أثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله ورسوله،قال البخارى فى صحيحه فى أبواب الزكاة (باب العروض فى الزكاة) وقيل طاووس قال معاذ لأهل اليمن ائتونى بعرض ثياب خبيص أو لبيس فى الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقال

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ١١٦

صلى الله عليه وسلم (وأما خالد فقد احتبس أدراعه وأعتاده فى سبيل الله) ثم ذكر فى الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز.

واستدلال من منعه بقوله: فى كل أربعين شاة شاة وأمثاله لا يدل على ما أرادوا،لأن المراد هو المقصود وقد حصل كما أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المستجمر بثلاثة أحجار- بل نهى أن ينقص عن ثلاثة أحجار- لم يجمدوا على مجرد اللفظ بل قالوا: اذا استجمر بحجر واحد له ثلاث شعب أجزأه.

ولهذا نظائر أنه يؤمر بالشئ فإذا جاء مثله أو أبلغ منه جاز.

وأما المسألة الثانية: فعن أحمد أن المضاربة لا تصح بالعروض، واختاره جماعة ولم يذكروا على ذلك حجة شرعية نعلمها، وعن أحمد أنه يجوز، وتجعل قيمة العروض وقت العقد رأس المال، قال الأثرم سمعت أبا عبدالله يسأل عن المضاربة بالمتاع فقال جائز، واختاره جماعة،وهو الصحيح لأن القاعدة فى المعاملات أن لا يحرم منها الا ما حرمه الله ورسوله لقوله:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)(٣٢).

الأمثلة على هذا الاتجاه الفكرى واضحة فى مؤلفاته وفتاواه، وهو يعطى معنى الاعتزاز بالتراث الفقهى مع المحافظة على الاستقلال الفكرى والشخصية العلمية.

النزعة الانتخابية:

يأتى انسجاماً مع المبادئ والمواقف السابقة ظاهرة فكرية أخرى فى التفكير الفقهى لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ذلك هو انتخاب الآراء واختيار الأقوال حسب الأصول والأسس السابقة التى اتخذ منها ميزاناً ومقياساً للترجيح، ليس هذا فحسب بل إنها واضحة أيضاً فى مؤلفاته عامة والفقهية خاصة، ولن يكون أقل إثباتا على هذا الاتجاه اختياره لشخصية شيخ الإسلام تقى الدين، عبدالحليم ابن تيمية مثلا يحتذى به، وعنواناً يعتز به من بين أمثلة كثيرة من علماء السلف الصالح.

أما انتخابه لقول من الأقوال وترجيحه له ولو خالف المذهب الحنبلى فهو ما توفرت عليه مؤلفاته الفقهية وفتاواه.

---

(٣٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى، ص ٩٤

على أنه من الجلى الواضح فى هذا الصدد ميله الكبير الى اختيارات شيخ الإسلام تقى الدين، عبدالحليم ابن تيمية،ولم يمنعه إنصافه فى كثير من الأحيان اختياره لآراء أخرى سواء فى إطار المذهب الحنبلى أو المذاهب الأخرى، من ذلك اختياره تقديم بينة الداخل اذا تداعى خصمان والكل معه بينة فى قوله:

«إذا تداعيا عينا والكل معه بينة قدمت بينة الداخل لقول أهل المدينة»[٣٣].

وفى السؤال عن جواز إخراج الجدد فى الزكاة يجيب بقوله:

«فهذه المسألة أنواع، أما إخراجها عن جدد مثلها فقد صرحوا بجوازه فقالوا: اذا زادت القيمة بالغش، أخرج ربع العشر مما قيمته كقيمته، وأما إخراج المغشوش عن الخالص مع تساوى القيمة كما ذكر فى السؤال،فهذه هى التى ذكر بعض المتأخرين المنع منها، وبعضهم يجيز ذلك،وهو الصحيح،بدليل ما تقدم فى إخراج القيمة أنه يجزىء فإن إخراج المغشوش يجيزه من لا يجيز القيمة، بل قال الشيخ تقى الدين، نصاب الأثمان هو المتعارف فى كل زمن من خالص ومغشوش وصغير وكبير..»[٣٤].

وغير هذا كثير منثور فى كتبه الفقهية وفتاواه.

أما فى مجال التأليف فإن السمة البارزة لنشاطاته فى هذا المجال أنه عمد إلى مؤلفات هامة فى موضوعها ذات اهتمامات خاصة فى فروع علمية متعددة، لخصها وبسطها للقارىء لتكون سهلة التناول قريبة الفهم، ويهمنا هنا من هذه المؤلفات ما يقع فى إطار الدراسات الفقهية.

وقع اختياره على تلخيص كتابين من أهم كتب المذهب الحنبلى هما كتاب «الشرح الكبير» من تأليف شمس الدين،أبى الفرج، عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامة،المقدسى، المتوفى سنة ٦٨٢، وكتاب «الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف».

الأول منها مدونة واسعة فى الفقه الحنبلى، يعنى مؤلفه الى ذكر اختلاف الآراء مع سرد الدليل لكل قول، والآخر يعرض لآراء الفقهاء الحنابلة عموماً فى المسائل التى بحثها.

ويلاحظ بشكل ملموس أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أعطى اهتماماً خاصاً لآراء

---

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٦

شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذا الكتاب، اذ عرضها بشكل بارز مميز دون غيرها،واختارها بالتدوين عن بقية الآراء تجسيداً لتقديره وقناعته بآرائه.

كما تجلت نزعته الانتخابية بشكل بارز ودقيق فى تلخيصه لموضوع أصولى هام،وهو حجية قول الصحابى من كتاب أعلام الموقعين، وسنعرض بالدراسة والتحليل لهذين الكتابين فى دراسة مؤلفاته الفقهية إن شاء الله.

وكل هذه الاتجاهات والأعمال تدل بوضوح على عمق وأصالة هذه النزعة فيه.

المرونة الفقهية:

الفقه الإسلامى فى حد ذاته نظام تشريعى كامل ، يفترض سلوكاً وتصرفات معينة وفق فلسفة تشريعية خاصة، وهو من قبل الأفراد التزام المسلم المكلف بسلوك وتصرف خاضع لأحكام الإباحة أو التحريم،أو الوجوب أو الندب أو الكراهة، وهذا هو مجال تباين الآراء، واختلاف الفقهاء.

ومن ثم يقاس تفاوت أحكامهم وتباين آرائهم بما يتناسب والرؤية الاجتماعية لها يسرا وسهولة أو عنتا وصعوبة،فيحكم عليها بالمرونة أو التشدد.

وقد لازم كلمة (فقه) و(فقيه) فى العصور المتأخرة فى أذهان العامة معنى التشدد والتزمت، كما أن كلمة (حنبلى) و(حنابلة) مفهوم التعصب والتزمت الدينى فى كامل معناه.

وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب كما هو فقيه فهو ينتمى إلى المذهب الحنبلى دماً وفكراً ونضالاً، وهى صفات تضفى على شخصيته كثيراً من تلك الظلال والانطباعات.

وإذا جاز أن ينطلى مثل هذا القول على العامة،فإنه لا يمكن أن يجد سبيله إلى أذهان المتعلمين والدارسين، فالدراسات العلمية كشفت عن مرونة فقهية تشريعية عند الحنابلة وبين علمائهم ما عز نظيرها عند غيرهم فى المذاهب الأخرى.

جاء فى كتاب (مصادر الحق فى الفقه الإسلامى) العنوان التالى:

«المذهب الحنبلى أبعد المذاهب تطوراً فى تصحيح الشروط » ثم يستطرد بعد ذلك قائلا:

«ولعل أبعد تطور للفقه الإسلامى فى مسألة اقتران الشرط بالعقد كان فى مذهب

الإمام أحمد بن حنبل لاسيا إذا استكملنا هذا المذهب بما أضافه اليه ابن تيمية، وهو من أكبر فقهائه.

فالمذهب الحنبلي كالمذهب المالكي تخطى مبدأ وحدة الصفقة،ولم يتقيد بهذا المبدأ كما تقيد به المذهبان الحنفي والشافعي، ومن ثم استطاع أن يسير أشواطاً بعيدة في هذا التطور.

والحنابلة كالمالكية، الأصل عندهم في الشرط أن يكون صحيحا ويصح معه العقد، بل هم يسيرون في هذا الأصل إلى مدى أبعد من المالكية في تصحيح الشروط .. أما الجمع بين شرطين في العقد فممنوع في مذهب أحمد... والشرطان المنهى عنهما الشرطان اللذان فيهما منفعة لأحد المتعاقدين دون أن يقتضيهما العقد أو يلائماه،يقول ابن تيمية: إن الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة،ولا يحرم ويبطل منها إلا ما دلّ على تحريمه نص أو قياس عند من يقول به..»[٣٥].

إلى أن يقول:

«ونرى من ذلك أن ابن تيمية لا يجعل الشرط فاسداً إلا إذا كان منافياً للمقصود من العقد،وهذا طبيعي ، وإلا إذا كان مناقضاً للشرع فيحل حراماً،وهذا أشبه في الفقه الغربي بالشرط الذي يخالف القانون، أو النظام العام، ولم يعرض ابن تيمية لتحريم اجتماع الشرطين ولا لتحريم اجتماع البيعتين في بيعة أو اجتماع البيع والسلف،ومن ثم يكون تطور الفقه الاسلامي في تصحيح الشروط قد وصل على يد ابن تيمية إلى غاية تقرب مما وصل إليه الفقه الغربي الحديث»[٣٦].

والشيخ محمد بن عبدالوهاب ورث خصائص هذه المدرسة في قمة تطورها فكرا والمتمثلة في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية.

وتبدو مظاهر المرونة الفقهية واضحة عند الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جانبين رئيسيين:

الأول: موقفه من آراء مخالفيه في الفروع.

الثاني: مسائل الأحكام والفتاوى.

---

(٣٥) عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الطبعة الثالثة (جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧، ج ٣، ص ١٦١، ١٦٦

(٣٦) المصدر نفسه، ج ٣ ، ص ١٧٢

أما الجانب الأول فموقفه من مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها وجه الصواب أنه لا يجوز الإنكار على المخالف أو الاعتراض عليه، وهذا النوع من الاختلاف هو الذى يمكن أن ينطبق عليه الحديث «اختلاف أمتى رحمة» وعلى العكس من ذلك ما تبين فيه وجه الصواب.

ففى جوابه عن قولهم «لا إنكار فى مسائل الاجتهاد ولا على من قلد مجتهداً حياً أو ميتاً ؟ يقول:

فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فمازال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، واذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق،وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب،فهذا كلام صحيح لايجوز للإنسان أن ينكر الشئ لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس،فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

(الأسراء ٣٦)

إلى أن يقول:

(فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع[٣٧]، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم الا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون فى بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم واتخاذهم أربابا من دون الله، واذا قيل: قال الله قال رسوله قال: هم أعلم منا بهذا هو طريق الضالين»[٣٨].

(٣٧) لعل هذه الكلمة (بالمنع) لا معنى لها هنا، وهذا واضح من سياق الكلام

(٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤

أما الجانب الثانى: فلعل الأهم من سرد مسائل جزئية الاستدلال بالقواعد الأصولية الاستنباطية التى قررها وأكدها والتى تدخل تحتها فروع ومسائل لا حصر لها، ففى رسالته المعنونة بـ «أربع قواعد تدور عليها الأحكام» يقرر فى القاعدة الثانية ما نصه:

«القاعدة الثانية: أن كل شئ سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه،أو يستحبه أو يكرهه لقوله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ) (المائدة ١٠١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم:"وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها"[٣٩].

وهو فى هذا الاتجاه فى تأسيس الأحكام يقتفى آثار كبار فقهاء المسلمين أمثال ابن تيمية والشاطبى وغيرهم من الأئمة الذين أثبتوا أفقاً واسعاً فى تفكيرهم الفقهى، فالحكم هو العفو فيما سكت عنه الشارع، فسكوته ليس نسيانا وإنما هو منفذ رحمة وعطف من الله جل وعلا، وبعد تقرير الشيخ للقواعد الأربع التى بدأها أولا بتحريم القول على الله بلا علم، وثانيا: بأن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، وثالثا: التمسك بالدليل الواضح والانصراف عن المتشابه، ورابعا: أن بين الحلال والحرام أمور متشابهة يقدم عليها أمثلة فقهية ويدلل على صحتها بمسائل يقول فى نهايتها:

«وهذه القواعد تدخل فى جميع أنواع العلوم الدينية عامة وفى علم الفقه من كتاب الطهارة إلى باب الإقرار خاصة»[٤٠].

وفى المسألة السابقة صحة المضاربة بالعروض،يعلل لها بقوله:

«لأن القاعدة فى المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله»:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).

وهذا الاتجاه الفقهى المرن يغطى كل مسائل المعاملات من هذا النمط،كما تتجلى هذه المرونة بأوضح صورها فى تبنيه واختياره لآراء ابن تيمية الذى أبدى مرونة فقهية منقطعة النظير فى مجال العقود بالذات.

---

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣، ٤، ٥، ١٠

(٤٠) المصدر نفسه، مختصر سيرة الرسول والفتاوى ص ٩٤

وكل هذه الحقائق تثبت أن (الحنبلية الفقهية) عنوان المرونة ومظهـر مشرف على اتساع الأفق الفقهى وتطوره.

هذه جملة من أبرز خصائص التفكير لمدرسة شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الفقهية، وهى تبدو منسجمة متوافقة، ففيها المذهبية المعتدلة وفيهـا الإنصـاف والتقدير الكامل لتراث السلف فى غير ما إفراط أو تفريط. وهى المدرسة التى أعجب بها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وانصهر فى بوتقتها، وكان لها أكبر الأثر على أعماله الفكرية، وهو ما نحاول تبينه فى الدراسة التالية.

مؤلفاته الفقهية:

« مختصر الإنصاف والشرح الكبير »: يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف بين مؤلفاته الفقهية، وهو يستدعى وقفة خاصة ودراسة موضوعية لاستخراج بعض الحقائق التى تهمنا فى موضوع هذا البحث.

إن النسخة المطبوعة التى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بضمها إلى مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب،جاءت خلوا من مقدمة الكتاب أو خطبة الكتاب، وهى التى عادة ما يوضح فيها المؤلف الباعث على تأليفه، والمنهج الذى يسير عليه والتعـريف بالمصطلحات المدونة فى ثناياه.

اعتمد المحققون فى طبع هذه النسخة على نسختين، نسخة مطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر، وأخرى مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٤٦٥.

وبخلو هذا الكتاب عن جزء هام فيه يترك المجال مفتوحا للباحثين لتلمس أهداف وتبين منهج المؤلف استنتاجا أو استقراء، وقد أثبت المحققون لهذا الكتاب العبارة التى وجدوها مدونة على غلاف النسخة المخطوطة بالمكتبة السعودية وهى كالتالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا منقول من الشرح الكبير والإنصاف أول كل باب من الشرح وآخر كل باب من الإنصاف...»[٤١].

ويذكر المحققون فى مقدمة الكتاب أن مؤلفات الشيخ رحمه الله على قسمين: منها ما ألفه ابتداء، ومنها ما اختصره من أصوله المطولة لتيسير الانتفاع به،وقد اتجهت الرغبة منه ـ رحمه الله ـ إلى اختصار كتابين من أشهر وأوسع ما صنفت فى الفقه الحنبلى لما رأى

(٤١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب القسم الثانى (الفقه) جـ ١، ص ٥

فى زمنه من الحاجة لذلك هما الانصاف فى معرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومؤلفه الفقيه علاء الدين على بن سليمان المرداوى الحنبلى (٨١٧ ـ ٨٨٥ هـ). والثانى: الشرح الكبير، ومؤلفه شمس الدين،أبوالفرج،عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامه، المقدسى (٥٩٧ ـ ٦٨٢ هـ). وتم ما أراده رحمه الله بمختصر لطيف بدأ كل باب منه بما اختاره من الشرح وختمه بما استدركه من الانصاف[٤٢].

إن هذين الكتابين يمثل كل واحد منهما مرحلة معينة فى تطور المذهب الحنبلى حتى وصل إلى ما وصل اليه عند المتأخرين.

أما كتاب الشرح الكبير فهو شرح لكتاب المقنع،من تأليف موفق الدين أبى عبدالله محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ ـ ٦٢٠ هـ). وقد ذكر المؤلف فى مقدمته بأنه اعتمد فى جمعه على كتاب المغنى من تأليف موفق الدين ابن قدامه السابق، وزاد فيه من غيره ما لم يجده فيه من الفروع والروايات، ولم يترك من كتاب المغنى إلا شيئاً يسيرا.

والمعروف أن كتاب المغنى كتاب حجة واستدلال، وهو موسوعة فى أقوال أئمة السلف وعلماء الأمصار،أصحاب المذاهب المختلفة ومسائل الإجماع، نحا فيه مؤلفه منحى المجتهدين فى اتباع الدليل، فمن ثم جاء كتاب الشرح صورة كاملة لكافة ملامح ومميزات كتاب المغنى، وسلك فى معالجة المسائل والبحوث الفقهية مسلك عمه الموفق فى كتاب المغنى، فهو يذكر المسألة من المقنع فيجعلها كالترجمة، ثم يذكر مذهب الموافق فيها والمخالف لها ويذكر ما لكل من دليله ثم يستدل ويعلل للمختار، ويزيف دليل المخالف، فمسلكه مسلك الاجتهاد إلا أنه اجتهاد مقيد فى مذهب أحمد»[٤٣].

وهو معدود فى طبقة المتوسطين من الحنابلة.

أما كتاب الانصاف لأبى سليمان المرداوى فهو أيضا شرح لكتاب المقنع، ضم بين دفتيه كل ما قيل فى المذهب الحنبلى من أقوال ووجوه وروايات، ثم بين فيه الصحيح من المذهب والراجح من الأقوال دون التعرض للدليل، وقد بين فى مقدمة الكتاب المصادر الفقهية التى اعتمدها والمنهج الذى سلكه فى الترجيح بشكل مفصل مفيد. ومما جاء فى هذا قوله:

(٤٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤

(٤٣) عبدالقادر بن بدران، المدخل الى مذهب الامام أحمد (مصر ادارة الطباعة المنيرية) ص ٢٢٢

«إن طريقتي في هذا الكتاب النقل عن الإمام أحمد والأصحاب، أعزو الى كل كتاب ما نقلت منه وأضيف الى كل عالم ما أروى عنه، فإن كان المذهب ظاهرا أو مشهورا، أو قد اختاره جمهور الأصحاب وجعلوه منصورا،فهذا لا إشكال فيه،وإن كان بعض الأصحاب يدعى خلافه..»(٤٤).

ويتحدث بن بدران عن خصائص هذا الكتاب بقوله: «وطريقته فيه أنه يذكر فى المسألة أقوال الأصحاب، ثم يجعل المختار ما قاله الأكثر منهم، سلك فى ذلك مسلك قاضى عجلون فى تصحيحه لمنهاج النووى وغيره من كتب التصحيح،فسار كتابه مغنيا للمقلد عن سائر كتب المذهب..»(٤٥) وهو معدود فى طبقة المتأخرين.

ومن طبيعة الكتابين يتضح أن الأول يهتم بالاختلاف وتعدد الروايات فى دائرة الفقه الإسلامى عامة، وينتهى بالاختيار والترجيح، وهو مسلك اجتهادى واسع،يفتح للقارئ مجالات وآفاقاً متعددة من التفكير وكسر القيود الفكرية المذهبية، وهو المرتبة الأعلى فى التفكير الإسلامى ومطمح كل فقيه لم ينلها مع الاعتراف على مدى الأجيال والعصور الإسلامية إلا عدد محدود. بينما يهتم الكتاب الثانى (الإنصاف) بعرض الروايات والأقوال المتعددة فى نطاق المذهب الحنبلى حتى آخر مراحل تطوره، والترجيح بينها، وهذا لا يتيح للباحث تلك الآفاق وإنما يفتح له مجالات التفكير فى حدود محصورة تأخذ بيده فى النهاية الى درجة الاجتهاد المذهبى.

فكلا الكتابين يؤهلان الباحث الطموح فى النهاية الى الخروج عن ربقة التقليد المحض إلى آفاق الاجتهاد المحدود واللا محدود.

ومن هنا نستطيع أن نستخلص هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تأليفه لهذا الكتاب، ذلك هو فتح مجال للتفكير الفقهى المنطلق بين تلاميذه حتى تتسع صدورهم لمذاهب غيرهم فيجنبهم هذه العصبيات المذهبية، وهى وسيلة مجدية مثمرة فى التخفيف من غلوائها فى عصور سيطرت فيها على تفكير العالم الإسلامى فأثرت على علاقاتهم العلمية والاجتماعية والسياسية فكان لها أسوأ الآثار.

منهجه وأسلوبه:

عنون كتابه هذا بـ (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)، والاختصار تقريب الشئ

(٤٤) أبوسليمان علاء الدين المرداوى، الانصاف فى معرفة الراجح من الخلاف الطبعة الأولى ١٩٧٤ جـ١، ص١٦.
(٤٥) ابن بدران، ص ٢٢٢.

ويكون بتقليل المسائل وحذف بعضها أو بتقليل الألفاظ مع تأدية المعنى كاملا كما يكون أحيانا بكلتا الطريقتين معا تقليل المسائل والألفاظ مع استكمال المعنى. يقول موفق الدين ابن قدامه :

«وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلمه وحفظه فإن الكلام يختصر ليحفظ »[٤٦].

وتصرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى الشرح الكبير بتقليل العبارات وحذف التعليلات، والأدلة أحيانا، والاستغناء بالبعض منها أحياناً كثيرة، وحذف بعض الأقوال، أما المسائل والموضوعات الفقهية التى وردت بعنوان مستقل فى الشرح الكبير فإنه لم يتصرف فيها بالحذف،بل أوردها مدمجة مع بعضها البعض دون تمييز بينها فى التبويب، الأمر الذى خالف به صنيع مؤلف كتاب الشرح الكبير (الأصل) .

والأسلوب الذى اتبعه فى اختصاره أسلوب محكم متماسك لا يشعر القارىء فيه بفجوة أو بتر للأفكار والمعانى.

وبنظرة فاحصة على المسائل التى تذكر فى نهاية الأبواب الفقهية المعنونة بخط بارز فى هذه العبارة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» فليست فى الحقيقة اختصارا من هذا الكتاب (الإنصاف) بالمعنى الدقيق المعروف والذى سبق بيانه، فالباحث يدرك من تتبعه لها ومقابلتها مع ما فى الإنصاف أنها مسائل مختارة من مواضيع مختلفة من كل باب جرى عرضه، يربط بينها أمران موضوع الباب واختيارات الشيخ تقى الدين ابن تيمية،بالإضافة إلى أنه لم ينقل من الإنصاف شيئا فى أربعة وعشرين بابا فقهيا، تتبين من الرجوع الى الكتاب نفسه.

وان هذه الأمور مجتمعة ترجح أن يكون مقصود المؤلف بهذه العنونة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» هو مجرد الإشارة الى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإذا جاء عنوان الكتاب بـ «مختصر الإنصاف والشرح الكبير» فهومن قبيل التغليب. وإلا فما جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة تجميع لاختيارات شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية فى موضوعات فقهية خاصة من كتاب الإنصاف تشير إلى الجانب الاجتهادى فى شخصيته العلمية.

---

(٤٦) المغنى، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية ج ١، ص ٤ تصوير

وهذا يدل على منتهى الإقناع والإخلاص والتقدير من الشيخ محمد بن عبدالوهاب لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية، يسلك نفس هذا المنهج ويتخذ مثل هذا الموقف بالنسبة لآراء ابن تيمية فى كتابه (كتاب الطهارة)، اذ كثيرا ما ينوه عن اختياراته دون تجاوز.

وإذا كان قد نقم عليه خصومه ووجدوا لهم طريقا فى الطعن عليه بادعائه الاجتهاد ونبذ المذاهب متمثلا هذا فى تأليفه المختصر والإنصاف وغيره من المؤلفات الفقهية، فلأنها تحمل آراء شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته وللاعتبار الخاص الذى ميزه به دون باقى الفقهاء مما أثار حفائظهم عليه.

وكان رد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب كما جاء فى رواية المؤرخ بن بشر تأليفه (كتاب آداب المشى إلى الصلاة).

كتاب آداب المشى إلى الصلاة:

جاء هذا الكتاب خلوا من مقدمة التأليف التى من خلالها نتبين هدف المؤلف ومنهجه فيه، ومن أجل هذا كانت روايةابن بشر السابقة هى مفتاح هذا الكتاب وفيها الغناء فى إشباع فضول وتطلع الباحث.

ألف الشيخ هذا الكتاب بعد تأليفه كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) جوابا لخصومه، وردا لدعواهم الباطلة فى نبذ المذهب الحنبلى، وكان جوابا عمليا دامغا، فقد استخلصه من كتاب معتمد فى المذهب الحنبلى هو (كشاف القناع عن متن الإقناع) تأليف الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتى، وهو فى الحقيقة اختصار منه لمجموع الأبواب التى حواها هذا الكتاب ابتداء من باب آداب المشى إلى الصلاة إلى باب ما يفسد الصوم.

وفى هذا الكتاب يلتزم فى عرض الأحكام المذهب الحنبلى كما هو فى كتاب كشاف الإقناع، تأكيدا لالتزامه وتحقيقا فى انتسابه له، فإنه فى هذه المرة لم يحاول أن يخص آراء شيخ الإسلام ابن تيمية بالذكر كما عهدنا صنيعه فى كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) و(كتاب الطهارة).

ومنهجه فى هذا الكتاب عرض المسائل المختلفة فى الموضوع الفقهى فى عبارة

مختصرة على أنه وإن كان اختصارا من الكشاف فإنه لم يخل من ذكر أدلة الأحكام فى أسلوب موجز، لا يحرم الدارس من معرفة الحكم مع الدليل المستنبط منه.

وهذه أحسن الأحوال التى يكون عليها التقليد الفقهى فهو تقليد ولكن تقليد المتبصر المدرك للدليل الذى يعتمد عليه الحكم، وتدرج بالمقلد إلى أفق أوسع.

وهذا الأسلوب يشير إلى المنزع الاجتهادى فى تفكير الشيخ محمد بن عبدالوهاب إذ أنه الأسلوب الذى لم يحد عنه فى التأليف الفقهى، فإننا نجده فى مؤلفات، ورسائل فقهية أخرى.

كتاب الطهارة:

عرض فقهى كامل لأحكام وأبواب الطهارة فى أسلوب واضح مبسط اعتنى فيه بذكر الخلاف فى إطار المذهب الحنبلى حينا، والإشارة الى بعض المذاهب اتفاقا أو اختلافا أحيانا أخرى، ووجه اهتماما خاصا بالتنويه عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، كما لم تفته الإشارة الى ذكر أدلة المسائل الفقهية كثيراً.

وأسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى هذا الكتاب أو الرسالة شكلا ومضمونا يأتى منسجما ومتجانسا مع مؤلفاته الأخرى، ولذا فإنه لم يصعب على المحققين تبينه، اذ أن اسمه لم يرد فى صلب المخطوطة، فقد جاء فى مقدمة التحقيق قولهم:

«فهذا كتاب الطهارة للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله استندنا فى نسبته اليه الى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه تحت رقم ٨٦/٥٢٠، حيث لم يرد فى صلب المخطوطة ما يشير الى ذلك الا عبارة نعتقد أن فيها شيئا من التحريف، حيث قال فى نهاية المخطوطة، ولهذا سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولعل صحة العبارة: وعن هذا سئل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم ان أسلوب المخطوطة يتطابق تماما مع أساليب كتاباته وتصانيفه ورسائله رحمه الله، وخاصة كثرة الإشارة الى اختيارات شيخ الإسلام»(٤٧).

كتاب شروط الصلاة وأركانها:

هو استكمال للتأليف فى موضوع الصلاة، فيكون هذا الكتاب كالتتمة للموضوع

(٤٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثانى (الفقه) ج ٢، ص ٣

السابق وهو فى نفسه موضوع تمهيدى سابق على (كتاب آداب المشى إلى الصلاة)، ولهذا فإنه يمكن اعتبار الكتب الثلاثة (كتاب الطهارة، وكتاب شروط الصلاة وأركانها، وكتاب آداب المشى إلى الصلاة) مؤلفا واحدا فى موضوع فقهى واحد.

مبحث الاجتهاد والخلاف:

عنوان هذا الكتاب يختلف عن موضوعه، إذ أن محتواه هو حجية قول الصحابى والاختلاف فى ذلك، وهذا العنوان أثبته المصححان كما وجداه على النسخة الأصلية ويتحدثان عن هذا فى قولهم:

«وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط الناسخ هذه العبارة: هذه الرسالة تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى وهى مبحث الاجتهاد والخلاف».

ويبدو أن المصححين غير مقتنعين بسلامة هذا العنوان، وما دوناه هو أداء للأمانة العلمية،ولاشك أن مضمون الرسالة يمثل جزء من العنوان،فلعل لهذه الرسالة بقية فيتطابق العنوان والمحتوى.

وموضوع حجية قول الصحابى من الموضوعات الأصولية التى شغلت حيزا كبيرا فى هذا العلم،وأنتج القول به وعدمه اختلافا بين الفقهاء لخصه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم، وهو تلخيص مركز متين بأسلوب سهل مبسط، توصل فيه الى نفس النتائج التى توصل اليها ابن القيم، وذلك: (أن الصحابى اذا لم يخالفه فى قوله صحابى آخر واشتهر بينهم فإنه يعتبر حجة)،وذكر ستة وأربعين وجها ودليلا على هذه النتيجة، ثم نفذ من ذلك الى بحث حجية قول التابعى، وفى نهايته يعرض رأيه بأسلوب هادئ متزن فى قوله:

«وقد اختلف السلف: فمنهم من يقول: يجب اتباع التابعى فيما أفتى به كذلك، ومن تأمل كتب الأئمة ومن بعدهم، وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعى».

وينتقل من هذا الموضوع إلى بحث أمور هامة تتعلق بالفتوى والمفتى،ما خلاصته أن على المفتى الجواب عن المسألة بقدر الإمكان فإن لم يأمن غائلة الفتوى وخاف أن يترتب عليها شئ أكبر من الإمساك عنها،أمسك ترجيحا لدفع أعلى المفسدتين.

كما له العدول عن جواب المستفتى عما سأله عنه الى ما هو أنفع منه(٤٨).

(٤٨) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثانى (الفقه) ج ٢، ص ٣٦، ٣٧

ومن أهم النقاط التى تعرض لها خلال هذا العرض مسألة جديرة أن يعيها المنتصبون للإفتاء وذلك فى قوله :

«ومن فقه المفتى إذا سأله عن شئ فمنعه أن يدله على ما هو عوض منه، ورأيت شيخنا يتحرى ذلك فى فتاواه، وقد منع النبى صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشترى صاعا من التمر الجيد بصاعين من الردئ ثم دله على الطريق المباح»[٤٩].

وهذه دقائق لا يدركها إلا الراسخون فى العلم وفهم المجتمع.

من خلال الدراسات السابقة للتراث الفكرى الفقهى لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، تجلت لنا خصائصه الفكرية فى هذا الجانب متميزة بتقدير التراث ألفقهى، تعطيه حقه من التقدير فى غير مبالغة أو مغالاة تؤدى الى الجمود وذوبان الشخصية، فهو متذهب وهو حنبلى ولكنه بعيد عن الجمود. فالواجب فى نظره اتباع العلماء فى إجماعهم، فإذا اختلفوا فالمرجع والمرجح هو الكتاب والسنة مع مرونة فقهية فى تطبيق أحكامها، فالأحكام على العفو والإباحة ما لم يرد دليل صريح بالتحريم، ولا اعتراض على المخالف فى مسائل الاجتهاد.

إنها صورة مثالية تأخذ من التراث وتستفيد منه وتعتمد عليه فى اعتدال لا جمود، واجتهاد يتمشى وروح الشريعة الإسلامية، ومرونة لا يغير ملامحها التشريعية بواقعية تعيش ظروف عصرها.

إن هذه النوعية من الفقه والفقهاء هى ضالة العصر المنشودة، وهى أيضا المثل الوسط الذى لا يجمد على القديم لدرجة العبادة والتقديس، ولا يتمرد عليه لحد الإنكار والجمود.

إن الأمة الإسلامية لو اهتدت الى ايجاد جيل من الفقهاء يحمل هذه الخصائص والصفات، فإنها ستعيد للفقه الإسلامى إشراقه وحيويته ودوره فى حياتنا الحاضرة، ولم يعدم الإسلام عبر قرونه تقديم نماذج متجددة من هذه الأمثلة لإبقائه حياً متجدداً، مهما تقادم الزمن، والله يقضى بالحق وهو الهادى الى سواء السبيل.

---

(٤٩) المرجع السابق

مصـــادر البحـــث

ابن قدامه، موفق الدين محمد
المغنى، المدينة المنورة: منشورات المكتبة السلفية، تصوير.

ابن تيمية، عبدالحليم
مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الرياض. رفع الملام عن الأئمة الاعلام، الطبعة الأولى.

ابن حمدان، أحمد
صفة المفتي والمستفتى
الطبعة الأولى، بيروت، منشورات.
المكتب الاسلامى، الطبعة الأولى.

ابن عبدالوهاب، محمد، مؤلفات محمد بن عبدالوهاب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن بدران، عبدالقادر
المدخل إلى مذهب الإمام أحمد
مصر: ادارة المطبعة المنيرية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله
عنوان المجد فى تاريخ نجد، الطبعة الثانية الرياض: وزارة المعارف السعودية.
السوابق: الطبعة الثانية.
الرياض: وزارة المعارف السعودية.

أبوطامى، أحمد بن حجر بن محمد
الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه.
مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ.

المسودة تحقيق محيى الدين عبدالحميد
مصر: مطبعة المدنى.

البسام، عبدالله
علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى.
بيروت: منشورات المكتب الاسلامى، ١٣٨٠.

الحجوى، محمد بن الحسن الثعالبى
الفكر الاسلامى فى تاريخ الفقه الاسلامى
تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى
المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الرويشد، عبدالله بن سعد
الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى التاريخ
مصر: مكتبة عيسى البابى الحلبى.

السنهورى، عبدالرزاق
مصادر الحق فى الفقه الاسلامى، الطبعة الثالثة جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧م.

العطار، أحمد عبدالغفور
محمد بن عبدالوهاب الطبعة الرابعة

بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

العثيمين، عبدالله صالح
الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره
الرياض: دار العلوم

الفـــراء، أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد
العدة فى أصول الفقه.مصورة خاصة

الفتوحى، أحمد بن عبدالعزيز
الكوكب المنير
مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

المرداوى، أبوسليمان علاء الدين
الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف
الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

* * * * * *

مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية